الوفا
بأحوال المصطفى ﷺ

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هـ

صححه ونسقه وعلق عليه

محمد زهري النجار

من علماء الأزهر الشريف

الجزء الأول

يطلب من

المؤسسة السعيدية بالرياض

شارع الخزان ، بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه

هاتف ٢٥٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر (*)

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، ولك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

ونصلى ونسلم على خاتم رسلك ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، الذين اقتفوا سيرته العطرة ، وسنته المطهرة ، علماً وعملاً .

وبعد فلما رأيت الإقبال الكبير من الجمهور العظيم على إحياء سيرة المصطفى، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، سارعت بإعادة طبعة كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) لصاحب القلم السيال « الشيخ جمال الدين ، عبد الرحمن بن الجوزى » رحمه الله .

وقد شارك فى تصحيح هذا الكتاب ، والتعليق عليه صديقنا السلفى ، فضيلة الشيخ محمد زهرى النجار .

كما أننا اخترنا لهذا الكتاب ، ما يكمل جماله ، فى جودة الورق ، وجمال الحرف ، وإتقان المطبعة وإنجازها .

كما نرجو من الله العلى القدير ، أن يعيننا على إعادة طبعة كتاب « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » لمؤلفه رفاعة الطهطاوى ؟

(*) الناشر : فهد بن عبد العزيز السعيد صاحب المؤسسة السعيدية بالرياض هاتف ٢٥٥٦١ ش الخزان بناية أحمد حمد القصيبي وإخوانه .



مقدمة المصحح

الحمد لله القائل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا) .

والصلاة والسلام على سيد الخلق ، والهادى إلى الحق ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ، الذين بذلوا أنفسهم وكل نفيس لديهم ، فى سبيل نصرة هذا الدين القويم .

وبعد ، فمعلوم لدى كل عاقل ، أن كل علم يشرف بشرف موضوعه .

وما خلق الله الإنس والجن إلا ليتزودوا من دنياهم بالأعمال الصالحة لحياتهم الخالدة ، كيلا يروا أعمالهم حسرات عليهم ، ويقول أحدهم متحسراً « يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي » .

ولا تتحقق السلامة من الاصطلاء بغضب الله ، نار الله الموقدة ، إلا بالعمل ، ولا يصح العمل إلا بترسم خطوات سيد المرشدين محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعرُّف بسيرته العطرة .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارىء الكريم ، قد ضم بين دُفَّتَيْهِ خلاصةً طيبة من سيرة سيد الأنبياء وصفوة الأصفياء .

ألفه إمام نابهُ الذكر ، ووعاء من أوعية العلم فى شتى أنواعه .

قدّمه للناس عامة ، وللمسلمين خاصة ، ليتعرفوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف النواحي .

ولا أريد أن أستقصي تلك النواحي بل أترك ذلك لك أيها القارئ .

وخلاصة ما أصف به هذا الكتاب ، أنه كروضة حوت من جميع الثمار وأنواع الورود والأزهار .

فزائرها أشبه بالطيور التي تنتقل من شجرة إلى شجرة ، ومن فَنَنٍ إلى فنن ، وقد انطلقت حناجرها بأطرب الأغاريد وأعذب الألحان .

وكذلك من يقرأ هذا الكتاب ، ويتنقل في رياضه .

بينما يجد نفسه أمام التعرّف بصفة النبي خَلْقًا ، إذا هو ينتقل إلى التعرّف إلى صفة أخلاقه التي لا تُدَانَى ، فضلا عن أن تُسَامَى ، حتى استوى على عرش قلوب قومه ، فكان أعز إنسان في نفوسهم .

ثم ينتقل إلى بدء النبوة وما سبقه من الإرهاصات ، وإلى القيام بالدعوة ومراحلها ، وإلى صموده أمام تلك الصعاب والعقبات الكأداء ، التي اعترضت دعوته ، ثم إلى هجرته ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وقيامه بالجهاد ، والمعاملة الحسنة للأسرى ، وكيفية عشرته لأصحابه ولأزواجه .

فتنتهي رحلة القارئ من تلك الرياض ، وقد امتلأ معرفةً بأحوال المصطفى علماً وعملا ، وتعظيماً لقدره .

عملنا فى هذا الكتاب

قرأت الكتاب بتمعن وعلى مكث . فعمدت إلى الأخطاء المطبعية فصححتها ، وإلى الآيات القرآنية فضبطتها بالشكل الكامل وخرّجتها ، وكذلك الأبيات الشعرية .

ثم تتبعت المفردات اللغوية فى النثر والنظم ، فأوضحت معانيها ، وذلك استجابة لطلب بعض أفاضل العلماء .

وقد بذلت جهداً فى ذلك يقدره من يعانى مثل هذا العمل .

ونسقته تنسيقاً يجمل فى عيون القراء ، وأخرجته إخراجاً ، أرجو أن يكون فى أبهى حلة وأجمل منظر .

وعمدت إلى التعريف بالمؤلف فأثبتُّه كما حرره أخونا الفاضل الدكتور مصطفى عبد الواحد ، اعترافاً بجهوده ، وكراهيه منى لهضم حق الغير والسَّطْوِ على عمله .

واقتصرت من مقدمته على ما يخص ترجمة المؤلف .

التعريف بالمؤلف(١)

أما المؤلف فهو(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد ، ابن على بن عبد الله ابن حُمَّادى ، بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الفقيه الحنبلى الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ .

---

(١) ترجمته فى شذرات الذهب ٤/٣٢٩ ووفيات الأعيان ٢/٣٢١ وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٥ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى .

والجَوْزى نسبة إلى فَرْضة الجوز – كما يقول ابن خِلّكان – أو إلى محلة الجوز بالبصرة – كما يقول ابن العماد .

ولد سنة عشر أو ثمان وخمسمائة – ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

نشأ يتيماً ، فمات أبوه وله ثلاث سنين ، فربَّتْه عمته .

قال عن نفسه(١) : « فإن أبى مات وأنا لا أعْقل ، والأم لم تلتفت إلىَّ » .

فلما ترعرع حمَلَتْه عمته إلى مسجد أبى الفضل ابن ناصر ، وهو خاله ، فاعتنى به وأَسْمعه الحديث ، وحفظ القرآن ، وقرأه على جماعة من القراء ، بالروايات .

وقد نشأ شغوفاً بالمعرفة ، محباً للطلب ، فسمع الكثير ، ونظر فى جميع الفنون . كما قال :

« فركز فى طبعى حب العلم ، وما زال يوقعنى على المهم فالمهم ، ويحملنى إلى من يحملنى على الأصوب ، حتى قوَّم أمرى » .

وقد كان لابن الجوزى شيوخ كثيرون يبلغون سبعة وثمانين شيخاً .

منهم ابن ناصر ، وهو كثير النقل عنه ، وعلى بن عبد الواحد الدِّينَورى .

وابن الُحصَين ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو الوقت السجزى .

وكان معظِّماً لأبى الوفا بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه .

وقد بلغ ابن الجوزى منزلة عالية فى الحديث وصناعة الوعظ .

أما الحديث ، فقد اشتهر به ، ولقب فيه بالحافظ ، وصنف فيه الكثير ، وبلغ من وثوقه بنفسه فيه أن قال :

---

(١) عبارات المؤلف فى الحديث عن نفسه منقولة عن كتابه صيد الخاطر فى مواضع متفرقة .

« ولا يكاد يُذكر لى حديث ، إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ، أو حسن ، أو محال » .

وهذا القول ليس غروراً ولا ادعاء ، ولكنه قول من يعرف قدر نفسه ويحيط بموهبته .

والحق أن ابن الجوزى أخلص للحديث كثيراً ، وبذل الكثير فى سبيل بلوغ الرتبة العالية فيه .

ويحدثنا عن ذلك فيقول :

« كنت فى زمان الصبا آخذ معى أرغفة يابسة ، فأخرج فى طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقْدر على أكلها إلا عند المساء .

فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتى ، لا ترى إلا لذة تحصيل العلم .

فأثَّر ذلك عندى أنى عُرفت بكثرة سماعى لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله ، وآدابه ، وأحوال الصحابة وتابعيهم » .

ويذكر ابن خِلّكان فى ذلك أنه قد جمعت بُراية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحصل منها شىء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ، ففُعل ذلك ، فكفَتْ وفضل منها !

وأما الوعظ ، فقد اتجه إليه ابن الجوزى منذ نشأته ، فوعظ من صغره ، وفاق فيه الأقران ، ونشأت له فى ذلك ملكة عجيبة ، وبديهة حاضرة ، وتاب على يديه الآلاف وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء .

ويقول ابن الجوزى :

« ولقد تاب على يدى فى مجالس الذِّكر ، أكثر من مائتى ألف ، وأسلم

على يدىَّ أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عينُ متجبِّرٍ بوعظى لم تكن تَسيل » .

وكان مجلسه يقدَّر فى بعض الأحيان بمائة ألف ، وحضر مجلسه الخليفة المستيضىء ، مرات من وراء السِّتر .

ومع اشتهار ابن الجوزى بالحديث والوعظ ، فقد تبحَّر فى غيرهما وشارك فى ألوان الثقافة الأخرى ، فبرع فى علوم مختلفة ، وحاز مكانةً فى أكثر من ميدان وطلب من كل فن ما أطاق . .

يقول عن نفسه : « إنى رجل حُبِّب إلىَّ العلم من زمن الطفولة ، فتشاغلتُ به ، ثم لم يحبَّب إلىَّ فن واحد منه ، بل فنونه كلها ، ثم لا تقتصر همتى فى فن على بعضه ، بل أروم استقصاءه » .

وقد جنَى ابن الجوزى من تحصيله الكثير ثمرة فائقة ، سمَتْ به إلى مكانة مرموقة فى ميدان الثقافة الإسلامية وأحَلَّتْهُ منزلة باهرة ، حتى ليقول عن نفسه « وما نِلْته من معرفة العلم لا يقاوَم ! » .

وليس ذلك ادعاءًا ولا تعالما من ابن الجوزى ، فآثاره المتعددة تدلُّ على المدى البعيد الذى سار فيه ، فى تحصيله ودراسته .

فهذه كتبه فى التاريخ ، لا تقل مكانة عن المصادر الموثوق بها المعول عليها .

وأشهرها : « المنتظم فى تاريخ الأمم » .

وكتبه فى علوم اللغة مثل « تذكرة الأريب » فى اللغة ، و « الوجوه والنظائر » ، و « تقويم اللسان » ، و « المقيم المقعد » فى دقائق العربية ، تدل على مشاركته فى ذلك الميدان الذى لم يكن لواعظ محدث مثله ، أن يتسع اهتمامه به إلى ذلك الحد ، إلى جانب مراجعه فى التفسير ، وعلوم القرآن التى فُقد أكثرها ـ وغير ذلك من علوم الفقه ، ونقد الفكر الإسلامى . .

فإذا تجاوزنا النطاق العلمى إلى النطاق الاجتماعى والسياسى فإننا نجد لابن الجوزى موقفاً متميزاً فى صلته بعصره وموقفه من المجتمع الذى كان يعيش فيه . .

فمن جهة لم يكن ابن الجوزى من وعاظ السلاطين أو حاشية الملوك الذين تُستكمل بهم زينة الملك أو يملأون حيزاً حُدِّد لهم وأريد ألا يتجاوزه . .

بل كان الرجل ذا شخصية فذة ، عرف مكانه من عصره وبيئته ، فانطلق يجاهد بسلاحه الذى يمتلك ، وهو الوعظ والكتابة ـ وتجافى ، بنفسه ، عن ظل السلطان ، ونجا من المداهنة فى قوله أو الرياء بعلمه ، ومن هنا استطاع أن يستعلن بكلمة الحق وأن يعرف الإصرار على الرأى والحدّة فى الإقناع . .

وتلمح خطته فى الإصلاح ومنهجه فى الثورة على المفاسد فى كتابه « تلبيس إبليس » الذى حدد فيه موقفه من الفكر والسلوك فى عصره . .

وفى هذا الكتاب يختص شذوذَ المتصوّفة ومخالفاتهم للشريعة بجانب كبير ، وقد اشتهر ابن الجوزى بعدائه لمبتدعات الصوفية وإنكاره لكل ما يخرج عن حدود النقل الصحيح . .

وهو بهذا سُنِّىٌّ سلفى ، لا يرتبط بمذهب يحمله التعصب على نصرته ولا يأوِى إلى رأى يذود عنه أو يقنع به ، ولكنه مجتهد فى فهم الكتاب والسنة متقبِّل لما ساير العقل من الأثر ، ولهذا لم يبال أن يخالف أحداً ممن سبقوه ما دام ضياء العقل وبَهاء النَّقل فى يده !

ولذلك تراه يردُّ على الإمام الغزالى كلَّ ما لا يتسق مع المنهج الفقهى الذى ارتضاه الغزالى نفسه ، إذ كان الغزالى المتصوف ، يناقض فى بعض الأحيان ، الغزالىَّ الفقيه !

وقد كان ابن الجوزى يَعجب من ذلك ويلفت إليه .

وقد كان ابن الجوزى حنبلىَّ المذهب ، إلا أنك لا تحس منه جموداً عند رَأْيٍ ، بل إن سناء عقله ، يقف من التراث الإسلامى كله ، مُشْرِقاً يتطلع إلى الحق أين كان . .

ولهذا لم يرتض الحنابلة أنفسهم كثيراً من آراء ابن الجوزى ، بل إنهم نقموا عليه بعضها .

يقول عنه ابن رجب الحنبلى فى طبقات الحنابلة :

« نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا ميله إلى التأويل فى بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه فى ذلك ، ولا ريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو إن كان مطَّلعاً على الأحاديث والآثار ، فلم يكن يَحلّ شُبه المتكلمين وبيان فسادها » .

ثم علل اضطرابه بأنه : « كان معظما لأبى الوفاء ابن عقيل ، متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه ، وإن كان قد ردَّ عليه فى بعض المسائل .

وكان ابن عقيل ، بارعاً فى الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب فى هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له فى هذا التَّلوُّن » .

ويقول عنه الشيخ موفق الدين المقدسى : « كان ابن الجوزى حافظاً للحديث ، وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه فى السنة ولا طريقته فيها » .

والحق أن تعظيم ابن الجوزى لأبى الوفاء بن عقيل ، ليس تعصباً ولا جموداً ، ولا تعبداً بفكر .

إذ أن ابن عقيل هذا ـ حَسب نقوله التى يرويها عنه ابن الجوزى فى كتبه المختلفة ، ومن بينها الكتاب الذى بين أيدينا ـ رجل طليق الفكر والرَّأْيِ ، مشرق الفهم ، بصير فى اتجاهه .

فلعل إعجاب ابن الجوزى به ، إعجاب المشارب المتفقة والأذواق المتلائمة.

وخاصة ، حين نذكر أن ابن الجوزى ، لم يلتق بابن عقيل هذا ، ولم يتصل به ، فقد توفى ، قبل أن يولد ابن الجوزى .

وكل ما هناك ، أن الرجل التقى به بفكره ، وتلمَّح من آثاره ، سعة الأفق ، واستنارة البصيرة ، وحرارة الإخلاص . .

ولم يكن بدٌّ أن يتعرض ابن الجوزى – فى صراحته وجهره بالحق – لعداوات فكرية ، وسياسية ، جلبت له كثيراً من الحرج والأذى .

فقد كانت الخصومات المذهبية ، تشتد حتى يصيبه لَفْحُها ، وحتى تُدَبَّر له المكائد بسبب إعلانه ، لما يراه حقًّا ، دون خشية أو مواربة .

يروى الذهبى فى تذكرة الحفاظ(١) : « أنه قام عليه الركن عبد السلام ابن عبد الوهاب الحنبلى تجاه الوزير القصَّاب ، وكان الركن سَيِّىء النِّحلة ، أحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزى ، وأعطى مدرسة الحنبلى .

فحمل الركن عليه وقال : لابن القصَّاب الشِّيعى : أين أنت من ابن الجوزى ؟ ! فإنه ناصِبىٌّ ، ومن أولاد أبى بكر !

فجاءه من شتمه وأهانه ، وختم على داره ، وشتت عياله .

ثم أخذ فى سفينة إلى واسط ، فحبس بها فى بيت ، وبقى يغسل ثوبه ويطبخ ، ودام على ذلك خمس سنين ، وما دخل فيها حمَّاماً ! » .

أما الخصومات الفكرية فقد كان بعضها يصل إلى درجة الهجوم عليه ، مثل وصف ابن الأثير له – فى مقدمة كتابه اللباب – بالتدليس ، فى صدد دفاعه عن السمعانى ، وكان بعضها هيناً إلى درجة النقد الخفيف ، من أنه

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١٢٥/٤

كان يقع السهو فى تصانيفه ، وأنه كان يتم الكتاب فلا يراجعه ، وأن معظم ما كتبه ليس من ممارسة العلماء .

* * *

كتبه

كان ابن الجوزى من المكثرين من الكتابة الموفقين فى التأليف ، حتى شاعت له شهرة فى ذلك ، وأحاطت المبالغة بعدد كتبه .

فهذا ابن العماد الحنبلى يذكر أن ابن الجوزى سئل عن عدد تصانيفه فقال : «زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً ، منها ما هو عشرون مجلداً وأقل».

ويقول الذهبى : « ما علمت أن أحداً من العلماء صَنَّف ما صنف هذا الرجل » .

ويقول ابن خلكان : « وبالجملة فكتبه أكثر من أن تُعَدّ ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يُغالون فى ذلك » .

وفى الحق أن هذا الرجل كان عميق الثقافة ، مُتَّسِع المدارك ، خالياً من الشواغل والآفات ، فأكثر من الكتابة والتصنيف .

ولكن هذا العدد الذى يُذكر لكتبه ، محوط بالتهويل والمبالغة .

ولعلهم كانوا يعدون الأجزاء من الكتاب الواحد كُتباً متعددة !

والذى يذكر من كُتبه فى التراجم ، لا يكاد يبلغ المائة .

والمؤسف أن القدر الذى بقى من كُتبه لا يزال أكثره فى طوايا النسيان ، لا يجد من يعتنى به أو يصونه ، مع أن هذا التراث لرجل واحد ، كان خليقاً بأن تقوم عليه جامعة إسلامية ، تنفض عنه غبار الدهر وتدفع عنه

يد البلى ، وقد كان الأزهر الشريف ، أحق بذلك فيستيقظ لرسالته ، وينتبه لأعبائه ، ويمارس فى عالم الواقع ، ما يُرْجى له !

إن ابن الجوزى يجد من يهتم بكتبه وآثاره من الأوربيين المستشرقين أكثر من العرب المسلمين ، والدليل على ذلك أن أكثر كُتبه المخطوطة فى المكتبات والجامعات الأوربية ، ولا أنسى أننى أخرجت كتابه «ذم الهوى» عن نسخة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ونسخة مكتبة باريس الأهلية ، على حين أننى لم أجد نسخة يعوّل عليها فى مكتباتنا العربية .

إننى أدعو من هذا إلى صيانة آثار ابن الجوزى وتتبع كتبه المفقودة أو التائية عنا واستردادها ـ عن طريق نشرها ـ من أيدى الأوربيين والمستشرقين الذين عنوا بتراثنا على غفلة منا واستهانة .

ولا بأس هنا أن نذكُر بعض ما عرف من كتب ابن الجوزى فى الفنون المختلفة ، ونشير إلى المطبوع منها :

(ا) فى علوم القرآن وتفسيره :

١ ـ المغنى فى علوم القرآن .

٢ ـ فنون الأفنان فى عجائب علوم القرآن .

٣ ـ زاد المسير فى علم التفسير . طبع فى دمشق .

٤ ـ المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن . ٥ ـ التفسير الكبير فى عشرين مجلداً .

٦ ـ إخبار أهل الرسوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ طبع سنة ١٣٢٢

(ب) علوم الحديث :

١ ـ الكشف فى أحاديث الصحيحين .

٢ ـ تهذيب المسند ـ عشرون مجلداً .

٣ — المختار من أخبار المختار . ٤ — مشكل الصحاح — أربع مجلدات .
٥ — جامع المسانيد — سبع مجلدات . ٦ — الموضوعات .
٧ — الواهيات . ٨ — الضعفاء .
٩ — تلقيح فهوم أهل الأثر [مطبوع بالهند] .

(ح) الوعظ :

١ — بستان الواعظين . طبعه محمود صبيح مرتين .
٢ — نتيجة الإحياء [اختصر به إحياء علوم الدين] .
٣ — تبصرة الأخيار . ٤ — روح الأرواح [طبع] .
٥ — الثبات عند الممات . ٦ — المورد العذب .
٧ — لفتة الكبد إلى نصيحة لولد [طبع] . ٨ — القُصّاص والمذكرون .
٩ — منهاج المريدين . ١٠ — التبصرة . ١١ — المدهش [طبع] .
١٢ — رءوس القوارير فى الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير — طبع بالجمالية سنة ١٣٣٢
١٣ — تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم الغمر . ١٤ — الياقوتة فى الوعظ .

(د) التاريخ والتراجم :

١ — المنتظم [طبع جانب منه] . ٢ — مختصر المنتظم .
٣ — مناقب عمر بن عبد العزيز [طبع] .
٤ — شذوذ العقود فى تاريخ العهود .
٥ — صفوة الصفوة [طبع بالهند] .
٦ — مناقب أحمد بن حنبل . طبعه محمد أمين الخانجى .
٧ — الذهب المسبوك فى سير الملوك . ٨ — فضائل القدس .
٩ — أخبار الأخيار . ١٠ — أخبار النساء .

١١ — مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن .

١٢ — مناقب عمر بن الخطاب [طبع] .

١٣ — الوفا فى فضائل المصطفى [وهو الذى بين أيدينا] .

(هـ) علم الكلام :

١ — التحقيق فى مسائل الخلاف . بدأ بتحقيقه المرحوم الشيخ أحمد شاكر ولم يطبعه .

٢ — الانتصاف فى مسائل الخلاف .

٣ — دفع شبهة التشبيه والرد على المجسِّمة [طبع] فى دمشق على نفقة حسام الدين القدسى .

٤ — تجريد التوحيد المفيد .

(و) اللغة والأدب :

١ — تقويم اللسان .

٢ — المقيم المقعد فى دقائق العربية .

٣ — تذكرة الأريب .

٤ — الوجوه والنظائر فى اللغة .

٥ — الأذكياء [طبع] .

٦ — المغفلون . طبعة حسام الدين القدسى بعنوان (الحمقى والمغفلون) .

٧ — ذم الهوى [طبع بتحقيق] .

٨ — لقط المنافع فى الطب ، والفراسة عند العرب .

٩ — المقامات .

(ز) النقد الدينى والاجتماعى :

١ — صيد الخاطر [طبع] .

٢ — تلبيس إبليس [طبع] .

وهكذا نرى القليل من كتب هذا الإمام العظيم قد عرف طريقه إلى النور ، فطبع طبعة رديئة ، وأكثرها نعرف اسمه ، ولا نهتدى إلى مكانه !

ويا لخسارة أمتنا الإسلامية حين تُحرم تراثَ رجل من رجالها الأفذاذ ، وحين ينطفىء مصباح من مصابيحها دون أن يهتدى بنوره أحد !

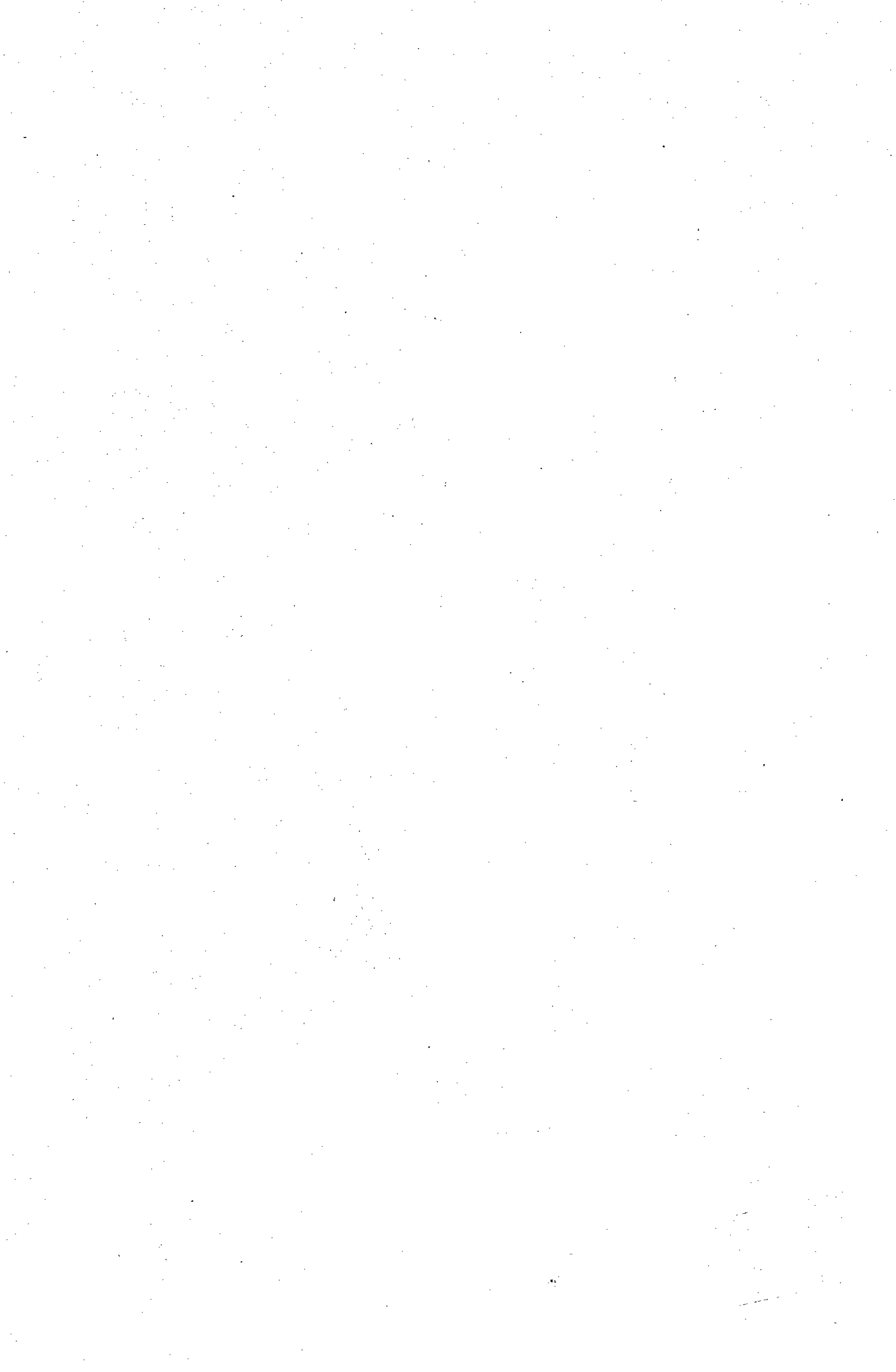
هذا الكتاب

وكتابنا هذا أحد كتب ابن الجوزى التى تعبِّر عن جانب من اتجاهاته العلمية وتشفُّ عن لون من فكره وثقافته .

فهو فى موضوعه يعرض سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بدايتها إلى نهايتها ، وفى خلال ذلك يُدْرج المؤلف دلائلَ نبوة الرسول وشواهد صدقه فى دعوته ، كما يوضح خصائصه ويَجْمع شمائله وهَدْيه ، وما يتعلق بنواحى حياته ونظام معيشته .



بسم الله الرحمن الرحيم
وإنك لعلى خلق عظيم
صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى قدّم نبيّنا صلى الله عليه وسلم على كل نبى أرْسله ، وفضّل كتابنا على كل كتاب أنزله ، وجعل أمتنا الأخيرة الأوّلة ، فله الشكر من معتقدٍ أنه به ولَه .

اعلموا رحمكم الله(١) أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة(٢) الوجود ، وواسطة العقود ، لا يُدانِى باحةَ مَجده بَشر ولا مَلَك ، ولا يَطرق ساحة جَدِّه مخلوقٌ إذا سَلك .

نُوِّه بذكره قبل خَلق آدم ، وأمر الأنبياء أن يُعْلِموا بوجوده العالَمَ ، ولم يبعث نبى قبله إلى غير أمته ، وشُرِّف هو على الكل بعموم دعوته ، ونَسَخَ كثيراً من شرائع الأنبياء بشريعته .

وإنى رأيت خَلقا من أئمتنا لا يحيطون علما بحقيقة فضيلته .

فأحببت أن أجمع كتابا أشير فيه إلى مرْتبته ، وأشرح حاله من بدايته إلى نهايته ، وأُدْرج فى ذلك الأدلة على صحة رسالته ، وتَقَدُّمه على جميع الأنبياء فى رتبته .

---

(١) ز : اعلم رحمك الله .

(٢) ز : خالصة .

فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه فى تربته ، ذكرت فضل الصلاة عليه وعَرْض أعمال أمته ، وكيفية بعثته ، ومَوْقع شفاعته ، وأخبرت بقُرْبه من الخالق يوم القيامة ومنزلته .

ولا أطرِق الأحاديثَ خوفاً على السامع من ملامته ، ولا أخلط الصحيح بالكذب(١) كما يفعل من يقصد تكثير روايته ، مثل حديث هامة بين الميم ، وزريب بن برثملى وما جاء فى مجانسته .

إذ فى الصحيح ، غُنْيةٌ(٢) لمن قفى الله بهدايته .

وقد زادت أبواب هذا الكتاب على خمسمائة باب والله الموفق برحمته .

---

(١) ليته راعى هذا الوعد الذى قطعه على نفسه ، فلقد خلط الصحيح بالكذب فى بعض المواضع !

(٢) غنية : استغناء واكتفاء .

ذكر تراجم الأبواب

أبواب بداية نبينا صلى الله عليه وسلم

أبواب ذكر نبوته صلى الله عليه وسلم

أبواب هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

الباب الأول : فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار .

الباب الثانى : فى ذكر ما جرى فى الغار .

الباب الثالث : فى ذكر ما جرى له فى طريقه إلى المدينة .

الباب الرابع : فى ذكر حديث أم مَعْبد .

الباب الخامس : فى تورية أبى بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقهم إلى المدينة .

الباب السادس : فى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة بريدة الأسلَمى وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه .

الباب السابع : فى ذكر تَلَقِّى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إياها .

الباب الثامن : فى ذكر اليوم الذى قدم فيه المدينة .

الباب التاسع : فى ذكر المكان الذى نزل به حين دخل المدينة .

الباب العاشر : فى ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم .

الباب الحادى عشر : فى لقاء عبد الله بن سَلاَم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة .

الباب الثانى عشر : فى فضل المدينة .

الباب الثالث عشر : فى ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الباب الرابع عشر : فى فضل مسجده صلى الله عليه وسلم .

أبواب معجزاته صلى الله عليه وسلم

أبواب فضله على الأنبياء عليهم السلام وخصائصه ، ومثل ما بعث به ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس

أبواب صفات جسده صلى الله عليه وسلم

أبواب صفاته المعنوية

أبواب آدابه وسمته صلى الله عليه وسلم

أبواب زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبواب تعبده صلى الله عليه وسلم

أبواب طهارته

الباب الأول	: فى ذكر ما كان يقوله إذا دخل الكنيف .
الباب الثانى	: فى ما كان يقوله إذا خرج منه .
الباب الثالث	: فى ابتلاع الأرض لحدثه .
الباب الرابع	: فى ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى أنه كان يتوضأ لكل صلاة .
الباب السادس	: فى جمعه الصلوات بوضوء واحد .
الباب السابع	: فى مسحه على الخفين .
الباب الثامن	: فى ذكر سواكه عليه السلام .
الباب التاسع	: فى صفة غُسْله عليه السلام .

أبواب صلاته

أبواب صومه

أبواب حجه وعمرته

الباب الأول	: فى ذكر إحرامه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر تَلْبيته عليه السلام .
الباب الثالث	: فى دعائه يوم عرفة عليه السلام .
الباب الرابع	: فى ذبح أضحيته بيده صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى طوافه واستلامه الحجر .
الباب السادس	: فى استلامه الركن اليمانى .
الباب السابع	: فى سعيه بين الصفا والمروة .
الباب الثامن	: فى رميه الجَمْرة عليه السلام .
الباب التاسع	: فى دخوله الكعبة عليه السلام .
الباب العاشر	: فى خطبته فى حجة الوداع .
الباب الحادى عشر	: فى سياق حجه جملة .
الباب الثانى عشر	: فى عدد عُمَره عليه السلام .

أبواب خوفه وتضرعه وحزنه وفكره وبكائه وورعه وقصر أمله واستغفاره وتوبته

أبواب دعائه

أبواب آلات بيته

أبواب لباسه

أبواب ذكر مراكبه

الباب الأول : فى ذكر خيله صلى الله عليه وسلم .
الباب الثانى : فى ذكر ناقته عليه السلام .
الباب الثالث : فى ذكر بغلته عليه السلام .
الباب الرابع : فى ذكر حماره عليه السلام .
الباب الخامس : فى ذكر سرجه عليه السلام .
الباب السادس : فيما كان يقوله إذا ركب .

أبواب ذكر مواليه وخدمه عليه السلام

الباب الأول : فى ذكر مواليه عليه السلام .
الباب الثانى : فى ذكر موالياته عليه السلام .
الباب الثالث : فى ذكر من خدمه من الأحرار صلى الله عليه وسلم .

أبواب زينته

الباب الأول	: فى ذكر خاتمه عليه السلام .
الباب الثانى	: فى ذكر خضابه صلى الله عليه وسلم .
الباب الثالث	: فى استعماله المشط .
الباب الرابع	: فى فرق رأسه صلى الله عليه وسلم .
الباب الخامس	: فى استعماله الدهن عليه السلام .
الباب السادس	: فى ذكر المرآة .
الباب السابع	: فى أخذه من اللحية .
الباب الثامن	: فى جز شاربه .
الباب التاسع	: فى استعماله النورة .
الباب العاشر	: فى محبته للطيب وتطيبه .

أبواب أكله ومأكولاته

أبواب شربه ومشروباته

الباب الأول	: فى أنه كان يُستعذب له المـاء .
الباب الثانى	: فى اختياره المـاء البائت .
الباب الثالث	: فى إيثاره المـاء البارد .
الباب الرابع	: فى ذكر الآنية التى كان يشرب منها .
الباب الخامس	: فى شربه اللبن صلى الله عليه وسلم .
الباب السادس	: فى شربه النبيذ وصفة ذلك النبيذ .
الباب السابع	: فى شربه السَّويق .
الباب الثامن	: فى كيفية شربه عليه السلام .
الباب التاسع	: فى تنفسه فى الإناء ثلاثا .
الباب العاشر	: فى شربه قائماً وقاعداً .
الباب الحادى عشر	: فى شربه وأصحابه إذا مقام .
الباب الثانى عشر	: فى مناولته مَن عن يمينه .

أبواب نومه

أبواب طبه

أبواب نكاحه

أبواب سفره

الباب الأول	: فى ذكر اليوم الذى كان يسافر فيه .
الباب الثانى	: فى ذكر ما كان يقوله إذا خرج للسفر .
الباب الثالث	: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّع المسافر .
الباب الرابع	: كيف كان سير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر .
الباب الخامس	: فيما كان يقوله إذا نزل من الليل منزلا .
الباب السادس	: فيما كان يقوله فى السفر .
الباب السابع	: فى ذكر تنفُّله على الراحلة .
الباب الثامن	: فيما كان يقوله إذا رجع من السفر .
الباب التاسع	: فيما كان يصنع إذا قدم من السفر .
الباب العاشر	: فى أنه كان لا يطرق أهله ليلا .

أبواب آلات حربه

الباب الأول : فى ذكر سيفه .
الباب الثانى : فى ذكر درعه .
الباب الثالث : فى ذكر مِغْفَره .
الباب الرابع : فى ذكر قوسه .
الباب الخامس : فى ذكر رمحه .
الباب السادس : فى ذكر حربه .
الباب السابع : فى ذكر رايته ولوائه .
الباب الثامن : فى ذكر قضيبه .
الباب التاسع : فى ذكر عصاته صلى الله عليه وسلم .

أبواب غزواته

الباب الأول : فى ذكر ما كان يقوله إذا غزا .
الباب الثانى : فى ذكر غزوة الأبواء .
الباب الثالث : فى ذكر غزوة بواط .
الباب الرابع : فى ذكر غزوة طلب كُرز بن جابر .
الباب الخامس : فى ذكر غزاة ذى العشيرة .
الباب السادس : فى ذكر غزاة بدر .
الباب السابع : فى ذكر إلقاء رءوس المشركين فى القليب .
الباب الثامن : فى ذكر غزاة بنى قينقاع .
الباب التاسع : فى ذكر غزاة السويق .
الباب العاشر : فى ذكر غزاة قرقرة الكدر .
الباب الحادى عشر : فى ذكر غزاة غطفان .
الباب الثانى عشر : فى ذكر غزاة بنى سليم .
الباب الثالث عشر : فى ذكر غزاة أحد .
الباب الرابع عشر : فى ذكر غزاة حمراء الأسد .
الباب الخامس عشر : فى ذكر غزاة بنى النضير .
الباب السادس عشر : فى ذكر غزاة بدر الموعد .
الباب السابع عشر : فى ذكر غزاة ذات الرقاع .
الباب الثامن عشر : فى ذكر غزاة دومة الجندل .
الباب التاسع عشر : فى ذكر غزاة المريسيع .
الباب العشرون : فى ذكر غزاة الخندق .
الباب الحادى والعشرون : فى ذكر غزاة بنى قريظة .

أبواب سراياه

الباب الأول : فى عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخلفه عن السرايا .

الباب الثانى : فى عدد سراياه صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : فى وصايا السرايا .

الباب الرابع : فى إنكاره مالا يصلح من فعل أمير السرايا .

أبواب مكاتبته الملوك

الباب الأول : فى إرساله إلى المقوقس وكتابه إليه .

الباب الثانى : فى إرساله إلى قيصر .

الباب الثالث : فى ذكر إرساله إلى كسرى وكتابه إليه .

الباب الرابع : فى ذكر إرساله إلى النجاشى وكتابه إليه .

الباب الخامس : فى ذكر إرساله إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسانى .

الباب السادس : فى ذكر إرساله إلى هوذة بن على الحنفى وكتابه إليه .

الباب السابع : فى إرساله إلى جبلة بن الأيهم وكتابه إليه .

الباب الثامن : فى ذكر إرساله إلى ذى الكلاع .

الباب التاسع : فى كتابه إلى فروة الجذامى .

الباب العاشر : فى ذكر كتابه إلى جيفر وعبد بن الجلندى .

الباب الحادى عشر : فى إرساله إلى المنذر .

الباب الثانى عشر : فى ذكر كتابه إلى ملوك حمير .

أبواب ذكر الوفود عليه

أبواب ما جرى بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع

أبواب مرضه ووفاته

الباب الأول : فى أنه سُمَّ صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : فى تقريب أجله له .

الباب الثالث : فى عرضه القرآن على جبريل قبل وفاته .

الباب الرابع : فى ذكر ابتداء المرض به .

الباب الخامس : فى سؤال أبى بكر أن يمرِّضه .

الباب السادس : فى أنه كان يدور على بيوت أزواجه فى مرضه .

الباب السابع : فى اشتداد الوجع عليه .

الباب الثامن : فى أمره أن يُصَبَّ عليه الماء لتقوى نفسه فيعهد .

الباب التاسع : فيما روى أنه أقصَّ من نفسه .

الباب العاشر : فى مدة مرضه وأمره أبا بكر أن يصلى بالناس .

الباب الحادى عشر : فى كونه أراد أن يكتب كتابا لأبى بكر ثم لم يكتب .

الباب الثانى عشر : فى إخراجه شيئاً من المال كان عنده .

الباب الثالث عشر : فى ذكر عتقه عبيده عند الموت .

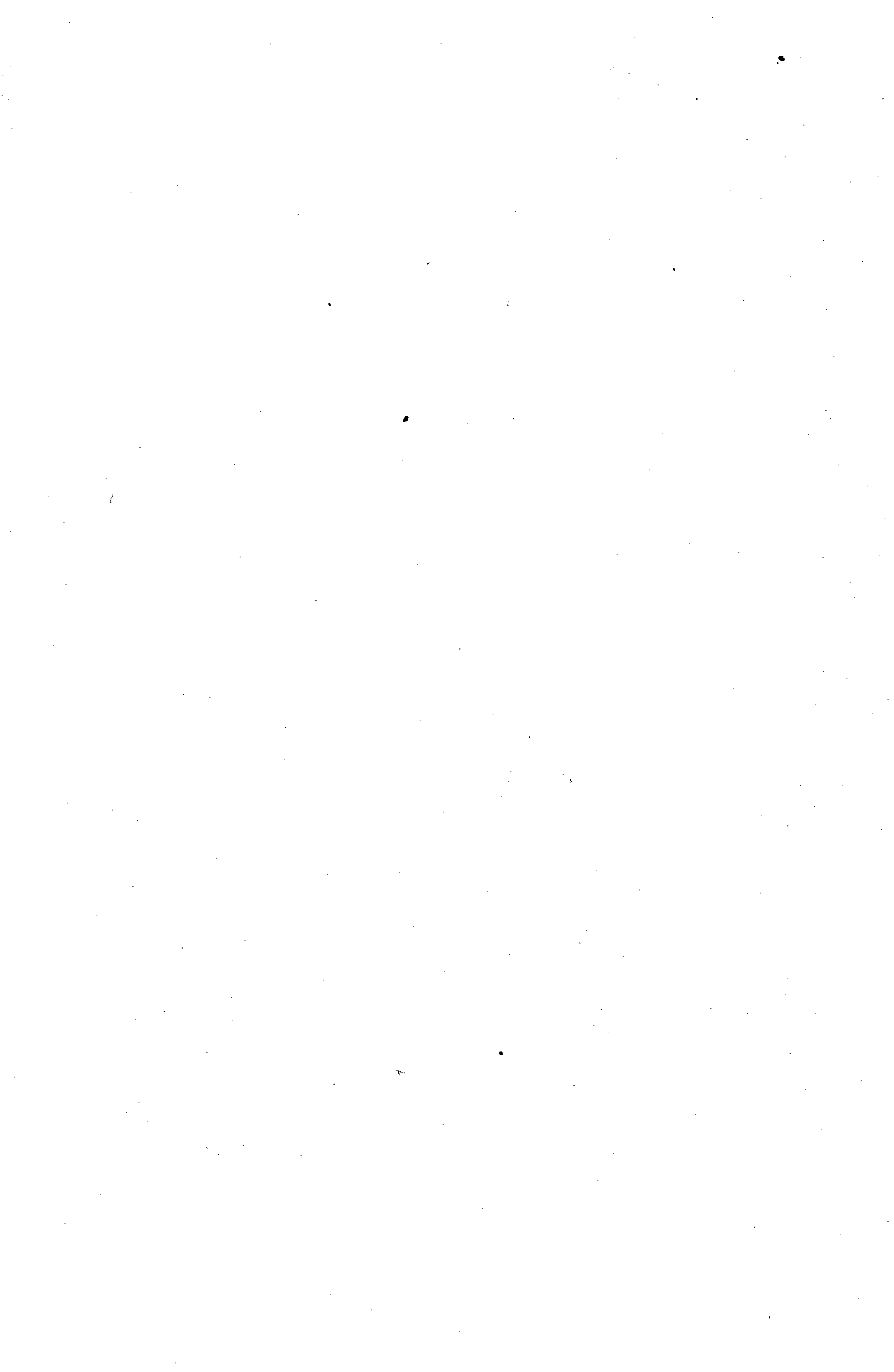
الباب الرابع عشر : فى إعلامه الناس أنه قد خُيِّرَ بين البقاء والموت .

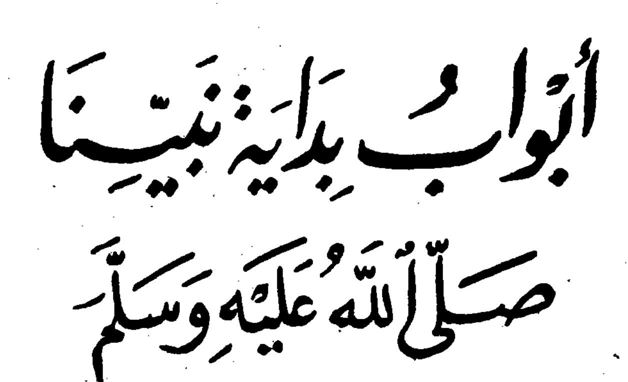
الباب الخامس عشر : فى إعلامه فاطمة ابنته بموته .

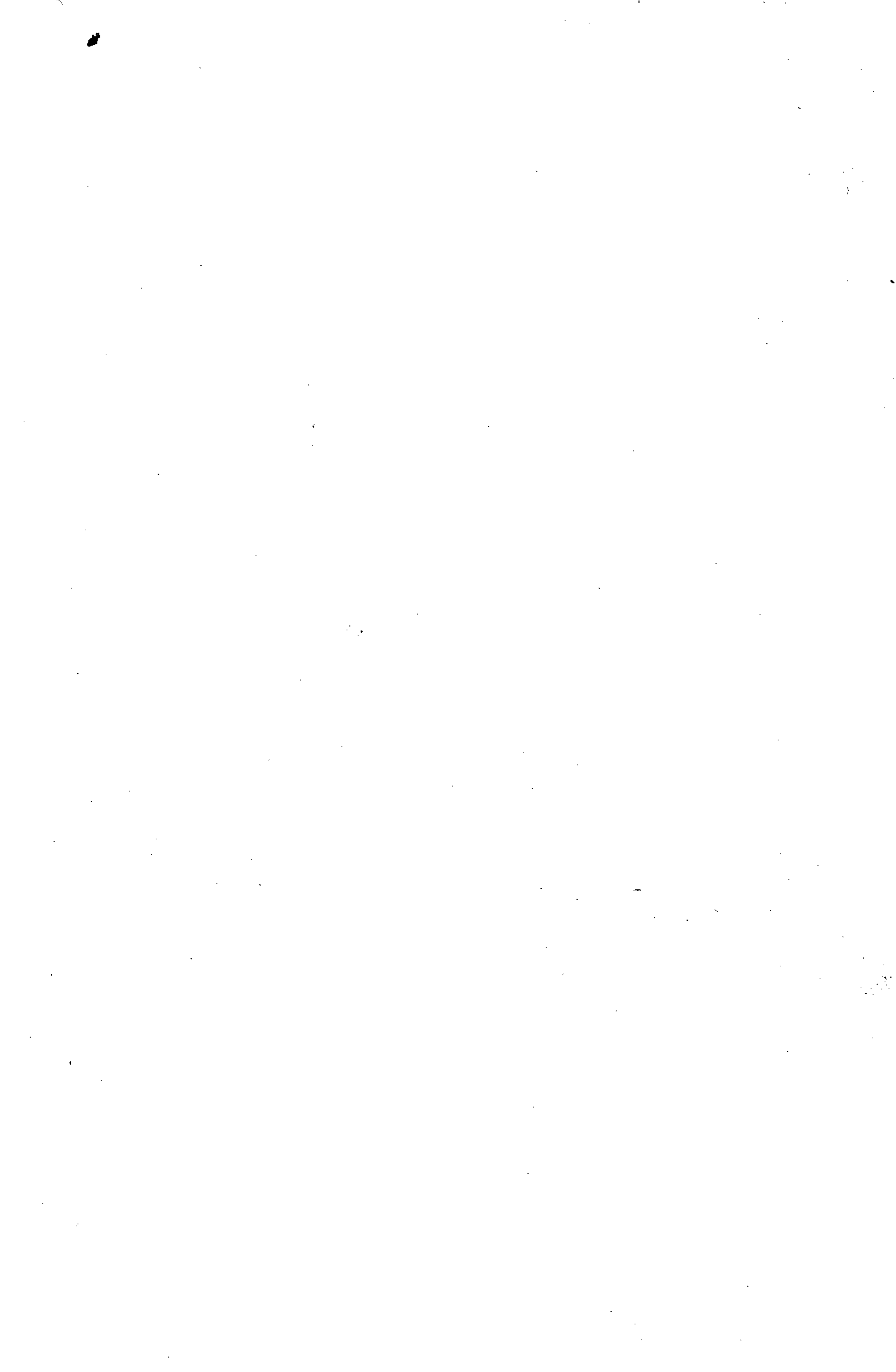
الباب السادس عشر : فى تردد جبريل إليه قبل موته بثلاثة أيام برسالة من الله يسأله عن حاله .

الباب السابع عشر : فى ذكر استعماله السواك قبل موته .

أبواب بعثه وحشره وما يجرى له




أبواب بداية نبينا
صلى الله عليه وسلم



الباب الأول

فى ذكر التنويه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من زمن آدم عليه السلام[1]

● عن العِرْباض بن سارِيَة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند الله لَخَاتَمُ النبيين ، وإن آدم لمُنْجَدلٌ فى طينتِه »[2] .

● عن مَيْسَرة الفَجْر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟ قال : « وآدم بَيْنَ الروح والجسد » .

● عن ميسرة قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيًّا ؟ قال : « لما خلق الله تعالى الأرض ، واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش ، كُتِبَ على ساق العرش (محمد رسول الله ، خاتم الأنبياء) .

وخلق الله تعالى الجنة التى أسكنها آدم وحواء ، فكتب اسمى على الأبواب ، والأوراق ، والقباب والخيام ، وآدمُ بين الروح والجسد .

فلما أحياه الله تعالى ، نظر إلى العرش ، فرأى اسمى .

فأخبره الله تعالى ، أنه سيِّد ولدك .

فلما غرَّهما الشيطان ، تابا واستشفعا باسمى إليه » .

---

(١) يراد بهذا إظهار عظمة الرسول وإشهار كرامته عند الله .

(٢) دلائل النبوة ١٧

● عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصابَ آدمُ الخطيئة ، رفع رأسه فقال : رب بحقِّ محمد إلا غفرتَ لِيَهْ .

فأوحى الله تعالى إليه : وما محمد ؟ ومن محمد ؟

فقال : رب ، إنك لما أتممت خَلْقى ، رفعتُ رأسى إلى عرشك ، فإذا عليه مكتوب « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

فعلمت أنه أكرمُ خلقك عليك ، إذ قرنتَ اسمه مع اسمك .

قال : نعم ، قد غفرت لك ، وهو آخر الأنبياء من ذريتك ، ولولاه ما خلقتك » .

● وقال سعيد بن جبير : اختصم وَلَد آدم : أىُّ الخلق أكرمُ على الله تعالى ؟

فقال بعضهم : آدمُ ، خلقه الله بيده ، وأسْجَد له ملائكته .

وقال آخرون : بل الملائكة الذين لم يعصوا الله .

فذكروا ذلك لآدم ، فقال آدم : لمَّا نُفِخَ فىَّ الروحُ ، لم تبلغ قدمىَّ ، فاستويت جالسا ، فبرق لى العرش ، فنظرت فيه « محمد رسول الله » فذاك أكرمُ الخلق على الله عز وجل .

● عن وهب قال : أوحى الله تعالى إلى آدم : أنا الله ، ذو بكَّة(١) ، أهلُها خيرتى ، وزوارها وَفْدِى ، وفى كنفى(٢) ، [وفيها بيتى] أعمره بأهل السماء وأهل الأرض ، يأتونه أفواجا ، شُعْثا غُبْرًا (٣) ، يَعُجون(٤)

---

(١) أى : صاحب مكة .
(٢) كنفى . أى : فى حفظى وسترى . كما يستفاد من القاموس .
(٣) أى مغبرة رءوسهم . (٤) يعجون : أى يرفعون أصواتهم .

بالتـكبير عجيجا ، ويزجون بالتلبية[١] زجيجا ، ويثجون[٢] بالبكاء ثجيجا .

فمن اعتمده لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ، ووفد إلىَّ ونزل بى ، وحقَّ لى أن أتحفه بكرامتى .

أجعل ذلك البيت ، وذِكره ، وشرفه ومجده ، وسناءه[٣] ، لنبيٍّ من ولدك يقال له إبراهيم .

أرفع له قواعده ، وأقضى على يديه عمارته ، وأنبِط[٤] له سقايته ، وأريه حِلَّه وحَرَمه ، وأعلِّمُه مشاعره .

ثم تَعْمُرُه الأمم والقرون حتى ينتهى إلى نبى من ولدك ، يقال له محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين ، أجعلهُ من سكانه ، وولاته ، وحجابه ، وسقاته .

فمن سأل عنى يومئذ فأنا مع الشُّعْث الغُبْر ، المُوفين بنذرهم ، المقبلين إلى ربهم .

● عن ابن عباس : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : لولا محمد ما خلقت آدم ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فـكتبت عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » فسَـكَن .

---

(١) يزجون بالتلبية هذا مجاز عن إتيانهم بالتلبية كثيراً كما يفهم من أساس البلاغة للزمخشرى .

(٢) يثجون : أى : يكثرون من البكاء، شبه كثرة الدموع السائلة على خدودهم بانصباب الماء من الأماكن المرتفعة .

(٣) سناءه ، أى : رفعته وشرفه كما يستفاد من الصحاح .

(٤) أى أخرج له الماء . والمراد : ماء زمزم .

البابُ الثانى

فى ذكر الطينة التى خلق منها محمد صلى الله عليه وسلم

● عن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً صلى الله عليه وسلم ، أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه .

فأتاه بالقبضة البيضاء ، التى هى موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجنت بماء التَّسْنيم ، ثم غمست فى أنهار الجنة ، وطِيفَ بها فى السموات والأرض .

فعرفت الملائكة محمداً وفَضْله ، قبل أن تعرف آدم .

ثم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم يُرى فى غُرَّة جبهة آدم .

وقيل له : يا آدم ، هذا سيد ولدك من الأنبياء والمرسلين .

فلما حملت حواء بـ « شيث » انتقل عن آدم إلى حواء ، وكانت تلد فى بطن ولدين إلا شِيثاً ، فإنها ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم(١) .

ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر ، إلى أن ولد صلى الله عليه وسلم .

● عن ابن عباس قال : قلت : يا رسول الله ، أين كنت وآدم فى الجنة ؟

---

(١) ومن أين لكعب هذا العلم الذى يخالف سنة الله فى خلقه ، والذى يعارض الواقع ، ولا يؤيده شاهد آخر صحيح ؟ !

قال : « كنت فى صُلْبه ، وأهبط إلى الأرض ، وأنا فى صلبه ، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذفت فى النار ، فى صلب أبى إبراهيم .

لم يلتق لى أبوان قط على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما .

أخذ الله لى بالنبوة ميثاق ، وفى التوراة بشَّر بى ، وفى الإنجيل شهر اسمى .

تشرق الأرض لوجهى ، والسماء لرؤيتى » .

وقال العباس : يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك . فقال له : قل : لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِى الظِّلَالِ وَفِى ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْـ ... ـتَ وَلَا مُضْغَـةٌ وَلَا عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهـلَه الغرَقُ

وَرَدْتَ نَارَ الْخَلِيلِ مُكْتَتِماً ... تَجُولُ فِيهَا وَلَسْتَ تَحْتَرِقُ

تُنْقَلُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيْمِنُ مِنْ ... خِنْدِفٍ(١) عَلْيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

وَأَنْتَ لَمَّا وَرَدْتَ(٢) أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنَحْنُ فِى ذَاكَ الضِّيَاءِ وَفِى النُّو ... رِ وَسُبْلِ الرَّشَـادِ نَخْتَرِقُ(٣)

---

(١) خندف : اسم امرأة الياس بن مضر واسمها ليلى بنت عمران بن قضاعة . اه من هامش تهذيب الصحاح .

(٢) البدء والتاريخ : لما ولدت .

(٣) من العجيب أن المؤلف نفسه حكم على هذا الحديث بالوضع ، وقال : إنه من وضع القصاص . انظر اللآلىء المصنوعة للسيوطى .

الباب الثالث

فى دعاء إبراهيم الخليل بإيجاد محمد صلى الله عليه وسلم

● لما بنى الخليل عليه السلام الكعبة دعا لأهل مكة فقال : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ(١) .

قال السدى عن أشياخه : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

● عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى عند الله ، لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل فى طينته ، وسأخبركم بأول ذلك :

أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين » .

ورواه ليث عن معاوية فقال: وإن أمه رأت — حين وضعته — نورا أضاءت منه قصور الشام .

(١) البقرة الآية ١٢٩ وبقيتها (يتلو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

الباب الرابع

فى بيان ذكره فى التوراة والانجيل
وذكر أمته ، واعتراف علماء أهل الكتاب بذلك(١)

قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ(٢) » والمراد : أنهم يجدون نَعْته .

« يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ » وهو مكارم الأخلاق ، وصلة الأرحام .

« وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ » وهو الشرك .

« وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ » وهو ما كانت العرب تستطيبه .

وقيل : هى الشحوم التى حرمت على بنى إسرائيل ، والبحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى .

« وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » وهى ما كانت العرب تستخبثه ، وما كانوا يستحلون من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .

---

(١) قال أبو نعيم فى دلائل النبوة : « ونعوته وصفاته فى الكتب المنزلة وعند الرهابنة والأساقفة والأحبار من أهل الكتابين ، مستفيضة .
وكانوا يرجعون فى أمر بعثته وإرساله إلى علم متيقن كالضرورى ، لتبشير الأنبياء صلوات الله عليهم به وبإرساله ، وإيصائهم أمتهم بتصديقه إن أدركته ، وما كان فى أيديهم من الكتب والعهود المتقدمة المتواترة عن آبائهم وأسلافهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ » وهى الأثقال التى كانت على بنى إسرائيل ، من تحريم السبت ، والشحوم ، والعروق .

« وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ » قال أبو إسحاق الزجاج : ذِكر الأغلال تمثيلٌ . وكان عليهم أن لا يُقبل فى القتل دية ، وأن لا يعملوا فى السبت ، وأن يُقرِضُوا ما أصابهم من أموال .

● عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : « وإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ(١) » الآية . قال : لم يبعث الله تعالى نبياً ، آدم ومَن بعده ، إلا أخذ عليه العهد ، فى محمد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث وهو حَىٌّ ليؤمنن به ، ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه .

● عن قتادة : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ » .

قال : هذا ميثاقٌ أخذه الله تعالى على النبيين ، أن يصدق بعضهم بعضا .

وأخذ مواثيق أهل الكتاب فيما بلغتهم رسلهم ، أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوه .

● عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة .

قال : أجَلْ . والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً(٢) » ، وحرزاً للأميّين .

---

(١) سورة آل عمران ٨١ (٢) سورة الأحزاب آية ٤٥

أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، لست بفظّ ولا غليظ ولا صَخّاب فى الأسواق ، ولا تجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن تجزى وتعفو .

ولن يقبضه الله ، حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا « لا إله إلا الله » ، فيفتتح به أعيناً عميا ، وآذانا صماً وقلوباً غُلفاً » .

انفرد بإخراجه البخارى .

● عن عبد الله بن سَلام قال : صفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو ويصفح ، ولن أتوفاه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به آذاناً صُماً وقلوباً غُلفاً وأعيناً عمياً ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله .

● عن ابن عباس أنه سأل كعباً كيف تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟

قال : نجده : محمدٌ رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجَرُه إلى طابَة[1] ، ويكون مُلـكه بالشام .

ليس بفحاش ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يكافىء بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو .

وقال كعب : نجده مكتوباً : محمد رسول الله ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو ويغفر .

وأمته : الحمادون ، يكبرون الله على كل نَجد[2] ، ويحمدونه فى كل منزلة .

---

(١) يعنى : المدينة المنورة .

(٢) أى مرتفع من الأرض .

يأتزرون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، بهم ينادَى في جو السماء .

صَفُّهم في القتال ، وصفهم في الصلاة ، سواء ، لهم بالليل دوِىّ كدوىّ النحل ، مولده بمكة ، ومهاجرهُ بطابة .

● عن كعب قال في الشطر الأول : محمد رسول الله ، عبدى المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطَيبة ، ومُلـكه بالشام .

في الشطر الثاني : محمدٌ رسول الله ، أمته الحامدون ، يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل شَرف(١) .

رعاةُ الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم .

وأصواتهم بالليل [في] جو السماء ، أصوات النحل .

● عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى لما نزلت التوراة وقرأها ، وجد فيها ذكرَ هذه الأمة » .

قال : رب ، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون ، المشفوع لهم ، فاجعلها أمتى » .

قال : تلك أمة محمد .

---

(١) أى مرتفع من الارض .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة ، هم المستجيبون المستجاب لهم ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم ، يقرءونه ظاهراً ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها . فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب إنى أجد فى الألواح أمة يُؤتَون(١) العلم الأول والعلم الآخر ، يقتلون قرن الضلالة ، المسيح الدجال ، فاجعلها أمتى .

قال : تلك أمة أحمد .

قال رب : فاجعلنى من أمة أحمد ، فَأُعْطَى عند ذلك خصلتين .

قال : يا موسى ، إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى ، فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٢) .

---

(١) أى : يعطيهم الله العلم . (٢) الأعراف آية ١٤٤ .

قال : قد رضيت رب(١) .

• وروى أن كعب الأحبار رأى حَبرا من اليهود يبكى .

فقال له : ما يبكيك ؟

قال ذكرت بعض الأمر .

فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتَصْدُقَنِّى ؟

قال : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى عليه السلام نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمةً خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتى ؟

قال : تلك أمة أحمد .

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل : أن موسى نظر فى التوراة فقال « رب إنى أجد أمة هم الحمَّادون ، رعاة الشمس المحكَّمون ، إذا أرادوا أمرًا قالوا : نفعله إن شاء الله . فاجعلهم أمتى ؟

قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم .

---

(١) ذكره أبو نعيم فى دلائل النبوة ٣١ وقال عنه : وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل ، لا أعلم أحدا رواه مرفوعا إلا من هذا الوجه ، تفرد به الربيع ابن النعمان ، وبغيره من الأحاديث ، عن سهيل ، وفيه لين .

قال : فأنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد أمة إذا أشْرف(١) أحدهم على شرف كبَّر الله ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيدُ لهم طهُور ، والأرض لهم مسجد ، حيث ما كانوا ، مطهَّرون من الجنابة ، طهُورهم بالصَّعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غُرٌّ محجَّلُون من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء ، يرثون الكتاب ، الذين اصطفيتهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا أجد أحداً منهم إلا مرحوماً ، فاجعلهم أمتى .

قال : هم أمة أحمد يا موسى .

قال الحبر : نعم .

قال : أنشدك الله ، هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد فى التوراة أمةً مصاحفهم فى صدورهم ، يَصفُّون فى صلاتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم فى مساجدهم كَدوِىِّ النحل ، لا يدخل النار منهم أحد ، إلا من برئ من الحسنات ، مثل ما برئ الحجر من الشجر ، فاجعلهم أمتى .

قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟

قال الحبر : نعم .

---

(١) قوله : إذا أشرف أحدهم على شرف الخ يعنى إذا صعد مرتفعاً من الأرض .

فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدا ، وأمته ، قال : ليتنى من أصحاب محمد : فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن :

« يَا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ(١) » الآية .

وقال تعالى : « وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ(٢) » .

فرضى موسى ، كلّ الرضا .

● عن كعب أنه سمع رجلا يقول : إنى رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا للحساب ، فدُعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبى أمته ، ورأى لكل نبى نورين ، ولكلٍّ من اتبعه نوراً يمشى به .

فدعى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما .

فقال كعب ، وهو لا يشعر أنها رؤيا : من حدّثك هذا ؟ قال : أنا ، والله الذى لا إله إلا هو ، رأيتُ هذا المنام .

فقال : بالله الذى لا إله إلا هو ، لقد رأيتَ هذا فى منامك ؟ قال : نعم :

قال : والذى نفس كعب بيده ، أو ، والذى نّفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده ، إنها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وصفة الأنبياء وأممها فى كتاب الله ، لكأنما قرأه من التوراة .

---

(١) سورة الأعراف ١٤٤ ، ١٤٥   (٢) سورة الأعراف ١٥٩

• وقال ابن أبى نملة : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويُعلمون الولدان بصفته واسمه ، ومُهاجره[١] المدينة ، فلما ظهر ، حسدوا وبغوا وأنكروا[٢] .

• وقال أبو سعيد الخدرى : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوما لأتحدث فيهم ، ونحن - يومئذ - فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظلَّ خروجُ نبى يقال له أحمد : يخرج من الحرم .

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى ، كالمستهزئ به .

ما صفته ؟

قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّملة ، ويركب الحمار ، وهذا البلد مُهاجَره .

قال : فرجعت إلى قومى - بنى خدرة - وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلا منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟ ! كل يهود يثرب[٣] تقول هذا .

قال أبى مالك بن سنان : فخرجت حتى جئت بنى قريظة فأخذوا جميعاً فتذاكروا النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا لخروج نبى وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، وهذه مُهَاجَره .

قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر .

---

(١) موضع هجرته .
(٢) دلائل النبوة ٤٠ .
(٣) يثرب : اسم للمدينة المنورة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود ، لأسلمت يهودُ كلها ، إنما هم له تبع .

وقال محمد بن مسلمة : لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودى واحد ، يقال له يوشع ، فسمعته يقول وأنا غلام : قد أظلَّكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت ـ ثم أشار بيده إلى بيت الله تعالى ـ فمن أدركه فليصدقه .

فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ، وهو بين أظهُرنا ولم يُسلم ، حسداً وبغيا .

● عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : ما كان فى الأوس والخزرج رجل أوْصفَ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبى عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذه دار هجرته .

ثم خرج إلى يهود تيماء ، فأخبروه بمثل ذلك .

ثم خرج إلى الشام ، فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن مهاجره يثرب .

فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا دِيِّن على دين الحنيفية .

وأقام مترهبا، ولبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم عليه السلام ، وأنه ينتظر خروج النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، لم يخرج إليه ، وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، حسد وبغَى ، ونافق .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، بم بعثت ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : بالحنيفية ، دين إبراهيم .

[قال : فأنا عليها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها][1] .

فقال : أنت تخلطها بغيرها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيتُ بها بيضاء نقية ، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتى ؟

فقال : لستَ بالذى وصفوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبت .

فقال : ما كذبتُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكاذبُ أماته الله وحيداً طريدا .

فقال : آمين .

ثم رجع إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم ، وترك ما كان عليه .

وفى رواية أخرى : فلما أسلم أهلُ الطائف ، لحق بالشام فمات بها طريدا وحيداً غريبا .

● وقال ابن عباس : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ، برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعَثِهِ .

فلما بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

---

(١) من دلائل النبوة .

فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البرَاء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، قد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه[١] لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم : ما هو بالذى كنا نذكر لكم ، ما جاءنا بشىء نعرفه .

فأنزل الله تعالى فى ذلك مِنْ قولهم « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِين »[٢] .

يقول : يستنصرون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى العرب .

يعنى بذلك : أهل الكتاب .

فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، ورأوه من غيرهم ، كفروا به ، وحسدوه .

عن قتادة « وكانوا يستفتحون على الذين كفروا » قال :

كانت يهود ، تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب ، كانوا يقولون : اللهم ابعث النبىَّ الذى نجدُه فى التوراة ، نعذبهم ونقتلهم .

فلما بُعثَ منْ غيرهم ، كفروا به ، حسداً للعرب .

● وقال المغيرة بن شُعبة : إنه دخل على المقوْقس ، وإنه قال له : إن محمدًا نبي مُرْسل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه .

---

(١) الأصل : وتصفوه .   (٢) سورة البقرة ٨٩ .

قال المغيرة : فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتُها وسألت أساقفها ، من قبطها ، وروميها ، عمَّا يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أسْقُف من القبط هو رأسُ كنيسة أبى يحنس(١) ، كانوا يأتونه بمرضاهم فيدعو لهم ، لم أر أحداً قط يصلى الصلوات الخمس أشدَّ اجتهادا منه .

فقلت : أخبرنى ، هل بقى أحدٌ من الأنبياء ؟

قال : نعم ، وهو آخر الأنبياء ، ليس بيْنه وبين عيسى بن مريم أحدٌ ، وهو نبى قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبى الأمىُّ العربى ، اسمه أحمد .

ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حُمْرة .

وليس بالأبيض ولا بالآدم .

يُعْفِى(٢) شعْره ، ويلبْس ما غلُظ من الثياب ويجتزئ(٣) . بالقليل من الطعام ، سيفه على عاتقه ، ولا يُبالى من لاقى ، يباشر القتال بنفسه .

ومعه أصحابُه يَفْدونه بأنفسهم ، هم له أشد حُبًّا من أولادهم وآبائهم .

يخرج(٤) من أرض القَرَظ(٥) ومن حرم يأتى إلى حرم .

ويهاجر إلى أرضٍ ذات سباخ ونخل ، يدين بدين إبراهيم عليه السلام .

قال المغيرة بن شعبة : زِدْنِى فى صفته .

قال : يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، ويُخَصُّ بما لا يُخَصُّ به الأنبياء قبله .

---

(١) دلائل النبوة : أبى غنى . أو أبى غنثم .

(٢) أى لا يحلق شعره . (٣) أى يكتفى .

(٤) بالأصل محرفة : نخرج . (٥) القرظ : ورق شجر السلم .

كان النبي يبعث إلى قومه ، وبُعث (صلى الله عليه وسلم) إلى الناس كافة .

وجُعلت له الأرض مسجدا وطهورا أيما أدركته الصلاة تيمم ويصلى .

من كان قبله مشدَّدٌ عليه ، لا يُصلون إلا فى الكنائس والبيع .

ثم إن المغيرة جاء فأسلم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع ذلك ، فأعجبه[1] أن يسمعه أصحابه .

قال : فكنت أحدثهم ذلك ، فى اليومين والثلاثة[2] .

● ورُوِىَ أن ورقة بن نوفل ، وزيد بن سعيد خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموْصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت ؟

فقال : منْ بيت إبراهيم .

قال : وما تلتمس ؟

قال : ألتمس الدين .

قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهرَ الذى تطلب فى أرضك .

فرجع وهو يقول :

لبَّيْك حقًّا حقا ، تعبُّدًا ورِقًّا .

● عن خليفة بن عبدة المنقرى قال : سألت محمدَ بن عدىّ : كيف سمَّاك أبوك محمدًا .

قال : أمَا إنى سألتُ أبى عما سألتنى عنه ، فقال :

---

(١) أى : أحب النبي أن يسمع أصحابه كلام المغيرة .

(٢) كذا فى دلائل النبوة . وقد حرفت فى الأصل : قلت أحدثهم بذلك . هذا وقد ذكر أبو نعيم هذا الخبر مفصلا فى دلائل النبوة ، واختصره ابن الجوزي .

خرجتُ رابع أربعة من بنى تميم ، أنا أحدهم ، وسفيان بن مُجاشع ابن دارم ، ويزيد بن عمرو بن ربيعة ، وأسامة بن مالك بن جنْدب ، نريد ابن جفْنة الغسَّانى .

فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقُرْبه ديرٌ ، وفيه ديرانى ، فأشرف علينا وقال : إن هذه اللغة ما هى لأهل هذا البلد .

قلنا : نعم نحن قومٌ من مُضر .

قال : من أىِّ المضرين .

قلنا : من خنْدف .

قال أما إنه سيبعث فيكم وشيكا(١) نبىٌّ فسارعوا إليه ، وخذوا بحظكم منه ترْشدوا ، فإنه خاتم النبيين ، واسمه محمد .

فلما انصرفنا من عند ابن جفْنة وصرنا إلى أهلنا ، ولد لكلِّ رجل منا غلام ، فسماه محمداً .

● عن سلمة بن سلامة بن وقش قال : كان لنا جارٌ من يهود فى بنى عبد الأشهل .

قال : فخرج علينا يوما من بيته ، قبل مَبعث النبى صلى الله عليه وسلم بيسير ، حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل .

قال سلمة : وأنا يومئذ ، أحدَث(٢) من فيه سناً ، علىّ بُرْدة مضطجع فيها بفناء أهلى .

فذكر البعث والقيامة والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار .

---

(١) أى : قريباً . (٢) أى : أصغر .

فقال ذلك لقومٍ أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يرَوْن أن بعثاً كائن بعد الموت .

فقالوا : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ ، فيها جنة ونار ، يجزون فيها بأعمالهم ؟ .

قال : نعم ، والذى يحلف به ، لودَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تَنُّور يُحْمونه فى الدار ، ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له : ويحك ! وما آية ذلك ؟

قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده نحو مكة ، واليمن .

قالوا : ومتى نراه ؟

قال : فنظر إلىّ وأنا من أحْدثهم سنا ، قال : إن يستنفد هذا الغلام عُمره يُدْركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنَّا به ، وكفر به حسداً وبغياً .

فقلنا له : ويلك يا فلان ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ !

قال : بلى ، وليس به .

● عن ابن مسعود : أن الله تعالى ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، وذلك أنه دخل الكنيسة فإذا هو بيهود . وإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة .

فلما أتوا على صفة النبى صلى الله عليه وسلم أمسكوا ، وفى ناحيتها رجل مريض .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مالكم أمسكتم ؟

قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا . حتى جاء المريض يحبو ، حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : هذه صفتك ، وصفة أمتك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . ثم مات[١] .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ادفنوا أخاكم .

• عن أُبيّ بن كعب قال : لمّا قدم تُبّعٌ المدينة ونزل بقناة[٢] بعث إلى أحبار يهود ، فقال : إنى مُخْرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهوديةٌ ويرجع الأمر إلى دين العرب .

فقال له ساموكُ اليهوديُّ ، وهو أعلمهم يومئذ :

أيها الملك : إن هذا بلدٌ يكون إليه مهاجَرُ نبي من ولد اسماعيل ، مَولدُه مكة ، اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذى أنت به ، يكون به من القتل والجراح ، أمرٌ كثير فى أصحابه ، وفى عدوهم .

قال تُبّع : ومنْ يقاتله يومئذ وهو نبي كما يزعمون ؟

قال : يسير إليه قومُه فيقتتلون هاهنا .

قال : فأين قبرُه ؟

قال : بهذا البلد .

قال : فإذا قوتل لمن تكون الدائرة ؟

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة ، ورواه ابن كثير باختلاف .
(٢) فى أعلام النبوة للماوردى : ونزل بسفح أحد .

قال : تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ، ويُقْتل به أصحابه قتلا لم يقتلوه فى مَوْطن ، ثم تكون له العاقبة ، ثم يظهر ، فلا ينازعه هذا الأمر أحد .

قال : وما صفته ؟

قال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يركب البعير ويلبس الشَّملة ، سيفهُ على عاتقه ، لا يبالى بمن لاقاه ، من أخ ، أو ابن عم ، أو عم حتى يظهر أمره .

قال تبع : مالى إلى هذه البلدة من سبيل ، وما كان ليكون خرابها على يدى .

فخرج تُبَّع منصرفا إلى اليمن .

قال عبد الله بن سلام : لم يمت تُبع حتى صدق بالنبى صلى الله عايه وسلم لِمَا كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبعا مات مُسْلما .

● عن الزبير بن باطا ، وكان أعلم اليهود قال : إنى وجدت سِفْرا كان أبى يختمه علىَّ ، فيه ذكر أحمد ، نبى يخرج بأرض القَرظ ، صفته كذا وكذا .

فيحدث به الزبير بعد أبيه والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ لم يبعث .

فما هو إلا أن سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة عمد إلى ذلك السِّفر فمحاه ، وكتم شأن النبى صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقال : ليس به .

● عن ابن عباس قال : كانت يهود « قريظة » و « النضير » و « فَدَك »

و « خيبر » يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، وأن دار هجرته المدينة .

فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة : هذا الكوكب قد طلع .

فلما تنبأ قالوا : تنبأ أحمد ، قد طلع الكوكب .

كانوا يعرفون ذلك وُيقِرُّون به ويصفونه ، إلا الحسد والبغى ! ! .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بـ« منى » تجارات ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟

قالوا : لا نعلمه .

قال : انظروا يا معاشر قريش ، أحصوا ما أقول لكم : ولد الليلة ، نبيُّ هذه الأمة « أحمد » ، وبه شامة بين كتفيه ، فيها شعرات .

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه ، فلما صاروا فى منازلهم ، ذكروا ذلك لأهاليهم .

فقيل لبعضهم : ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام ، وسماه محمداً .

وأتوا اليهودى فى منزله ، فقالوا : علمنا أنه ولد فينا مولود .

قال : أبعد خبرى ، أم قبله ؟ قالوا : قبله ، واسمه « أحمد » .

قال : فاذهبوا بنا إليه .

فخرجوا معه حتى دخلوا على آمنة رضى الله عنها ، فأخرجته إليهم ، فرأى الشامة بظهره ، فَغُشِىَ على اليهودى ، ثم أفاق . قالوا : مالك ويلك ؟

قال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب ، أنه يقتلهم ، ويُبيد أحبارهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطُوَنَّ بكم سطوة ، يخرج نبؤها من المشرق والمغرب .

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس[1] فقال : أخرِجوا إلىَّ أعلمَكم .

فقالوا : عبد الله بن صوريا .

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشده بدينه ، وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى ، وظللهم من الغمام ، أتعلم أنى رسول الله ؟

قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لَمُبَيَّنٌ فى التوراة ، ولكن حسدوك .

قال : فما يمنعك أنت ؟

قال : أكره خلافَ قومى ، عسى أن يتبعوك ويسلموا ، فأسلم .

• وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقة التوراة القرآن .

فقالوا : يا عمر ، ما أحدٌ أحب إلينا منك ، لأنك تغشانا .

قلت : إنما أجىء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً .

فبينا أنا عندهم ذات يوم ، إذ مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذا صاحبك .

---

(١) بيت المدارس : البيت الذى يدرس فيه اليهود .

فقلت : أنشدكم الله ، وما أنزل عليكم من الكتاب ، أتعلمون أنه رسول الله ؟

قال سيدهم : نشدكم الله فأخبروه .

فقالوا : أنت سيدنا ، فأخبرْه .

فقال : إنا نعلم أنه رسول الله .

قلت : فما(١) أهلككم ، إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه .

قالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ، وسِلْما من الملائكة .

عدوُّنا جبريل ، وهو ملك الفظاظة والغلظة .

وسِلْمنا ، ميكائيل ، وهو ملك الرأفة واللين .

قلت : فإنى أشهد ، ما يحل لجبريل أن يعادى سِلم ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل !

ثم قمت ، فاستقبلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ألا أقرأتك آيات نزلت عَلَىَّ قبلُ ؟

فتلا : « قُلْ : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ(٢) » .

فقلت : والذى بعثك بالحق ، ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود ، فإذا اللطيف الخبير قد سبقنى !

قال عمر : فلقد رأيتُنى فى دين الله أصلبَ من الحجَر .

---

(١) الأصل : فإنى أهلككم .
(٢) سورة البقرة ٩٧ .

• عن أبى سفيان بن حرب قال : خرجت أنا وأمية بن أبى الصَّلت تجاراً إلى الشام ، فكنا كلما نزلنا منزلا أخرجَ من رَحْله سِفْراً يقرؤه علينا .

فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى ، فرأوه وعرفوه ، وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بَيْعَتِهم ، ثم رجع فى وسط النهار ، فطرح ثوبيه ، واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان ، هل لك فى عالِم من علماء النصارى ، إليه تناهى علم الكتب ، تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا .

فمضى هو وحده ، وجاءنا بعد هَدْأة من الليل ، فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح .

وأصبح كئيبا حزينا ، ما يكلمنا ولا نكلمه .

فسرنا ليلتين ، على ما به من الهم .

فقلت له : ما رأيت مثل الذى رجعتَ به من عند صاحبك .

قال : لِمُنْقَلبى .

قلت : وهل لك من مُنْقَلب ؟

قال : إى والله ، لأموتن ولأُحاسبَنَّ .

قلت : فهل أنت قابلٌ أمانِى ؟

قال : عَلَى ماذا ؟ قلت : على أنك لا تُبعَث ولا تُحاسَب .

فضحك وقال : بلى والله ، لَتُبعثَنَّ ولَتُحاسَبَنَّ ، ولَيدْخُلَنَّ فريق فى الجنة وفريق فى النار .

قلت : فني أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟

قال : لا علم لصاحبي بذلك فيّ ، ولا في نفسه .

فكنا في ذلك ليلتنا ، يعجب منا ونضحك منه ، حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين .

ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى ، فلما رأوه جاءوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاءنا مع نصف النهار .

فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ، حتى جاءنا بعد هَدأة من الليل ، فطرح ثوبيه ، ثم رمى بنفسه على فراشه .

فوالله ما نام ولا قام ، فأصبح مبثوثاً حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى ، ثم قال : يا صخر ، حدِّثني عن عُتبة بن ربيعة : أيجتنب المحارم والمظالم ؟

قلت : إى والله .

قال : ويَصِلُ الرحم ويأمر بصلتها ؟

قلت : نعم .

قال : وكريم(١) الطرفين ، وسط في العشيرة ؟ قلت : نعم .

قال : فهل تعلم قُرشيا أشرف منه ؟

قلت : لا والله .

قال : أمُحْوجٌ هو ؟

قلت : لا ، بل ذو مال كثير .

---

(١) بالأصل محرفة : ذكرتم الطرفين .

قال : كم أتى له من السنين ؟ قلت : هو ابن سبعين قد قاربها .

قال : فالسن والشرف ، أزْرَيا به ؟

قلت : لا والله ، بل زاداه خيراً . قال : هو ذاك .

ثم إن الذى رأيتَ بى أنى جئت هذا العالِم ، فسألته عن الذى يُنتظر .

فقال : هو رجل من العرب ، من أهل بيت تحجه العرب .

فقلت : فينا بيت تحجُّه العرب ؟

قال : هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش .

فأصابنى شيء ، ما أصابنى مثله ، إذ خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة ، وكنت أرجو أن أكون أنا هو .

قلت : فصِفْه لى .

قال : رجل شابٌّ حين دخل فى الكهولة .

بدء أمره ، أنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ، ويأمر بصلتها .

وهو مُحْوج ، كريم الطرفين ، متوسط فى العشيرة ، أكثر جنده من الملائكة .

قلت : وما آية ذلك ؟

قال : قد رجفت الشام ـ منذ رفع عيسى بن مريم ـ ثمانين رجفة ، كلها فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة ، فيها مصيبة ، يخرج على أثرها .

فقلت : هذا هو الباطل ، لئن بعث الله رسولا ، لا يأخذه إلا مُسِنًّا شريفا .

قال أمية : والذى يحلف به ، إنه لهكذا .

فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان ، أدركنا راكب من خلفنا ، فإذا هو يقول : أصابت الشام بعدكم رجفة ، دُمِّر أهلها فيها ، وأصابتهم مصائب عظيمة .

فقال أمية : كيف ترى يا أبا سفيان ؟

فقلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقا .

وقدمنا مكة ، ثم انطلقتُ حتى جئت أرض الحبشة تاجرا ، فمكثت فيها خمسة أشهر ، ثم قدمت مكة .

فجاء الناس يسلِّمون عليَّ وفي آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهندُ تلاعب صبيانها ، فسلم عليَّ ورحَّب بي ، وسألني عن سَفري ومقدَمي ، ثم انطلق . فقلت : والله إن هذا الفتى لعجب ! ما جاءني أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألني عنها ، وما بلَغتْ . ووالله إن له معي لبضاعة ما هو بأغنام عنها ، ثم ما سألني عنها .

فقالت : أو ما علمتَ بشأنه ؟

فقلت وفزعت : وما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله !

فذكرتُ قول النصارى ووجمتُ(١) .

ثم قدمتُ الطائفَ فنزلتُ على أمية ، فقلت : هل تذكر حديث النصارى ؟ قال : نعم .

قلت : قد كان .

قال : ومن ؟

قلت : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فتصبَّب عرقا ، وقال : إنْ ظَهَر وأنا حيٌّ لأُبلين الله(٢) في نصره ، عذرا .

---

(١) وجمت . أي : سكتُّ . (٢) لأبلين الله : أي لأبذلن ما أستطيع في نصرته .

فعدت من اليمن ، فنزلت على أمية ، فقلت : قد كان من أمر الرجل ما بلغك ، فأين أنت منه ؟

قال : والله ما كنت لأومن برسول من غير ثقيف أبداً ! !

● عن عاصم بن عمر بن قَتادة عن رجال من قومه قالوا[١] إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لَمّا كنا نسمعُ من يهود .

كنا أهل شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور .

فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقاربَ زمان نبيٍّ يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه ، قتلَ عاد وإرم .

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم : فلما بعث الله رسوله ، أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به .

فبادرنا إليه ، فآمنا به وكفروا .

ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ـ إلى قوله ـ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ[٢] » .

قال عاصم : وقال لى شيخ من بنى قريظة : هل تدرون عما كان إسلام ثعلبة وأسد ، ابنى سعية ، وأسدُ بن عبيد ، نفر من بنى ذهل ، إخوة بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام ؟

قلت : لا أدرى .

---

(١) الأصل : عن رجل من قوم قتادة قال : وهو تحريف . والتصويب من ابن هشام .

(٢) البقرة ٨٩ .

قال : فإن رجلا من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيِّبان ، قدم علينا قبل الإسلام ، فحلّ بين أظهرنا .

فما رأينا رجلا لا يصلى الخمس ، أفضل منه ، وكان إذا قحط المطر ، استسقى لنا ، فَنُسْقَى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر يهود ، ما ترون أخرجنى إلى أرض الجوع والبؤس ؟

قلنا : أنت أعلم .

قال : فإنى قدمت هذه البلدة ، أتوكَّفُ خروج نبى قد أظَلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تُسبَقُنَّ إليه .

يا معشر اليهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسَبْى الذرارى والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قُريظة قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحداثا : يا بنى قريظة ، والله إنه النبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان .

قالوا : ليس به .

قالوا : بلى والله ، إنه لَهُوَ . فنزلوا فأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهاليهم .

● عن سَلمان الفارسى رضى الله عنه أنه صحب الرهبان فى طلب الدين ، إلى أن قال له آخر من صحبه : أى بنى : والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس بمكان تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى

مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرض بين حرَّتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة .

● وقال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بُصرى ، فإذا راهب فى صومعته يقول : سلوا أهل الموسم : هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟

قال طلحة : فقلت : نعم ، أنا .

قال لى : ظهر بمكة بعدُ أحمدُ ؟

قلت : ومن أحمد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، ومَخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل ، وحَرة ، وسباخ .

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال الراهب .

فخرجت حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث ؟

قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، تنبَّأ ، وتابَعه ابن أبى قُحَافة .

فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فأخبرته وقلت له : اتبعت هذا الرجل ؟

قال : نعم ، انطلق فتابِعه ، فإنه يدعو إلى الحق . وذهب أبو بكر معه .

قال طلحة : فأتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب وما قال لى .

● عن جُبَير بن مُطْعم : لما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فظهر أمره بمكة خرجتُ إلى الشام .

فلما كنت ببُصرى ، أتانى جماعة من النصاوى ، فقالوا لى : أَمِنْ أهل الحرم أنت ؟

قلت : نعم .

قالوا : فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟

قلت : نعم .

فأخذوا بيدى ، وأدخلونى دَيْراً لهم ، فيه تماثيل وصور .

فقالوا : انظر ، هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم ؟

فنظرت ، فلم أر صورته .

قلت : لا أرى صورته .

فأدخلونى ديراً أكبر من ذاك ، فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما فى ذلك الدير .

فقالوا لى : انظر ، هل ترى صورته ؟

فنظرت ، فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته .

وإذا أنا بصفة أبى بكر وصورته ، آخذٌ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقالوا لى : هل ترى صفته ؟

قلت : نعم .

قلت : لا أخبرهم ، حتى أعرف ما يقولون .

قالوا : هل هو هذا ؟

قلت : نعم .

فأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو .

قالوا : تعرف هذا الذى آخذٌ بعقبه ؟

قلت : نعم .

قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم ، وأن هذا الخليفة من بعده[١] .

• عن جبير بن مطعم قال : كنت أكره أذى قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظننت أنهم سيقتلونه ، خرجت حتى لحقت بدير من الديارات ، فذهب أهل الدير إلى رئيسهم فأخبروه ، فقال : أقيموا له حقه الذى ينبغى له ثلاثاً .

فلما مرت ثلاث أحضروه الصورة .

قال : قلت ما رأيت شيئاً أشبه بشىء من هذه الصورة .

قال : فتخاف أن يقتلوه ؟

قلت : أظنهم قد فرغوا منه .

قال : والله لا يقتلونه ، وليَقْتُلَنَّ من يريد قتله ، وإنه لنبى ، ولَيُظْهِرَنَّه الله تعالى .

• عن صفية بنت حُيىّ قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء ، غدا عليه أبى : حُيَىُّ بن أخطب ، وعمى أبو ياسر ابن أخطب مغلسين .

قالت : فلم يرجعا ، حتى كان غروب الشمس .

فأتيا كالَّيْنِ كسلانين ساقطين ، يمشيان الْهُوَيْنا .

---

(١) دلائل النبوة ١٨ .

فهششت إليهما ، فما التفت إلىَّ أحد منهما ، مع ما بهما من الهم .

فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله .

قال : أتثبته وتعرفه ؟ قال : نعم .

قال : فما فى نفسك منه ؟ قال عداوته والله ، ما بقيتُ أبداً(١) .

● ومن حديث مُخَيْرِيق وكان حَبراً عالماً كثير المال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أُحُد ، وكان يوم السبت .

فقال : يا معشر اليهود ،والله إنكم لتعلمون أن نَصْر محمد عليكم لحقٌ .

قالوا : فإن اليوم ، يوم السبت .

قال : لا سبت .

ثم أخذ سلاحه وخرج ، حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم بـ « أُحد » ، وكان يوم السبت ، وعهد إلى مَن وراءه من قومه : إن قُتِلتُ هذا اليوم فمالى لمحمد ، يصنع فيه ما أراه الله تعالى .

فقاتل حتى قتل .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول : مخيريق ، خير يهود .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله .

فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم منها .

---

(١) دلائل النبوة ٣٩ .

• عن ابن عباس : أن قريشاً اجتمعوا ، فيهم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وأبو جهل ، وأمية ، وأبيّ ، ابنا خلف ، والأسود ابن المطلب ، وسائر قريش .

فبعثوا منهم خمسة رهط ، منهم عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث إلى المدينة ، يسألون اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صفته ومبعثه .

وقالوا : يزعم أنه نبي ، واسمه محمد ، وهو يتيم فقير .

وإنا نزعم أنه يتعلم من مسيلمة الكذاب .

فقالوا : نجد نعته وصفته في التوراة ، وخاتم النبوة بين كتفيه .

قالوا : إن كان كما وصفتم ، فهو نبي مرسل ، وأمره حق ، فاتبعوه .

ولكن سلوه عن ثلاث خصال ، فإنه يخبركم بخصلتين ، ولا يخبركم بالثالثة ، إن كان نبيًّا .

فإنا قد سألنا مسيلمة عن هؤلاء الثلاث خصال ، فلم يدر ما هي .

وقد زعمتم أنه يتعلم من مسيلمة .

فرجعت الرسل إلى قريش بالخبر من اليهود .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن خصال ثلاث .

أخبرنا عن ذي القرنين ، وعن الروح ، وعن أصحاب الكهف .

فقال : أخبركم بذلك غداً . ولم يقل إن شاء الله .

فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوما لترك الاستثناء ، فشق ذلك عليه .

فجاء جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبطأت عليّ فقال : لتركك الاستثناء : « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ[(١)] » .

ثم أخبره بخبر ذي القرنين ، وأصحاب الكهف .

وقال : « الروح من أمر ربي ، لا علم لي به » .

فقالوا : سحران تظاهرا . يعنون التوراة والفرقان .

● عن عمرو بن عبسة : رَغِبْتُ[(٢)] عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل ، يعبدون الحجارة ، وهي لا تضر ولا تنفع .

فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال :

يخرج رجل من مكة ، ويرغب عن آلهة قومه ، ويأتي بأفضل الدين ، فإذا سمعت به ، فَاتَّبِعْهُ .

فلم يكن لي همٌّ إلا مكة آتيها ، فأسأل : هل حدث فيها أمر ؟ فيقولون : لا .

فأنصرف إلى أهلي ، وأعترض الركبان ، فأسألهم ، فيقولون : لا .

فإني لقاعد ، إذ مَرَّ بي راكب فقلت : من أين جئت ؟

قال : من مكة .

قلت : هل حدث فيها حدث ؟

قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ، ودعا إلى غيرها .

قلت : هذا صاحبي الذي أريد .

---

(١) سورة الكهف : ٢٣ و ٢٤ (٢) أي : أعرضت .

فشددت راحلتى وجئت فأسلمت(١) .

• عن ابن عباس قال : إن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم السيد ، والعاقب ، فأنزل الله تعالى فيهم : « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ »(٢) الآية .

قالوا : فَأَخِّرْنا ثلاثة أيام .

فذهبوا إلى بنى قريظة ، والنضير ، وبنى قينقاع ، فاستشاروهم .

فأشاروا عليهم ، أن يصالحوه ، ولا يلاعنوه ، فهو النبى الذى نجده فى التوراة ، والإنجيل .

فصالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على ألف حلة فى صَفَر ، وألف حلة فى رجب ، ودراهم .

• عن عكرمة أن أناسا من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، فلما بعث ، كفروا به . فذلك قوله تعالى :

« وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ »(٣) .

• عن سهل مولى عثيمة قال : إنه كان نصرانيا ، وكان يتيما فى حجر أبيه وعمه ، وكان يقرأ الإنجيل .

قال : فأخذت مصحفا لعمى ، فقرأته ، حتى مرتْ بى ورقة ، فأنكرت كثافتها ، فإذا هى ملصقة .

---

(١) الخبر مفصل فى دلائل النبوة ٢١١ — ٢١٢ .
(٢) سورة آل عمران ٦١ .
(٣) سورة آل عمران ١٠٦ .

ففتقتها ، فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم : أنه لا قصير ، ولا طويل ، أبيض ، بين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصا مرقوعا ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد .

قال : فجاء عمى ، فرأى الورقة فضربنى ، وقال : مالك وفتْحَ هذه الورقة ؟

فقلت : فيها نعت النبى أحمد . قال : إنه لم يأت بعد .

● عن عمر بن حفص ، وكان من خيار الناس ، قال :

كان عند أبى ، أو عند جدى ، ورقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان ، فيها « بسم الله ، وقوله الحق ، وقول الظالمين فى تباب .

هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان ، يأتزرون على أوساطهم ، ويغسلون أطرافهم ، ويخوضون البحار على أعدائهم .

فيهم صلاة ، لو كانت فى قوم نوح ، ما أهلكوا بالطوفان ، أو فى ثمود ، ما أهلكوا بالصيحة » .

فأخبرنى أنهم جاءوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأوها عليه ، وأخبروه خبرها ، فأمرهم أن يضعوها فى أضعاف المصحف .

● عن ابن عباس قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فيما أوحى إليه : أن صَدِّق بمحمد ، ومُرْ أمتك من أدركه منهم أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش فاضطرب ، فكتبت عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فسكن .

• وقال وهب بن منبه : أوحى الله تعالى إلى أشعياء(١) : إنى مبتعث نبيًا أميا ، أفتح به آذانا صما ، وقلوبا غلفا .

أجعل السكينة لباسه ، والبرّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته . وأحمد : اسمه . أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، [وأغنى به بعد العَيْلة(٢)] وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب وأهواء متشتتة ، وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب .

• وقال أشعياء لإيلياء ، وهى قرية ببيت المقدس ، واسمها أورشليم :

أبشرى أورشليم ، يأتيك الآن راكب الحمار ، يعنى عيسى .

ويأتيك بعده راكب البعير ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

• وروى أن رجلا من أهل الشام من النصارى ، قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن فى يوم عيد من أعيادهم ، وقد غاب أزواجهن فى بعض أمورهن .

فقال : يا نساء قريش(٣) : إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد . فأيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً ، فلتفعل .

---

(١) ويقال فيه سعيا ، قال فى القاموس : وسعيا بن أمصيا نبى من أنبياء بنى إسرائيل ، بعث بعد موسى ، بشر بعيسى .

قال ابن عباد : هو آخر نبى من بنى إسرائيل . والشين لغة فيه .

(٢) من دلائل النبوة .

(٣) محرفة بالأصل وما أثبته من أعلام النبوة .

ومضى الرجل لحفظت خديجة حديثه .

• ومن أعلام نبينا صلى الله عليه وسلم الموجودة فى كتب الله القديمة قول الله تعالى فى السِّفر الأول من التوراة لإبراهيم عليه السلام :

« قد أجبت دعاءك فى إسماعيل وباركت عليه ، وكثرته ، وعظَّمته جداً جداً ، وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة » .

ثم أخبر موسى بمثل ذلك فى السفر وزاد شيئا .

يقال : فلما[1] خرجت هاجر من سارة ، تراءى لها ملَك الله ، وقال :

يا هاجر : أمةَ سارّة ، ارجعى إلى سيدتك ، واخضعى لها ، فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصوا كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه إسماعيل ، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك ، وتكون يده فوق يد الجميع ، ويدُ الجميع مبسوطة إليه بالخضوع .

قال ابن قتيبة : فتدبر هذا القول ؛ فإن فيه دليلا بيناً على أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق ، ولا كانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع .

وكيف يكون ذلك والملك والنبوة ، فى ولد إسرائيل والعيص ، وهما ابنا إسحاق .

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل .

---

(١) بالأصل محرفة : فما .

فدانت له الملوك ، وخضعت له الأمم ، ونسخ الله به كل شريعة ، وختم به النبيين ، وجعل لهم الخلافة والملك فى آخر الزمان .

فصارت أيديهم فوق أيدى الجميع ، وأيدى الجميع ، بالرغبة إليهم ، مبسوطة بالخضوع .

● ومن أعلامه فى التوراة قال : « جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران »[١] .

وليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجىء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ، هكذا هو عند أهل الكتاب ، وعندنا .

وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله على المسيح الإنجيل .

وكان المسيح يسكن ساعير ، بأرض الخليل بقرية تدعى « ناصرة » ، وباسمها ، سُمِّىَ من اتبعه : « نصارى » .

وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، بإنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، فى جبال فاران ، وهى جبال مكة .

وليس بين المسلمين وأهل الكتاب ، خلاف فى أن فاران ، هى مكة .

---

(١) ذكر فى البدء والتاريخ بعض هذه الأخبار وغيرها بالعبرية والعربية ، ثم قال :

« وكم فى التوراة والإنجيل من الدلائل عليه وعلى أصحابه ، وعلى مهاجرتهم وبواديهم ، حتى ذكروا أصواتهم وقرآنهم وهيآتهم فى صلاتهم وقتالهم ، ولكن من لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

انظر البدء والتاريخ ٥/٢٧ — ٣٣ .

فإن ادعوا أنها غير مكة ـ وليس بنكير من تحريفهم وإفكهم ـ قلنا :

أليس فى التوراة ، إن إبراهيم أسكن هاجَر وإسماعيل فاران ؟

وقلنا : دُلونا على الموضع الذى[1] استعلن الله منه ، واسمه فاران ، والنبيِّ الذى أنزل[2] عليه كتاباً بعد المسيح .

أو ليس « استعْلن » و « عَلَن » بمعنىً واحد ، وهما : ظهر وانكشف ؟

فهل تعلمون دِيناً ظهر ظهورَ الإسلام ، وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها فشُوَّه ؟

• ومن أعلامه فى التوراة : قال الله تعالى لموسى فى السِّفْر الخامس : إنى أقيم لبنى إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلَك ، أجعل كلامى على فمه .

فمَن [مِن] إخوة بنى إسرائيل إلا هو [ابن] إسماعيل ؟ كما تقول : بكرٌ وتَغْلب أبناء وائل ، ثم تقول : تغلب أخو بكر ، وبنو تغلب إخوة بنى بكر .

يُرْجع فى ذلك إلى أخوَّة الأبوين .

فإن قالوا : هذا النبي الذى وعد الله أن يقيمه لهم هو أيضاً من بنى إسرائيل ، لأن بنى إسرائيل إخوة بنى إسرائيل ، أكْذَبَتْهُمُ التوراة ، وأَكْذَبَهُمُ النظر ؟

لأن فى التوراة أنه لم يقم فى بنى إسرائيل ، مثل موسى .

وأما النظر : فإنه لو أراد أنى أقيم لهم نبيًّا من بنى إسرائيل مثل موسى ، لقال أقيم لهم من أنفُسهم مثل موسى . ولم يقل من إخوتهم .

---

(١) الأصل : التى . (٢) الأصل : أنزلت .

كما لو أن رجلا قال لرسوله : ائتنى برجل من بنى تَغْلب بن وائل . فلا يجب أن يأتيه برجل من بنى بكر .

قال ابن قتيبة : ومن قول حبقون المتنبىء فى زمان دانيال قال حبقون(١) : جاء الله من التيمن والقديسُ من جبال فاران(٢) ، فامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملَك الأرضَ بيمينه ورقابَ الأمم .

قال : وقال أيضاً : تضىء لنوره الأرض وتُحْمَل خيلُه فى البحر .

وزاد فى بعض أهل الكتاب : أنه قيل فى كلام حبقون : وستُترِع فى قسيك إتراعاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ، ارتواءً .

وهذا إفصاح باسمه وصفاته .

فإن ادّعوا أنه غير نبينا ـ وليس ذلك بنُكرٍ من جحْدهم وتحريفهم ـ : فَمَنْ أحمدُ الذى امتلأت الأرض من تحميده ، والذى جاء من جبال فاران فملَك الأرض ورقاب الأمم ؟

قال ابن قتيبة : ومِن ذكر شَعْيا له عن الله عز وجل : « عبدى الذى سُرَّت به نفسى » .

وترجمه آخر ، فقال : عبدى ، خِيرتى ، رضا نَفْسى ، أُفيض عليه روحى .

وترجمه آخر فقال : أنزل عليه وحيى فَيُظْهِرُ فى الأمم عدْلَهُ ، ويوصى الأممَ بالوصايا ، لا يضحك ولا يُسْمع صوته فى الأسواق .

---

(١) المشهور والمحفوظ « حبقوق » بالقاف فى آخره .
(٢) الذى فى ت : جاء الله من القديس والتيمن من جبال فاران .

يفتح العيون العمى ، ويُسْمع الآذانَ الصُّمَّ ، ويحيى القلوب الغُلْف ، وما أعطيته لا أعطى أحداً غيرَه .

أحمدُ ، يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، يُفرِحُ البَرِّيَّة وسكانَها ، يهللون الله على كل شرَف ، ويكبرونه على كل رابية(١) :

وزاد آخر فى الترجمة : لا يضْعُف ولا يُغلَب ، وَلا يميل إلى الهوى ، ولا يُسْمَع فى الأسواق صوتُه .

ولا يُذِلُّ الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوِّى الصِّديقين .

وهو رُكنُ المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يُطْفأ ولا يخصم ، حتى يثبِّت فى الأرض حُجَّتى ، وينقطع به العُذْر ، وإلى توْراته تنقاد الجن .

وهذا إفصاح باسمه وبصفاته .

فإن قالوا : أى توراة له ؟

قلنا : أراد أنه يأتى بكتاب يقوم مقام التوراة لكم .

● ومنه قول كعب : شكا بيتُ المقدس إلى الله تعالى الخرابَ ، فقيل له :

لأُبْدِلنَّك توراةً محدثة ، وعُمَّالا مُحْدَثين ، يزفون(٢) بالليل زفيفَ النسور ويتحننون عليك كما تتحنن الحمامة على بيْضها ، ويملأونك خدوداً سُجَّدًا .

---

(١) أى : مرتفع من الأرض .

(٢) قوله : « يزفون » أى : يسرعون إلى عبادة الله . متجافين مضاجعهم ، صافين أقدامهم ، قياماً فى صلاتهم ، باسطين أيديهم على الأرض فى سجودهم كما تبسط النسور أجنحتها .

قال ابن قتيبة : ومن ذكر « شعيا » له قال : « أنا الله ، عظمتك بالحق ، وجعلتك نور الأمم ، وعهدَ الصيْفون[١] ؛ لتفتح أعين العميان ، وتُنْقذ الأسْرى من الظلمات إلى النور » .

قال : وقال فى الفصل الخامس : « إيلياهو[٢] مَن سلطانُه على كتفه » .

يريد : علامة نبوته على كتفه ، هذا فى التفسير السريانى .

فأما فى العبرانى ؛ فإنه يقول : على كتفه علامة النبوة .

قال ابن قتيبة : ومِن ذكر داود له فى الزَّبُور : « سبِّحو الربَّ تسبيحاً حديثا ؛ سبحوا الذى هيكله الصالحون ؛ ليفرح إسرائيل بخالقه وبيوت صهيون ؛ من أجل أن الله اصطفى له أمَّته وأعطاه النصر ؛ وشدَّد الصالحين منه بالكرامة ؛ يسبحونه على مضاجعهم ؛ ويكبِّرون الله بأصوات مرتفعة .

بأيديهم سيوف ذات شفْرتين ؛ لينتقموا [لله] من الأمم الذين لا يعبدونه ؛ يوثقون ملوكهم بالقيود ؛ وأشرافهم بالأغلال » .

قال ابن قتيبة : فَمَنْ هذه الأمة ؛ التى سيوفها ذات شفْرتين ؛ من غير العرب ؟

ومَنِ المنتقم بها من الأمم الذين لا يعبدونه ؟ .

ومَنِ المبعوث بالسيف من الأنبياء ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

قال ابن قتيبة : وفى مزمور آخر : « تقلَّدْ أيها الجبار السيف[٣] فإن ناموسك وشرائعك ؛ مقرونة بهيبة يمينك ؛ وسِهامُك مسنونة ؛ والأمم يخرُّون تحتك » .

---

(١) صيفون : العرب . والعبارة محرفة بالأصل : وعهد النسمون .

(٢) الأصل : الياين . وهو تحريف .

(٣) كان السيف فى يده رحمة بالجماهير ، وقصاصا من الظالمين .

فَمَنْ متقلِّدُ السيف من الأنبياء غَيْرُ نبينا ؟

ومن خرّت الأمم تحته ؛ غيره ؟

ومن قُرِنت شرائعه بالهيْبة ؛ فإما القبول أو الجزية أو السيف ؟

ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم : « ونُصِرْتُ بالرعب » .

قال : وفى مزمور آخر : « إن الله أظهره من صيفون(١) إكليلا محموداً » .

ضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة .

و « محمود » هو : محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : وفى مزمور آخر : « إنه يحوز من البحر [إلى النهر](٢) ومن لدن الأنهار [إلى الأنهار](٢) إلى منقطع الأرض .

وأنه تخر أهل الجزائر بين يديه على رُكبهم ؛ ويلحس أعداؤه التراب .

تأتيه الملوك بالقرابين ؛ وتسجد له ؛ وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد .

لأنه يخلِّص المضطهد البائس(٣) ممن هو أقوى منه ؛ وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ؛ ويرأف بالضعفاء والمساكين .

وأنه يُعْطَى من ذهب بلاد سَبَأ ؛ ويُصَلَّى عليه فى كل وقت ؛ ويبارك فى كل يوم ؛ ويدوم ذِكْرُه إلى الأبد » .

---

(١) الأصل : صهيون . وما أثبته من أعلام النبوة . قال : وصيفون : العرب ، والإكليل : النبوة .

(٢) من أعلام النبوة .

(٣) الأصل : اليابس ، وما أثبته من أعلام النبوة .

قال ابن قتيبة : فمن هذا الذى ملك ما بين البحر والنهر ؛ وما بين دِجْلة والفرات إلى منقطع الأرض ؟

ومن ذا الذى يُصَلِّى عليه ويُبارك فى كل وقت من الأنبياء غيره ؟ !

قال : وفى موضع آخر من الزبور ؛ قال داود : اللهم ابعث حامل(١) السُّنة ؛ حتى يَعْلم الناس أنه بشر » .

وهذا إخبار عن المسيح ؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم قبلهما بأحقاب .

يريد : أبعث محمدا حتى يُعلِّم الناس أن المسيح بشرٌ .

يُعْلم داود أنهم سيدَّعون للمسيح ما ادَّعوا .

قال : وفى شعيا : « قيل لى : قمْ نظارا فانظر ما ترى ؛ نخبِّر به .

قلت : أرى راكبَيْن مُقْبلين ؛ أحدهما على حمار ؛ والآخر على جمل .

يقول أحدهما للآخر : سقطتْ بابل وأصنامها المنجَّرة » .

قال : فصاحبُ الحمار عندنا وعند النصارى ؛ هو المسيح .

فإذا كان صاحب الحمار المسيح ؛ فلِمَ لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الجمل ؟ !

أو ليس سقوط بابل والأصنام المنجَّرة به وعلى يديه ؛ لا بالمسيح ؟ !

ولم يزلْ فى إقليم بابل ملوك يعبدون الأوثان ؛ من لدن إبراهيم عليه السلام .

أو ليس هو بركوب الجمل ؛ أشهرُ من المسيح بركوب الحمار ؟ !

* * *

---

(١) ز : جاعل .

قال ابن قتيبة : فأما ذِكْر النبي صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل :

قال المسيح للحواريين : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط ؛ روح الحق ؛ الذى لا يتكلَّم منْ قِبل نفسه ؛ إنما هو كما يقال له ؛ وهو يشْهد علىّ وأنتم تشهدون ؛ لأنكم مع مَنْ قَبِل الناس ؛ وكلُّ شىء أعده الله لكم ؛ يخبركم به » .

قال : وفى حكاية يوحنا عن المسيح أنه قال : الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ؛ فإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة ؛ ولا يقول من تلقاء نفسه ؛ ولكنه مما يسمع به يكلمكم ؛ ويسوسكم بالحق ؛ ويخبركم بالغيوب والحوادث » .

قال : حكاية أخرى : « إن الفار قليط روح الحق الذى يُرسله أبى باسمى ؛ وهو يعلمكم كلَّ شىء » .

وقال : « إنى سائلٌ أبى ؛ أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر ؛ يكون معكم إلى الأبد ؛ يعلمكم كلَّ شىء » .

وفى حكاية أخرى : إن البشير ذاهب ؛ والفارقليط من بعده يجىء لكم بالأسرار ؛ ويفسر لكم كلَّ شىء ؛ وهو يشهد لى كما شهدت له ؛ فإنى أجيئكم بالأمثال ؛ وهو يأتيكم بالتأويل » .

قال ابن قتيبة : وهذه الأشياء ـ على اختلافها ـ متقاربة .

وإنما اختلفت لأن مَنْ نقل الإنجيل عن المسيح عِدَّةٌ .

فَمَنْ هذا الذى هو روح الحق ؛ لا يتكلم إلا بما يوحى إليه ؟

ومن العاقب للمسيح ؛ والشاهد له بأنه قد بلَّغ ؟

ومن الذى أخبر بالحوادث فى الأزمنة ؛ مثل خروج الدجال ؛ وظهور الدابة ؛ وطلوع الشمس من مغربها وأشباه هذا ؟

وبالغيوب من أمر القيامة والحساب ؛ والجنة ؛ والنار وأشباه ذلك ؛ مما لم يُذْكر فى التوراة والإنجيل ؛ غير نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ !

قال ابن قتيبة : وفى إنجيل متَّى : أنه لما حبس يحيى بن زكريا ليُقْتل ؛ بعث تلاميذه إلى المسيح وقال : قولوا له ؛ أنت هو الآتى ؛ أوَ نَتَوَقَّعُ غيرك ؟

فأجابه المسيح وقال : « الحق اليقين أقول لكم ؛ إنه لم تقُم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا ؛ وإن التوراة ؛ وكتب الأنبياء ؛ يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ؛ حتى جاء يحيى .

فأما الآن فإن شئتم فاقبلوا ؛ فإن إيليا هو ، مُزْمع أن يأتى .

فمن كانت له أذن سامعة فليسمع » .

قال ابن قتيبة : وليس يخلو هذا الاسم من إحدى خلال :

إما أن يكون قال : « إن أحمد مُزْمع أن يأتى » فغيروا الاسم ؛ كما قال الله تعالى : « يُحَرِّفُون الْـكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ[1] » جعلوه إيليا .

وإما أن يكون قال : « إن إيل مزمع أن يأتى و « إيل » هو الله عز وجل .

ومجىء الله ؛ هو مجىء رسوله بكتابه ؛ كما قال فى التوراة : « جاء الله من سيناء » أراد « جاء موسى من سيناء بكتاب الله » .

ولم يأت كتابٌ بعد المسيح ؛ إلا القرآن .

وإما يكون أراد النبىَّ المسمى بهذا الاسم .

---

(١) سورة المائدة ٥١ .

وهذا لا يجوز عندهم؛ لأنهم مجمعون على أنه لا نبيّ بعد المسيح.

* * *

قال ابن قتيبة: ذكر مكة والحرم والبيت؛ فى الكتب المتقدمة:

فى كتاب شعيا: «إنه ستمتلأ البادية والمدن؛ قصورُ آل قيدار؛ يسبّحون؛ ومن رءوس الجبال ينادون؛ هم الذين يجعلون لله الكرامة؛ ويبُثون(١) تسبيحه فى البر والبحر».

وقال: «أرفع علماً لجميع الأمم من بعيد فيُصفر بهم من أقاصى الأرض فإذا هم سراع يأتون».

قال ابن قتيبة: و«بنو قيدار» هم العرب؛ لأن قيدار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس.

والعلَمَ الذى يُرفع؛ هو النبوة.

والصفير بهم: دعاؤهم من أقاصى الأرض للحج؛ فإذا هم سراع يأتون.

وهو نحو قول الله تعالى: «وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»(٢).

وفى موضع آخر من كتاب شعيا: «سيَبْعث من الصَّبا قوما فيأتون من المشرق مجيبين أفواجا، كالصعيد كثرةً؛ ومثل الطيّان الذى يدوس برجليه الطين».

والصبا يأتى من مطلع الشمس؛ يبعث الله من هناك قوما من أهل خراسان وما ضاهاها.

---

(١) ز: ويثبتون. ومعنى «يبثون» ينشرون ويذيعون.
(٢) سورة الحج ٢٧.

فمن الذى هو نازل بمهبِّ الصَّبا ؛ فيأتون مجيبين بالتلبية أفواجاً كالتراب كثرة ؟

ومَنْ مثل الطيان الذى يدوس برجليه الطين ؟ !

يريد : أن منهم رجالا كالِّين .

وقد يجوز أن يكون أراد الهرْولة ؛ إذا طافوا بالبيت .

قال ابن قتيبة : وقال فى ذكر الحجَر المسْتَلم : قال شعيا :

« قال الرب السيد : هأناذا مؤسس بصهيون ؛ وهو بيت الله حجراً فى زاوية مكرَّمة » .

والحجر فى زاوية البيت ؛ والكرامة أن يُسْتَلَمَ وَيُلْثَمَ .

وقال شعيا فى ذكر مكة :

« سيرى واهتزِّى ؛ أيتها العاقر لم تلد ؛ وانطقى بالتسبيح ؛ وافرحى إذ لم تحبلى ؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله ، أهلَ بيت المقْدس من بنى إسرائيل .

أراد أن أهل مكة يكونون بمن يأتيهم من الحجاج والعُمَّار ؛ أكثر من أهل بيت المقدس .

فشبه مكة بامرأة عاقر لم تلدْ ؛ لأنه لم يكن فيها قبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلا إسماعيل وحده ؛ ولم ينزل بها كتاب .

ولا يجوز أن يكون أراد بالعاقر بيتَ المقدس ؛ لأنه بيت الأنبياء ومهبط الوحى ؛ ولا يشبَّه بالعاقر من النساء .

وفى شعيا أيضاً منْ ذكر مكة :

« قد أقسمتُ بنفسى كقسمى أيام نوح ألا أغرق الأرضَ بالطوفان ؛

كذلك أقسمتُ أن لا أسخط عليك ولا أرفضك ؛ فإن الجبال تزول ؛ والقلاع تنحط ؛ ونعمتى عليك لا تزول » .

ثم قال : « يا مسكينة يا مضطهدَة ؛ هأنا ذا ؛ بانٍ بالحسن حجارتك ؛ ومزيِّنك بالجواهر ؛ ومكلِّلٌ باللؤلؤ سقفك ؛ وبالزَّبْرجد أبوابك .

وتبعدين من الظلم ؛ فلا تخافى ؛ ومن الضعف ؛ فلا تضعفى .

وكل سلاح يصنعه صانعٌ ؛ فلا يعمل فيك ؛ وكل لسان وكل لغة تقوم معك بالخصومة ، تفلحين معها » .

ثم قال : « وسيسمِّيك الله اسماً جديداً » .

يريد : أنه سمى المسجد الحرام ؛ وكان قبل ذلك يسمى الكعبة .

« فقومى فأشرقى ؛ فإنه قد دنا نورك ووقار الله عليك » .

« انظرى بعينك حولك ؛ فإنهم مجتمعون ؛ يأتيك بنوك وبناتك غدوًّا ، فحينئذ تسرِّين وتزْهرين ؛ ويخاف عدوك ويشبع قلبك ؛ وكل غنم قيدار مجتمعةٌ إليك ؛ وسادات بناوت يخدمونك » .

وبناوت ؛ هو ابن إسماعيل .

وقيدار هو أبو النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أخو بناوت .

ثم قال : « وتفتح أبوابك دائماً الليل والنهار ؛ لا تغلق ؛ ويتخذونك قبلةً ؛ وتُدْعَيْنَ بعد ذلك مدينةَ الرَّب » .

أى : بيت الله عز وجل .

وفى موضع آخر من شعيا :

« ارفعى بصرك إلى ما حولك تستبهجين وتفرحين ؛ من أجل أنه يصل إليك ذخائر البحر ؛ ويحج إليك عساكر الأمم ؛ حتى تعمرك قطار الإبل

المؤبَّلة(١) ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجمع إليك ، وتساق إليك كباش مدْين ، ويأتيك أهل سبأ وتسير إليك بأغنام قيدار ، ويخدمك رجالات بناوت » .

يعنى سدنة البيت ، إنما هم(٢) من ولد بناوت بن إسماعيل .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكرُ طريق مكة فى شعيا :

وفى شعيا عن الله تعالى :

« إنى أعْطى البادية كرامة لبنان ، وبها الكرمال » .

والكرمال ولبنان : الشام وبيت المقدس .

يريد أجعل الكرامة التى كانت بالوحى هناك ، وظهور الأنبياء ، للبادية ، وبالنبى صلى الله عليه وسلم .

« وتشق فى البادية مياه وسَوَاقٍ فى أرض الفلاة ، وتكون الفيافى والأماكن العطاش ، ينابيع ومياهاً ، ويصير هناك محجَّة ، وطريق الحرم لا يمرُّ به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين » .

وفى كتاب « حزقيل » أنه ذكر معاصى بنى إسرائيل وشبَّههم(٣) بكَرْمة عداها فقال :

« ما تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، وأحرقت السَّمائم(٤) ثمارها .

---

(١) الإبل المؤبلة . أى : للقنية . كما فى الصحاح . (٢) ت : أنهم .

(٣) ت: وشبهها . وما هنا أصح . (٤) السمائم: الرياح الحارة . اهـ . الصحاح .

فعند ذلك غُرِسَ غرْسٌ فى البدْو ، فى الأرض المهملة العطشى ، وخرجت من أغصانها العاضلة ، نارٌ أكلت ثمار تلك ، حتى لم توجد فيها عَصًا قوية ، ولا قضيب » .

* * *

قال ابن قتيبة : ذكر الحرم فى كتاب شعيا :

قال : « إن الذئب والحمل فيه يرعيان معاً » .

وكذلك جميع السباع لا تؤذى ولا تفسد فى كل حَرَمى .

ثم ترى تلك الوحوش إذا خرجت من الحرم عاودت الذُّعر وهربت من السباع .

وكان السبع فى الطلب ، والحرص فى الصيد ، كما كان قبل دخوله الحرم .

قال ابن قتيبة : ذكر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر يوم بدر :

قال شعيا : وذكر قصة العرب يوم بدر : « يدوسون الأمم ، كدياس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ويهزمون » .

ثم قال : « ينهزمون بين يدَىْ سيوف مسلولة ، وقسىٍّ موتورة ، من شدة الملحمة » .

* * *

قال ابن قتيبة : فهذا ما فى كتب الله المتقدمة الباقية فى أيدى أهل الكتاب ، يتلونه ، ولا يجحدون ظاهره ، خلا اسم نبينا عليه السلام ،

فإنهم لا يسمحون بالإقرار به تصريحاً ، ولن يعبأ(١) ذلك عنهم ، لأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية عندهم « مشقَّح .

ف « مشقح » هو محمد صلى الله علية وسلم بغير شك .

واعتباره أنهم يقولون « شقحا لإلهنا » إذا أرادوا أن يقولوا « الحمد لله » فإذا كان الحمد شقحا ف « مشقح » محمد صلى الله علية وسلم .

ولأن الصفات التى أقروا بها ، هى وفاقٌ لأحواله وزمانه ، ومَخرَجه ، ومبعثه ، وشِرْعته .

فليدلُّونا على من له هذه الصفات ، ومنْ خرَّت الأمم بين يديه ، وانقادت لطاعته ، واستجابت لدعوته .

ومن صاحبُ الجمل الذى هلكت بابل وأصنامها به .

وأين هذه الأمة من ولد قيدار بن إسماعيل ، الذين ينادون من رءوس الجبال بالتلبية والأذان ، والذين بثُّوا تسبيحه فى البر والبحر ؟ !

هيهات أن يجدوا ذلك ، إلا فى محمد وأمته .

* * *

قال ابن قتيبة : ولو لم تكن هذه الأخبار فى كتبهم ، لم يكن فيما أودع فى القرآن من ذكر ما فى كتبهم دليل .

كقوله تعالى : « الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ(٢) » . وقوله : « يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ(٣) » .

---

(١) سياق الكلام يقتضى أن يقال « ولن يغيب » .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧ (٣) سورة آل عمران ٧٠ .

وقال : « يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ(١) » .

وقال : « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ(٢) » .

فكيف جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم ، بما ليس عندهم ويقول : من علامة نبوتى ، أنكم تجدوننى مكتوباً عندكم . وهم لا يجدونه ، وقد كان غنيًا أن يدعوهم بما ينفرهم ؟

ولما تيقن بالحال ، عبدُ الله بن سلاَم ومنْ أسلم ، أسلموا :

* * *

قلت : وما زال أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفاته ، ويقرُّون به ، ويعِدون بظهوره ، ويوصون أهاليهم بالإيمان به .

فلما ظهر ، آمن عقلاؤهم ، وحمل الحسدُ آخرين على العناد كحُيىٍّ ابن أخطب ، وأبى عامر الراهب ، وأمية بن أبى الصَّلْت :

وقد أسلم جماعة من علماء متأخرى أهل الكتاب ، وصنفوا كتبا يذكرون فيها صفاته التى فى التوراة والإنجيل .

فالعجبُ ممن يتيقن وجود الحق ، ثم يحمله الحسد على الرضا بالخلود فى النار ! !

---

(١) سورة البقرة ١٤٦ . (٢) سورة الرعد ٤٣ .

الباب الخامس

في إعلام كعب بن لؤي بن كعب بن غالب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان يسمع من أهل الكتاب

● عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان كعب بن لُؤيّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك يجمع قومه يوم الجمعة ، وكانت قريش تسمى الجمعة عَروبة ، فيخطبهم فيقول :

أما بعد ، فاسمعوا وتعلَّموا ، وافهموا واعلموا ، ليلٌ ساجٍ[1] ونهار ضاحٍ[2] ، والأرض مهادٌ[3] والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام[4] والأولون كالآخرين ، والأنثى والذَّكر والزوج وما يهيج ، إلى بلىً[5] صائرون[6] .

فَصِلُوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمِّروا أموالكم :

فهل رأيتم مِنْ هالك رَجَع ، أو ميت نُشر ؟

---

(١) قال في المصباح : سجا الليل يسجو : ستر بظلمته ومنه : سجيت الميت بالتثقيل : إذا غطيته بثوب ونحوه فيكون المعنى « وليل ساتر الدنيا بظلمته » وفي الصحاح . وليلة ساجية وساكنة وساكرة بمعنى واحد ، وفي اللسان « وليلة ساجية» إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب ، غير مظلمة . وفي التنزيل « والليل إذا سجا » أي سكن واشتدت ظلمته وغطى السكون بظلامه .

(٢) أي عم الأرض بنوره . (٣) أي فراش للاستقرار عليها .

(٤) أي علامات يهتدون بها في رحلاتهم البرية والبحرية .

(٥) أي إلى فناء .

(٦) في دلائل النبوة : صائرين . والعبارة محرفة بالنسخ .

الدار أمامكم ، والظنُّ غير ما تقولون :

حرَمَكم زيِّنوه وعظموه ، وتمسَّكوا به ، فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم : ثم يقول :

نَهَارٌ وَلَيلٌ كُلَّ أوْبٍ بحادثٍ(١) سَوَاءٌ عَلَيْنَا لَيْلُهَا وَنَهارُهَا

يَؤُوبَانِ(٢) بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَأَوَّبَا وَبالنِّعَم الضَّافِي عَلَيْنا سُتُورُهَا

عَلَى غَفْلَةٍ يأتى النبيُّ محمدٌ فيُخْبر أخباراً صَدُوقٌ خبيرها

ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمْع وبصر ، ويد ورِجْلٍ ،لتنصَّبْتُ(٣) فيها تَنصُّبَ الجَمل ، ولأرْقلت(٤) فيها إرقال الفحل .

يا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا

وكان بين موت كعب بن لؤى ، وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة ، وستون سنة .

---

(١) قال فى القاموس : الأوب : الرجوع . والمراد : كلما تجدد الليل والنهار تتجدد الحوادث .

(٢) يؤوبان الخ . المعنى : الليل والنهار يرجعان إلينا بالحوادث المتجددة ، كلما رجعا .

(٣) لتنصبت إليه . أى : لسرت إليه طول يومى كما يسير الجمل . كما يستفاد من القاموس .

(٤) أرقلت . أى : أسرعت اهـ قاموس . وفى الصحاح (الإرقال ضرب من الخبب وهو الإسراع فى العدو) كما يستفاد من القاموس والصحاح .

الباب السادس

في ذكر منام رآه نصر بن ربيعة اللخمي يدل على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم

قال أهل السِّيَر(١) :

رأى نَصْرُ بن ربيعة رؤيا هالته(٢) ، فلم يدَعْ كاهنا ولا منجِّما إلا جمعه إليه ، وقال لهم : إني رأيت رؤيا هالَتْني ، فأخبروني بتأويلها .

فقالوا : اقصُصْها علينا .

فقال : إنه لا يَعْرف تأويلها إلا من عَرَفها قَبْل أن أخبره بها .

قالوا : فإن كنت تريد ذلك فابعث إلى سَطيح وشقٍّ . وهما اسم كاهنين .

فبعث إليهما ، فقدم سطيح فقال [له] : إني رأيت رؤيا هالتني فإن أصبتها أصبتَ تأويلها .

فقال : رأيتَ حُمَمَةً(٣) خرجت من ظُلُمة ، فوقعت بأرضٍ تَهِمة(٤) فأكلت منها كلَّ ذات جُمجمة .

---

(١) يتساهل الرواة في قبول هذه الأساطير لما لها من دلالة رمزية . وإلا فهي من ناحية الوزن العلمي ، مردودة .

(٢) أي : أفزعته .

(٣) الحممة : الفحمة المشتعلة .

(٤) تهمة : منخفضة ، ومنه سميت تهامة .

فقال الملك : ما أخطأتَ منها شيئا يا سطيح ، فما عندك فيها ؟

قال : أحلف بما بين الحرَّتين من حَنش ، لتهبطن أرضكم الحبَش ، فليملكن ما بين أبْين إلى جُرَش(١) .

فقال له الملك : وأبيك إن هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو ؟ أفى زمانى أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بحين ، الحينُ من ستين إلى سبعين .

قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع لبضع وتسعين يمضين من السنين ، ثم يخرجون منها هاربين .

قال : ومن يلى ذلك ؟

قال : إرم ذى يزن(٢) ، يخرج عليهم من عَدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك ؟

قال : لا بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه .

قال : نبىٌّ زكى ، يأتيه الوحى من [قِبَل] العلىّ .

قال : ومن هذا النبى ؟

---

(١) أبين وجرش : مخلافان من مخاليف اليمن .

(٢) المشهور فيه : سيف بن ذى يزن ، ولكنه عدل إلى إرم ، لتشبيهه بإرم عاد فى عظم الخلق والقوة .

قال : رجل منْ ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النَّضْر ، يكون المُلْكُ فى قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟

قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ويسْعد فيه المحسنون ويشقى به المسيئون .

قال : أحق ما تخبرنى به ؟

قال : نعم والشَّفق والغسق والفلق ، إن ما أنبأتك به لحق .

فلما فرغ قدم شقٌّ فقال له : إنى رأيت رؤيا فأخبرنى بها . فأخبره كما قال سطيح ، وأخبره بتقلب الممالك على نحو ما قال سطيح ، إلى أن قال :

ثم يأتى رسولٌ يأتى بالحق والعدل ، يكون المُلك فى قومه إلى يوم الفصْل .

قال : وما يوم الفصْل ؟

قال : يوم تجزى فيه الولاة ، ويجمع الناس الميقات .

الباب السابع

فى ذكر نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

هو محمد ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، ابن قُصى ، بن كلاب ، بن مُرَّة ، بن كعب ، بن لؤيّ ، بن فِهر ، بن مالك ابن النَّضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مُدْركة ، بن إلياس ، بن مُضر ، ابن نزار ، بن مَعد ، بن عدنان .

ولا يختلف النسابون إلى عدنان .

ثم يختلفون فيما بعده ، فبعضهم يقول : عدنان بن أدّ ، بن الهميسع ، ابن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعضهم يقول : عدنان ، من غير ذكر أد بن أدد .

وفى حديث أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عدنان ابن أدد بن لؤى بن أعراق الثرى » .

قالت أم سلمة : فـ« زيد» هو الهميسع : ويرى هو نبْت . وأعراق الثرى هو إسماعيل . كذلك حكى الزبير بن بكار .

وحكى أيضاً أن أعراق الثرى إبراهيم ، لأنهم لما رأوه لم يحترق بالنار . قالوا : ما هو إلا أعراق الثرى .

وهكذا ضبط لنا زيد . وقد حدَّثنا عن أبى أحمد العسكرى أنه قال : إنما هو زيد مثل اسم أبى دلامة .

● عن عروة قال : ما وجدنا أحدًا يعرف ما وراء عدنان .

وقال ابن أبى خيثمة : ما وجدنا فى علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بثَبت .



الباب الثامن

فى ذكر طهارة آبائه وشرفهم

● عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانه قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بنيا أفضل من بنى هاشم »(١) .

● عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » .

● عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جاسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوك مثل نخلة تنبت فى كَبْوة من الأرض .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلنى من خيرهم ، ثم حين فرقهم جعلنى فى خير الفريقين ، ثم حين

---

(١) أخرجه البيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر . وفى الخصائص : بنى أب .

جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفساً » .

• وقال ربيعة : إن ناسا من الأنصار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك حين يقول القائل منهم : إنما مثل محمد مثل نخلة تنبت فى كِبا » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله خلق خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلنى من خير الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفساً » .

« الكبا » مقصور . وهو الكناسة . قال الأصمعى : فإذا مدّ فهو البحر . قال شَمّر : ولم يسمع الكبوة .

الباب التاسع

فى بيان أن جميع العرب ولدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، فنزلت : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى(١) » أى إلا أن تصلوا قرابة ما بينى وبينكم .

• وقال الشعبى : أكثر الناسُ علينا فى هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » أى إلا أن تصلوا قرابة ما بينى وبينكم ، فكتبت إلى ابن عباس .

فكتب ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط النسب فى قريش ، لم يكن حىٌّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه ، فقال الله تعالى :

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القُرْبى » .

أى : تودُّوا قرابتى منكم ، وتحفظونى فى ذلك .

عن ابن عباس فى قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ (١) » .

قال : ليس من العرب قبيلة ، إلا ولدت النبى صلى الله عليه وسلم ، مُضَرِيّها وربيعيّها ، ويمانيها .

---

(١) سورة الشورى ٢٣ . (٢) سورة التوبة ١٢٨ .

الباب العاشر

فى قوله عليه السلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »

● عن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم ، إلى أن ولدنى أبى وأمى ، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

● عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفًى مُهَذَّبا ، ولا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما » .

الباب الحادى عشر

فى ذكر منام رآه عبد المطلب يدل على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عبد المطلب : بينا أنا نائم فى الحجر رأيت رؤيا هالتنى ، ففزعت منها فزعا شديدا ، فأتيت كاهنة قريش ، وعلىّ مِطارف خزٍّ وجمتى(١) تضرب منكبى .

فلما نظرت إلىّ عرفت فى وجهى التغير ، وأنا يومئذ سيد قومى .

فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر شىء(٢) ؟

فقلت لها : بلى .

وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى ، ثم يضع يدها على أم رأسه ، ثم يبدو بحاجته ، ولم أفعل ، لأنى كنت كبير قومى .

فجلست فقلت : إنى رأيت الليلة وأنا نائم كأن شجرة نبتت ، قد نال رأسُها السماء ، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب .

وما رأيت نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس بتسعين ضعفا .

ورأيت العرب والعجم ، ساجدين لها ، وهى تزاد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ، ساعة تخفى ، وساعة تزهر .

---

(١) الجمة : شعر الرأس الكثيف .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم : هل رأيت من حدثان الدهر شيئا ؟

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها .

فإذا دنوا منها ، أخَّرهم شاب ، لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم .

فرفعت يدى لأتناول منها قسما فقال لى : لا نصيب لك فيها .

فقلت : ومن له نصيب ؟ فقال : النصيب لها ، وللذين تعلقوا بها وسبقوك إليها .

فانتبهت فزعا مرعوبا .

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ، وتدين له الناس .

ثم قالت لأبى طالب : لعلك أن تكون عم هذا المولود .

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج ويقول : كانت الشجرة ـ والله أعلم ـ أبا القاسم الأمين .

فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السُّبَّةُ والعار !

الباب الثانى عشر

فى ذكر منام(١) رآه خالد بن سعيد بن العاص
يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خالد بن سعيد : قال كنت ذات ليلة نائما قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة ، حتى لا يبصر امرؤ كفَّه .

فبينا هو كذلك إذ خرج نور [من زمزم(٢)] ، ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ، ثم أضاءت مكة كلها .

ثم إلى نخل يثرب فأضاء بها حتى كأنى أنظر البُسر فى النخل .

فاستيقظت ، فقصصتها على أخى ، عمرو بن سعيد ، وكان جَزل الرأى .

فقال : يا أخى ، إن هذا الأمر يكون فى بنى عبد المطلب .

ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم .

قال خالد : فإنه لمَّا هدانى الله [به] للإسلام .

قالت أم خالد : فأول من أسلم ابنى . وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا خالد ، أنا والله ذلك النور ، وأنا رسول الله » . فقص عليه ما بعثه الله به ، فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده(٣) .

---

(١) لا يستغرب أن تكثر الرؤى الصادقة ، بين يدى حدث عظيم كالإسلام . والنفوس المصقولة من أى دين ربما أمكنها أن تستشف الغيوب .

(٢) من الخصائص .

(٣) خبر خالد ابن سعيد ، أخرجه ابن سعد ، والبيهقى . والزيادة من الخصائص .

الباب الثالث عشر

فى ذكر منام رآه عمرو بن مرة يدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عمرو بن مُرة الجهنى أنه كان يحدث قال :

خرجت حاجًّا فى جماعة من قومى فى الجاهلية ، فرأيت فى المنام ، وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة ، حتى أضاء لى من الكعبة إلى جبل يثرب وأشعرِ جهينة[1] .

فسمعت صوتاً فى النور وهو يقول : انقشعت الظلماء[2]وسطع الضياء ، وبعث خاتم الأنبياء .

ثم أضاء إضاءة أخرى ، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن[3] .

فسمعت صوتا فى النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكسرت الأصنام ، ووصلت الأرحام .

فانتبهت فزعا فقلت لقومى : والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حدث . وأخبرتهم بما رأيت .

فلما انتهينا إلى بلادنا ، جاءنا الخبر أن رجلا يقال له أحمد ، قد بُعِثَ .

---

(١) الأشعر : هو جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه .

(٢) الأصل : امتنعت الظلم وهو تحريف . وما أثبته من الخصائص ٦٧

(٣) أبيض المدائن : قصر كسرى .

فخرجت حتى أتيته ، فأخبرته بما رأيت فقال لى :

يا عمرو بن مرة ، أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وآمرهم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثنى عشر شهراً .

فمن أجاب ، دخل الجنة ، ومن عصى فله النار ، فآمن بالله يا عمرو ابن مرة ، يؤمنك الله من هول جهنم » .

فقلت : يا رسول الله ، آمنتُ بكل ما جئت به من حلال وحرام ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام .

ثم أنشدته أبياتاً قلتها ، حين سمعت به .

وكان لنا صنم ، وكان أبى سادنا له ، فقمت إليه فكسرته ، ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ وَأَنَّنِي ... لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ الْإِزَارِ مُهَاجِراً ... أَجُوبُ إِلَيْكَ الدَّعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ(١)

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ(٢)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مرحباً بك يا عمرو بن مرة .

فقلت : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، ابعث بى إلى قومى ، لعل الله عز وجل يَمُنُّ عليهم بى ، كما منّ بك علىّ .

---

(١) الدعث : الأرض المستوية . والدكادك : أرض فيها غلظ .

(٢) يريد بقوله هذا ، الله تعالى . الذى فوق السموات . قال فى المختار من الصحاح « الحباك والحبيكة : الطريقة فى الرمل ونحوه ، وجمع الْحِبَاكِ حُبُكٌ ، وجمع الحبيكة حبائك . وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قالوا : طرائق النجوم . ا هـ . المراد منه .

فبعثنى إليهم وقال : عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تك فظا ، ولا متكبرا ، ولا حسودا .

فأتيت قومى فقلت : يا بنى رفاعة ، بل يا معاشر جهينة ، إنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وآمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثنى عشر شهراً ، فمن أجاب ، فله الجنة ومن عصى فله النار .

يا معشر جهينة إن الله ــ وله الحمد ــ جعلكم خيار من أنتم منه ، وبَغَّض إليكم فى الجاهلية ، ما حبب إلى غيركم من العرب .

كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلف الرجل على امرأة أبيه ، والغَزَاة فى الشهر الحرام .

فأجيبوا هذا النبى المرسل من بنى لؤى بن غالب ، تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، وسارعوا فى ذلك ، تكن لكم فضيلة عند الله عز وجل .

فأجابوا إلا رجلا منهم ، فقام فقال :

يا عمرو بن مرة أمَرَّ الله عيشك ! أتأمرنا أن نرفض آلهتنا ، ونفرق جماعتنا ، ونخالف دين آبائنا ، إلى ما يدعو إليه هذا القرشى من أهل تهامة ؟! لا حُبًّا ولا كرامة .

ثم أنشأ الخبيث يقول :

هَذَا ابْنُ مُرَّةَ قَدْ أَتَى بِمَقَالَةٍ　　　لَيْسَتْ مَقَالَةَ مَنْ يُرِيدُ صَلاَحَا

إِنِّى لَأَحْسَبُ قَوْلَهُ وَفِعَالَهُ　　　يَوْمًا ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيَاحَا

أَنُسَفِّهُ(١) الْأَشْيَاخَ فِيمَنْ قَدْ مَضَى مَنْ رَامَ(٢) ذَاكَ فَلَا أَصَابَ فَلَاحَا

فقال عمرو بن مرة : الكاذب بيني وبينك ، أمرَّ الله عيشه ، وأبكمَ لسانه وأكمه أسنانه .

قال عمرو : فوالله ما مات حتى سقط فوه ، فكان لا يجد طعم الطعام ، وعَمِيَ وخرس .

فخرج عمرو بن مُرَّة ومن أسلم من قومه معه ، حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحَّب بهم وحيَّاهم ، وكتب لهم كتابا هذه نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابُ أمانٍ من الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكتاب صادق وحق ناطق ، مع عمرو بن مرة الجهنى : أجهينة بن زيد ، إن لكم بطونَ الأرض وظهورها ، وتلاع(٣) الأودية وسهولها ، ترعَوْن نباته وتشربون صافِيَه ، على أن تُقِرُّوا بالخمس وتُصَلُّوا صلاة الخمس ، وفى التَّبيعة(٤) والصريمة(٥) شاتان إذا اجتمعا ،

---

(١) أى : نزيف ونخطىء .

(٢) قوله (من رام) إلى آخر البيت جملة دعائية أى : من أراد تخطئة الآباء والأجداد ، لا وفقه الله لأن يكون من المفلحين .

(٣) قوله « تلاع » قال فى المختار من الصحاح مفرده « تَلْعَة » بوزن « القلعة » ما ارتفع من الأرض وما انهبط وهو من الأضداد عن أبى عبيدة اهـ . وفى المصباح التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادى ، والجمع « تلاع » مثل « كلبة » و « كلاب » و « التلعة » أيضا ما انهبط من الأرض . فهى من الأضداد اهـ .

(٤) التبيعة : ولد البقرة فى السنة الأولى كما يستفاد من القاموس ، والصحاح والمصباح .

(٥) الصريمة تصغير صرمة بالكسر ، وهى القطعة من الإبل ، ما بين العشرة إلى الأربعين .

وإن افترقا فشاة شاة ، ليس على أهل المِيرة(١) صدقة ، والله يشهد على ما بيننا ، ومَنْ حضر من المسلمين .

فذلك حين يقول عمرو بن مُرَّة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... وَبَيَّنَ بُرْهَانَ الْقُرَانِ لِعَامِرِ

كِتَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ نُورٌ لِجَمْعِنَا ... وَأَخْلَافِنَا(٢) فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ

إِلَى خَيْرِ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا ... وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ(٣) الضَّرَائِرِ

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ ... بُطُونُ الْأَعَادِي بِالظُّبَا(٤) وَالْخَوَاصِرِ

فَنَحْنُ قَبِيلٌ قَدْ بَنَى الْمَجْدُ حَوْلَنَا ... إِذَا اجْتُلِبَتْ فِي الْحَرْبِ هَامُ الْأَكَابِرِ

بَنُو الْحَرْبِ نَفْرِيهَا بِأَيْدٍ طَوِيلَةٍ ... وَبِيضٍ(٥) تَلَأْلَأَ فِي أَكُفِّ الْمَغَاوِرِ

تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ يَحْمُونَ سِرْبَهُ(٦) ... بِسُمْرِ الْعَوَالِي(٧) وَالصِّفَاحِ(٨) الْبَوَاتِرِ

إِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ ... وَدَارَتْ رَحَاهَا بِاللُّيُوثِ الْهَوَاصِرِ(٩)

تَبَلَّجَ(١٠) مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهُهُ ... كَمِثْلِ ضِيَاءِ الْبَدْرِ بَيْنَ الزَّوَاهِرِ

---

(١) قوله (ليس على أهل الميرة الخ) يريد أنه لا زكاة على الجمال التى تستعمل لنقل الطعام من بلد إلى بلد .

(٢) أى : الأجيال الآتية بعدنا .

(٣) الاعتكار : الإظلام والاختلاط ، وفى ت اعتكار الفرائر .

(٤) أى : بحد السيوف .

(٥) أى : السيوف اللامعة فى أيدى الأبطال .

(٦) سربه : أى : نفسه . (٧) سمر العوالى . أى : الرماح .

(٨) الصفاح البواتر . أى : السيوف القاطعة . (٩) أى : الأسود الكاسرة .

(١٠) تبلج : وضح وأشرق . والخبر رواه الطبرانى وأبو نعيم .

وذكر ياسر بن سُويد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّهه فى خيل أو سَرِيَّة ، وامرأته حامل ، فولد له مولود ، فحملته أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، قد ولدت هذا المولود ، وأبوه فى الخَيْل .

فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمَرَّ يده عليه وقال :

اللهم أَكْثِرْ رجالهم ، وأَقِلَّ نساءهم ، ولا تحوجهم ، ولا تُرِ أحداثهم خَصَاصةً .

ثم قال « سَمِّيه مُسْرِعاً ، فهو إسراع فى الإسلام » .

الباب الرابع عشر

فى ذكر ترويج عبد المطلب وابنه عبد الله إلى بنى زهرة

عن عبد المطلب : خرجتُ إلى اليمن فى « رحلة الشتاء »(١) ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزَّبُور ، فقال :

يا عبد المطلب ، أتأذن لى أن أنظر إلى بعض جسدك ؟

قلت : نعم ، ما لم يكن عورة .

فنظر فى منخرى فقال : أجد فى أحد منخريك مُلْكا ، وفى الآخر نُبَوَّة ، فهل لك من شاعة ؟

قلت وما الشاعة ؟

قال : الزوجة .

قلت : أما اليوم فلا .

قال : فإذا قدمت مكة فتزوج .

فقدم عبد المطلب ، فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

فولدت له حمزة وصفية .

ثم تزوج عبدُ الله بن عبد المطلب ، آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكانت قريش : تقول فلج(٢) عبد الله على أبيه .

وفى رواية أخرى أنه قال : وفى الآخر نبوة ، وإنا نجد ذلك فى بنى زُهْرة ، فإذا رجعت فتزوج فيهم .

---

(١) فى دلائل النبوة للبيهقى المخطوط « فى رحلتى الإيلاف » وفى الخصائص : « رحلة الشتاء » وهو أصح . ولذلك أثبتناه فى المتن .

(٢) فلج : فاز . والخبر أخرجه الحاكم والبيهقى ، والطبرانى ، وأبو نعيم .

الباب الخامس عشر

فى ذكر عبد الله أبى نبينا صلى الله عليه وسلم

كان عبد الله ، وأبو طالب ، والزبير ، لأم واحدة ، واسمها فاطمة بنت عمرو .

وكان عبد المطلب قد رأى فى المنام قائلا يقول له : « احفر زمزم » . ونعت له موضعها .

فقام يحفر ، وليس له ولد يومئذ ، إلا الحارث ، فنازعته قريش .

فنذر لئن ولد له عشرة من الولد ، ثم بلغوا أن يمنعوه ، لينحرنَّ أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تموا عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، أخبرهم بنذره ، فأطاعوه وكتب كلٌّ منهم اسمه فى قِدْح ، وجمعها ، وأعطاها قيِّم هُبَل وقال : اضرب بقداح هؤلاء .

فخرج القدح على عبد الله ، فأخذه وأخذ الشَّفْرة ليذبحه .

فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا : لا تفعل حتى تُعْذر فيه .

فانطلق به إلى عرّافة .

فقالت له : كم الدية فيكم ؟

قال : عَشر من الإبل .

قالت : قرِّبوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعلى [الإبل] القِدْحَ(١) .

فإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم .

فإذا خرجت على الإبل ، فقد رضى ، ونجا صاحبكم .

فقرّبوا عبد الله وعَشْراً ، فخرجت على عبد الله .

فزادوا عشراً ، فخرجت عليه ، فزادوا ، فلم يزالوا كذلك ، حتى جعلوها مائة .

فخرج القِدْح على الإبل فنُحرت ، ثم تركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ، ولا سَبُع .

(١) ابن هشام : ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح .

الباب السادس عشر

فى ذكر تزوج عبد الله آمنة بنت وهب

لما نحرت الإبل فداء لـ « عبد الله » مرّ مع أبيه على أمّ قتال بنت نوفل ابن أسد بن عبد العُزّى ، وهى أخت ورقة .

فقالت : يا عبد الله أين تذهب ؟

قال : مع أبى .

قالت : لك عندى مثل الإبل التى نُحِرت عنك ، وقَعْ علىّ .

قال : إنى مع أبى ، لا أستطيع فراقه .

فخرج به عبد المطلب ، حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرة ، فزوّجه آمنة ، فدخل عليها ، فوقع عليها مكانه .

فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التى كانت عَرَضت عليه نفسها .

قال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ، ما كنت عرضت علىّ بالأمس ؟

قالت له : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة(١) .

---

(١) أشك كثيراً فى صحة هذه الرواية التى لا تشرف أبا النبى صلوات الله عليه كما يقصد ناقلوها ، وليست النبوة إفراز غدة فى الجسم ، بل هى اصطفاء من الله « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولم يكن من آباء النبى من يتوق إلى الزنا ، وخاصة فور زواجه .. !

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصر ، وقرأ الكتب .

وكان فيما أدرك ، أنه كائن فى هذه الأمة نبيٌّ من ولد إسماعيل .

● عن ابن عباس قال : لما خرج عبد المطلب بـ « عبد الله » ، ليزوجه مرَّ به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر ، من أهل تبالة ، قد قرأت الكتب فرأت على وجهه نوراً ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع علىَّ ، وأعطيك مائةً من الإبل ؟ فأنشأ يقول :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ ... وَالحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَه

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِى تَبْغِينَهُ ؟

ثم تركها ومضى .

● عن أبى الفياض قال : مر عبد الله بامرأة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء ، وأشبهن وأعفهن ، وكانت قد قرأت الكتب ، وكان شبان قريش يتحدثون إليها .

فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى من أنت ؟ فأخبرها .

قالت : فهل لك أن تَقَعَ علىَّ وأعطيك مائة من الإبل ؟

فنظر إليها وقال :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ ... وَالحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ

فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِى تَنْوِينَهُ

ثم مضى إلى امرأته آمنة بنت وهب ، فكان معها .

ثم ذكر الخثعمية وجمالها ،وما عرضت عليه ، فأقبل عليها ، فلم ير منها ، من الإقبال عليه آخراً ، كما رآه منها أولا .

فقال : هل لك فيما قلت ؟

فقالت : « قد كان ذلك مرة ، فاليوم لا » .

فذهبت مثلا .

وقالت : أى شيء صنعت بعدى ؟

قال : وقعت على زوجتى آمنة بنت وهب .

قالت : إنى والله ، لست بصاحبة ريبة ، ولكننى رأيت نور النبوة فى وجهك فأردت أن يكون ذلك فىّ وأبَى الله أن يجعله إلا حيث جعله .

وبلغ شبابَ قريش ، ماعرضت على عبد الله بن عبد المطلب وتأبِّيه(١) عنها .

فذكروا ذلك لها ، فأنشأت تقول :

إنِّى رَأَيْتُ مَخِيلةً(٢) بَلَغَتْ ... فَتَلَأْلَأَتْ بِحَنَاتِمِ(٣) الْقَطْرِ

فَلَمَأْتُهَا نُورًا(٤) يُضِيءُ لَهُ ... مَا حَوْلَهُ كَإِضَاءَةِ الْفَجْرِ

وَرَأَيْتُهُ شَرَفًا أَبُوءُ بِهِ ... مَا كُلُّ قَادِحِ زِنْدِهِ يُورِى

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمْ ... أَمِينَةُ إِذْ لِلْبَاهِ يَعْتَلِجَانِ

---

(١) أى : امتناعه . (٢) مخيلة . أى : سحابة .

(٣) أى : سحائب . قال فى الصحاح : « الحناتم » سحائب سود لأن السواد عندهم خضرة . ومفرد الحناتم « حنتم » وهى الجرة الخضراء .

(٤) لمأتها : لمحتها . وروى : فلما بها ، نور ، وكذلك : فلمائها نور .

كَمَا غَادَرَ الْمِصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوِّهِ (١) فَتَائِلَ قَدْ مِيثَتْ لَهُ (٢) بِدِهَانِ
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ (٣) بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي (٤)
فَأَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ (٥) يَصْطَرِعَانِ
سَتَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مُقْفَعِلَّةٌ (٦) وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِبَنَانِ
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أُمَيْنَةُ مَا قَضَتْ نَبَا (٧) بَصَرِي عَنْهُ وَكَلَّ (٨) لِسَانِي

---

(١) أى : بعد خمود لهبه ، والمراد : بعد انطفائه .

(٢) ميثت : دهنت .

(٣) قال فى الصحاح : التالد ، والتلاد ، والإتلاد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك ، وهو نقيض « الطارف » .

(٤) أى : لضعف وفتور . (٥) جدان : أى : حظان يتنافسان .

(٦) الأصل مثلثة وما أثبته من دلائل النبوة وابن كثير . ومعنى مقفعلة : متشنجة منقبضة .

(٧) قال فى المختار من الصحاح « نبا الشىء عنه : تباعد ، ونبا بصرى عن الشىء أى لم يدركه ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة لأن معناه الحقيقى إذا لم يعمل السيف فى الضريبة .

(٨) أى : تعب .

الباب السابع عشر

في ذكر ما جرى لآمنة في حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن عمة وهب بن ربيعة قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول :

ما شعرتُ أنى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء ، إلا أنى أنكرت رفع حيضتى .

فأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت أنك حملت ؟

فكأنى أقول : ما أدرى .

فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها . وذلك يوم الاثنين .

قالت : فكان ذلك مما يقّن عندى الحملَ ، ثم أمهلنى .

حتى إذا دنت ولادتى ، أتانى ذلك الآتى فقال :

قولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد .

قالت : كنت أقول ذلك .

فذكرت ذلك لنسائى ، فقلن تعلقى حديداً فى عضديك وفى عنقك .

قالت : ففعلت ، فلم يكن يترك [علىّ](١) إلا أياماً ، فأجده قد [قطع](١) فكنت لا أتعلّقه .

ولقد قالت آمنة : لقد علقت به ، فما وجدت مشقة حتى وضعته .

وأمرتْ أن تسميه أحمد .

---

(١) من الخصائص الكبرى للسيوطى .

الباب الثامن عشر

فى ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

ولد عبد الله لأربع وعشرين سنة مضت، من ملك كسرى أنوشروان، ثم تزوج آمنة، فلما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم توفى.

● عن أيوب بن عبد الرحمن قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام، فى عير من عيرات قريش، يحملون تجارات.

ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة، وعبدُ الله يومئذ مريض، فقال: أتخلّف عند أخوالى، بنى عدىّ بن النجار.

فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه، فقدموا مكة.

فسألهم عبد المطلب عن عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله وهو مريض.

فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده، الحارث، فوجده قد توفى، ودفن فى دار النابغة، وهو رجل من بنى عدى بن النجار.

فرجع، فأخبر عبد المطلب، فوَجَد(١) عليه وَجْداً شديداً.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم، حمل يومئذ:

ولعبد الله يومَ توفى خمسٌ وعشرون سنة.

● قال الواقدى: ترك عبد الله «أمّ أيمن» وخمسة أجمال، وقطعة غنم، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● وقد قيل: إن عبد الله توفى بعد ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يصح.

---

(١) أى: حزن عليه حزناً شديداً.

الباب التاسع عشر

فى ذكر مولد نبينا صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول عام الفيل .

وقيل لليلتين خَلَتا منه .

وقيل لاثنتى عشرة ليلة .

وقال ابن عباس : ولد يوم الفيل .

وكان قدوم الفيل وهلاك أصحابه يوم الأحد ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة ، الجمعة ، وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان .

● وقيل : إنه ولد صلى الله عليه وسلم فى الدار التى تعرف بدار محمد ابن يوسف الثقفى ، أخى الحجاج .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبى طالب ، فلم تزل فى يد عقيل حتى توفى ، فباعها ولده ، من محمد بن يوسف ، فبنى داره التى يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك فى الدار حتى أخرجته الخيزران وجعلته مسجداً يصلى فيه .

● عن أبى قتادة أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين . فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل علىّ فيه .

انفرد بإخراجه مسلم .

• قال ابن إسحق : ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

• وقد روى عن الزهرى أنه قال : ولد بعد الفيل بعشر سنين ، ولا يصح .

وقال البَراء : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة الاثنين لثمان خَلَوْن من ربيع الأول ، يوم العشر من نيسان .

• وقال حسان بن ثابت : إنى لغلام يفَعة ، ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة : يا معشر يهود .

فلما اجتمعوا قالوا : مالك ويلك ؟ !

قال : قد طلع نجم أحمد ، الذى يولد به هذه الليلة .

قال : فأدركه اليهودى ، فلم يؤمن !

• عن حسان أيضاً قال : إنى لعلى فارع وهو أُطُم[١] ، فى السَّحر ، إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفَذَ منه .

فإذا يهودى على أطم من آطام المدينة معه شعلة من نار .

فاجتمع الناس إليه فقالوا : مالك ويلك !

فقال : هذا كوكب أحمد قد طلع ، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

فجعل الناس يضحكون منه ، ويعجبون لما يأتى به .

---

(١) فارع . أطم من آطام المدينة ، ينسب إلى حسان بن ثابت .

الباب العشرون

فى قصة الفيل

قال علماء السير : بَنَى أبرهة كنيسةً لم يُرَ مثلها وقال :

لست بمُنْتَهٍ ، حتى أصرف إليها حجاج العرب .

فلما عرفت العرب ذلك ، خرج منهم رجل ، فأحدث فيها .

فغضب أبرهة وحلف ، ليسيرَنَّ إلى البيت فيهدمه .

فخرج ومعه الفيل .

فلما انتهى إلى مكة ، نهبها وقال لبعض أصحابه : سَلْ عن سيد أهل مكة ، وقل له : إنا لم نأتِ لحربكم ، إنما جئنا لهدم هذا البيت .

فدُلَّ على عبد المطلب ، فأخبره ما قال .

فقال : والله ما نريد حَرْبه ، ومالنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم : وإن يمنعه ، فهو بيته . ثم حُمل إليه ، فأكرمه وأجلَّه وقال : حاجتك ؟

قال : أن تردَّ عَلَيَّ مائتى بعير أصبتها لى .

فقال لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم زَهِدْتُ فيك حين كلمتنى ! أتكلمنى فى مائتى بعير ، وتترك بيتاً هو دِينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه ؟ !

فقال : أنا رب الإبل ، وإن للبيت رَبًّا سيمنعه .

وخرج عبد المطلب إلى قريش ، فأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى الجبال والشعاب ، تخوفاً عليهم من معرَّة الجيش .

ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا　　يَا رَبِّ وَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَا　　امْنَعْهُمُ أَنْ يُخْرِبُوا فِنَاكَا

وقال أيضاً :

لَا هُمَّ (١) إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ　　وحِلالَه (٢) فَامْنَعْ حِلَالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ　　وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَك (٣)
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ　　وَالْفِيلَ كَىْ يَسْبُوا عِيَالَكْ (٤)
عَمَدُوا (٥) حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ (٦)　　جَهْلاً وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكْ (٧)
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْبَتَنَا　　فَأَمْرٌ مَّا قَدْ بَدَا لَكْ

ثم إن أبرهة تهيأ للدخول وهيأ الفيل ، فأقبل نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمى وقال بأذن الفيل : ابرك محمود ، وارجع من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام . فبرك .

---

(١) لغة فى « اللهم » .
(٢) الحلال : جمع حلة ، وهى الطائفة من البيوت وتطلق على المتاع .
(٣) المحال : القوة والشدة . وغدوا : غدا . وهو اليوم الذى بعد يومك ، وقد استعمل هنا تاما ، ولا يستعمل كذلك إلا فى الشعر . وروى : عدوا ، بالعين المهملة .
(٤) أى : أهل بيتك وهو الكعبة .
(٥) أى : قصدوا بيتك .　(٦) أى : سعيهم ومكرهم الذى دبروه .
(٧) وما رقبوا جلالك . أى : لم يراقبوا فى قلوبهم عظمتك .

ومضى نُفَيل يشتدُّ فى الجبل ، فضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

وأرسل الله تعالى طيرًا أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منهم ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا يصيب أحداً إلا هلك .

فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاءوا منه . فهلكوا فى كل سهل وجبل .

وأصيب أبرهة بداء فى جسده ، فسقطت أنامله فقدموا [به] صنعاء وهو مثل الفرخ ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .

وولد فى هذا العام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن قتيبة : وقد أجمع الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وقد عايَنَ ذلك حكيمُ بن حزام وحُوَيطب بن عبد العُزَّى وحسان بن ثابت ، وكل هؤلاء عاشوا فى الجاهلية ستين سنة ، وفى الإسلام ستين سنة وقالت الشعراء فى ذلك عن عيان الأمر ومشاهدته .

منهم نُفَيل بن حبيب ، وهو جاهلى وكانت الحبشة أخذته ، ليدلها على الطريق إلى مكة ، فهرب منهم بحيلة فقال :

أَلَا رُدِّى رَكَائِبَنَا رُدَيْنَا(١) نَعِمْناكُمْ عَلَى الهِجْران عَيْنَا

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ ولَنْ تَرَيْهِ(٢) لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ(٣) مَا رَأَيْنَا

---

(١) ابن هشام والمراجع : ألا حييت عنا يا ردينا .

(٢) ابن هشام : ولا تريه .

(٣) قال فى المصباح : المحصب موضع بمكة على طريق «منى» ويسمى البطحاء .

حَمِدْتُ اللهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْراً   وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّهُمُ يُسَائِلُ(١) عَنْ نُفَيْلٍ   كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَـــا بَيِّنَاتٌ   مَا يُمَارِي(٢) فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ(٣) حَتَّى   ظَلَّ يَحْبُو(٤) كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

● قالت عائشة رضى الله عنها : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة ، أعميين مُقْعدين يستطعمان الناس .

قال ابن قتيبة : وفى أمر الفيل ، أنه بينة على الإله المسخِّر للطير ، وإنما فعل ذلك لنُصرة من ارتضاه ، وهَلَكة من سخط عليه ، لا لنصرة قريش ، فإنهم كانوا كفارا ، لا كتاب لهم ، والحبشة لهم كتاب .

فلا يخفى أن المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه الداعى إلى التوحيد .

● عن عائشة أيضاً أنها قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس .

---

(١) ابن هشام والمراجع : وكل القوم يسأل عن نفيل .
(٢) أى : ما يجادل .
(٣) قال فى القاموس : « والمغمس » كـ « معظم » و « محدث » موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم .
(٤) قوله : ظل يحبو الخ . أى استمر يزحف كالمطعون وهو يعالج الموت .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر ما جرى عند وضع آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

● قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .

● وقالت آمنة أيضاً ـ لما ضربها المخاض ـ قالت : فجعلت أنظر إلى النجوم تَدَلَّى ، حتى قلت لَتَقَعَنَّ عليَّ .

فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار ، حتى جعلت لا ترى إلا نوراً .

وقالت الشَّفَّاء ، أم عبد الرحمن : لما ولدت آمنةُ محمداً صلى الله عليه وسلم ووقع على يدى ، استهلَّ صارخاً فسمعت قائلا يقول : رحمك ربك .

قالت الشَّفَّاء : فأضاء لى ما بين المشرق والمغرب ، حتى نظرت إلى بعض قصور الشام .

قالت : ثم اضطجعت فلم أنشب[١] أن غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يمينى .

فسمعت قائلا يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبتُ به إلى المغرب .

ثم عاودنى الرعب والظلمة والقشعريرة ، ثم أسفر لى عن يسارى .

---

(١) أنشب: ألبث .

فسمعت قائلا يقول : أين ذهبت به ؟ قال : ذهبت به إلى المشرق ، ولن يعود أبداً .

فلم يزل الحديث منى على بال ، حتى ابتعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

فكنت فى أول الناس إسلاماً .

وقالت آمنة : ولدتهُ جاثياً على ركبتيه ، ينظر إلى السماء .

ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجداً ، وولد وقد قطعت سُرته .

وكنت وضعت عليه إناء ، فوجدت الإناء قد انفلق عنه ، وهو يمصُّ إبهامه ، يشخب لبناً .

• وكان بمكة رجل من اليهود حين ولد ، فلما أصبح قال : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلمه .

قال : وُلد الليلة نبى العرَب ، له شامَة بين منكبه سوداء ظفراء ، فيها شعرات .

فرجع القوم فسألوا أهليهم ، هل ولد لعبد المطلب الليلة ولد ؟

قالوا : نعم .

فأخبروا اليهودى فقال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل .

• عن أبى أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأت أمى كأنه خرج منها نور ، وأضاءت منه قصور الشام .

• عن عكرمة : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ولدته أمه وضعته تحت برمة فانفلقت عنه .

قالت فنظرت إليه ، فإذا هو قد شَقَّ بصره ، ينظر إلى السماء .

• وعن عمة وهب بن زَمعة قالت : لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى عبد المطلب .

فجاءه البشير وهو جالس فى الحِجْر معه ولده ، ورجال من قومه .

فأخبروه أن آمنة ولدت غلاماً ، فسُرَّ بذلك عبد المطلب .

وقام هو ومن كان معه ، فدخل عليها ، فأخبرتْه بكل ما رأت وما قيل لها ، وما أمرت به .

فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله تعالى ، ويشكر ما أعطاه .

قال ابن واقد : فَأُخْبِرْتُ أن عبد المطلب قال يومئذ :

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَعْطَانِى ... هٰذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِى الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِى الْأَرْكَانِ

حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ ... أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِى شَنَآنِ(١)

مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِيَانِ

• وقال العباس : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً .

فأعجب جده عبد المطلب وقال : ليكونن لابنى شأن . وكان له شأن .

• عن عبد الرحمن بن عوف قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هتفت الجن على أبى قُبَيس على الحَجُون ، الذى بأصله المقبرة ، وكانت قريش تبل فيه ثيابها فقال :

فَأُقْسِمُ مَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلَا وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَهْ

---

(١) ذى شنآن ، أى : ذى عداوة .

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ نَجِيَّةٌ مِنْ لُؤْمِ الْقَبَائِلِ مَاجِدَهْ
وَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدًا فَأَكْرِمْ مَوْلُودٌ وَأَكْرِمْ وَالِدُ

وقال الذى على أبى قبيس :

يَا سَاكِنِي الْبَطْحَاءِ(١) لَا تَغْلَطُوا وَمَيِّزُوا الْأَمْرَ بِفِعْلٍ مَضَى
إِنَّ بَنِي زُهْرَةَ مِنْ سِرِّكُمْ(٢) فِي غَابِرِ(٣) الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْبُدَى
وَاحِدَةٌ مِنْكُمْ فَهَاتُوا لَنَا فِيمَنْ مَضَى فِي النَّاسِ أَوْ مَنْ بَقِي
وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَهَا جَنِينُهَا مِثْلَ النَّبِيِّ التَّقِي

---

(١) موضع بمكة على طريق منى .

(٢) قوله « من سركم » تعبير مجازى ، والمراد : من الأشراف نسباً . قال فى أساس البلاغة «أعطيتك سره : خالصه وهو فى سر النسب ؛ محضه » .

(٣) قوله : فى غابر : أى فى الماضى . وقد يطلق على المستقبل فهو من الأضداد .

الباب الثاني والعشرون

في ولادته مسرورا مختونا

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كرامتى ، أنى وُلِدْتُ مختوناً ، ولم ير أحدٌ سَوْأَتِى » .

فإن قيل : فلمَ لم يولد مطهَّر القلب من حظ الشيطان ، حتى شُقَّ صدره وأخرج قلبه ؟

قال ابن عَقِيل : لأن الله سبحانه أخفى أدْون التطهيرَيْن الذى جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب ، وأظهر أشرَفهما وهو القلب ، فأظهر آثار التجمل والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر الحوادث التى كانت ليلة ولادته

عن مخزوم بن هانىء عن أبيه ، وأتت له خمسون ومائة سنة ، قال :

لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس(١) إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفة(٢) وغاضت بُحيرة ساوة(٣) ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى الموبذان(٤) إبلاً صعاباً تقود خيلا عراباً(٥) قد قطعت دِجلة وانتشرت فى بلادها .

فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى(٦) فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يكتم ذلك وزراءه ومرَازبته .

فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه ، فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيم بعثت إليكم ؟

قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك .

فبيناهم كذلك ، ورد عليهم كتاب بخمود النيران ، فازداد غمًّا إلى غمه فقال الموبذان : وأنا ، أصْلَح الله الملك ، قد رأيت فى هذه الليلة [رؤيا] وقص عليه الرؤيا فى الإبل .

فقال : أى شىء يكون هذا ياموبذان ؟

---

(١) قال فى الصحاح رجست السماء ترجس إذا رعدت وتمخضت وارتجست مثله اهـ ، وفى الأساس رجست السماء رجساً وارتجست : قصفت بالرعد اهـ والمراد هنا ارتج إيوان كسرى .

(٢) قوله : شرفة ، أى : سقطت من أعالى الإيوان أربع عشرة شرفة .

(٣) غاضت : أى : ذهب ماؤها فى الأرض .

(٤) الموبذان : قاض قضاة المجوس .

(٥) الخيل العراب : الخيل الأصيلة المعدة للسباق وللحروب : وهى خلاف البراذين .

(٦) فى الاكتفاء : أفزعه ذلك .

قال : حادث يكون من عند العرب(١) .

فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك ، إلى النعمان بن المنذر أما بعد ، فوجِّه إلىَّ رجلا عالماً بما أريد أن أسأله عنه .

فوجَّه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيَّان بن بُقَيْلة الغسانى .

فلما قدم عليه قال له : هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟

قال : لِيُخْبِرْنى الملك [عما أحبّ] فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه .

فأخبره بما رأى فقال : علم ذلك عند خال لى ، يسكن مشارفَ الشام يقال له سطيح :

قال فَأْتِهِ فاسْأَلْهُ عما سألتك عنه ، وائتنى بجوابه .

فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيح وقد أشفى(٢) على الموت ، فسلم عليه وحيَّاه فلم يَحِرْ(٣) جواباً .

فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصمّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ(٤) الْيَمَنْ ... أَمْ فَادَ فَازْلَمَّ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنْ(٥)

---

(١) فى الاكتفاء : حدث يكون من ناحية العرب . والزيادات فى الاكتفاء .

(٢) أى : قرب من الموت . (٣) أى : لم يجبه على تحيته .

(٤) الغطريف : السيد الشريف ، والسخى السرى اهـ قاموس .

(٥) فاد : مات قال :

رَعَى خَرَزَاتِ الْمُلْكِ عِشْرِينَ حِجَّةً ... وَعِشْرِينَ حَتَّى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

وازلم : ذهب مسرعا . والأصل فيه : ازلأم فحذفت الهمزة تخفيفا ؛ وقيل أصلها ازلام ، كاشهاب ، فحذفت الهمزة تخفيفا أيضاً . وشأو العنن : اعتراض الموت على الخلق . وقيل : ازلم : قبض ، والعنن : الموت . أى عرض له الموت فقبضه . وقد تصحفت الرواية فى النهاية . أن فار . انظر النهاية ٢/١٣٩

يَا فَاصِلَ(١) الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ　　أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ　　أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ
رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي(٢) لِلْوَسَنْ　　لَا يَرْهَبُ الْوَعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ
تَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ　　تَرْفَعُنِي وَجْناً وَتَهْوِي بِي وَجَنْ(٣)
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَآجِي وَالْقَطَنْ　　تَلُفُّهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدِّمَنْ(٤)

فلما سمع سطيح شعره ، رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح ، أتى إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملكُ بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعاباً ، تقود خيلا عِرَاباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها .

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشام

---

(١) الأصل : يا فارس الخطة . وما أثبته رواية اللسان . و « الاكتفا » .
(٢) فى الاكتفاء : ينمى للوسن . وما بين القوسين ساقط من الأصل .
(٣) العلنداة : القوية من النوق . والشزن : التى تمشى من نشاطها على جانب ، شزن فلان : إذا نشط ، وقيل : الشزن المعي من الحفاء . والوجن بفتح فسكون ، وبفتحتين : الأرض الغليظة الصلبة ، ويروى بالضم جمع وجين .
(٤) الجآجى : جمع جؤجؤ ، وهو عظام الصدر . والقطن بفتح الطاء أسفل الظهر . وقيل الصواب : القطن بكسر الطاء جمع قطنة ، وهى ما بين الفخذين . والبوغاء : التراب الناعم . والدمن : ما تدمن منه أى تجمع وتكبر . ويشهد له الرواية الأخرى : تلفه الريح ببوغاء الدمن . النهاية .
وقد وردت هذه القصة فى ابن كثير ٢/٢٦٩ . ولسان العرب ٣/٣١٢ ، والاكتفاء للكلاعى ١/١٢٠ — ١٢٢ (بتحقيقى) . باختلاف وزيادة ونقص .
قال الترمذى : وهو حديث حسن غريب .

لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت .

ثم قضى سطيح مكانه .

فثار عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْهَمِّ شِمِّيرُ ... لَا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ

إِنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارٌ دَهَارِيرُ

فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ ... تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ

مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ ... وَالْهُرْمُزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ

وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ

وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَباً ... فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ ... فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

فلما قدِم عبدُ المسيح على كسرى ، أخبره بقول سَطِيح ، فقال : إلى أن يَملك منا أربعة عشر ، قد كانت أمورٌ .

فملكَ منهم عشرةٌ ، أربعَ سنين ، وملكَ الباقون إلى خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

وكان سَطيح لحماً على وَضم ، لم يكن فيه عظم ولا عصب ، إلا الجمجمة والكفين ، ويُطْوَى من ترقوته إلى رجليه ، كما يُطْوَى الثوب ، ولم يكن منه شيء يتحرك إلا لسانه ، وكان يُحْمَل على وضمة .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر أمهات الحوادث فى سنيه صلى الله عليه وسلم

● كان من أعظم الحوادث فى السنة الأولى من مولده ، انشقاقُ الإيوان ، وقصة الفيل ، ويوم جَبَلة .

قال أبو عبيدة : أعظمُ آيات العرب يوم جَبَلة ، وكان عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لعامرٍ وعَبْس ، على ذبيان وتميم .

وقد قال الرَّضِىّ :

فَمِن إباءِ الأذَى خَلَّتْ جَماجِمَها عَلَى مَنَاصِلِهَا عَبْسٌ وذِبيْانُ

● وفى سنة سبع من مولده ، أصابه رمد شديد ، فعولج بمكة ، فلم تغن عنه .

فقيل لعبد المطلب : إن فى ناحية عكاظ راهباً يعالج العين .

فركب إليه فناداه ، وديره مغلق ، فلم يجبْه ، فتزلزل به ديره ، حتى خاف أن يسقط عليه ، فخرج مبادرا .

فقال : يا عبد المطلب ، إن هذا الغلام نبى هذه الأمة ، ولو لم أخرج إليك لخَرّ(١) علَىَّ دَيْرِى ، فارجع به ، واحفظه ، لا يغتاله بعضُ أهل الكتاب .

---

(١) أى : لسقط وتهدم الدير على .

ثم عالجه ، وأعطاه ما يعالج به .

وألقى الله له المحبة فى قلوب قومه ، وكل من يراه .

● وفى سنة ثمان من مولده مات عبد المطلب وكفله أبو طالب ، ومات كسرى أنو شروان وَوَلِىَ ابنه هُرْمز .

● وفى سنة عَشرٍ من مولده صلى الله عليه وسلم كان الفِجَار الأول(١).

فلما أتتْ له بضعُ عشرة سنة خرج فى سَفَر مع عمه الزُّبير ، فمرّوا بوادٍ فيه فَحْل من الإبل يمنع من يَجْتاز ، فأرادوا الانحراف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أكفيكموه ، فدخل أمام الركب ، فلما رآه البعير برك وحك الأرض بكَلْكلته ، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه . فلما رجعوا من سَفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق ، فوقفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتبعونى . ثم اقتحمه واتبعوه فأيبسَ الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس : إن لهذا الغلام لشأنا(٢) .

وكان يُفْرش لعبد المطلب فى ظل الكعبة وبنوه يجلسون حوله ، فكان

---

(١) الفجار بمعنى المفاجرة وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا ، فسمى حرب الفجار . وكان للعرب أربع فجارات آخرها فجار البراض هذا .

وأما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوزان ، والفجار الثانى بين قريش وهوازن ، وكان الفجار الثالث بين كنانة وهوازن اه باختصار .

من العقد الفريد والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بولاق .

(٢) هذا مما يعد من الكرامة أو الإرهاص ، وليس من باب المعجزة ، لأنه لم يكن قد ادعى النبوة بعد ، وعلى كل ، فهذه الأخبار واهية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جَفْر[١] فيجلس فى مكانه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه ، فيقول : دعوا بُنىَّ فوالله إن له لشأنا .

- وفى سنة أربع عشرة من مولده كان الفجار الآخر .
- وفى سنة خمس عشرة من مولده قامت سوق عُكاظ .
- وفى سنة تسع عشرة من مولده هلك هُرْمز بن كسرى وولِى ابنه أبرويز .
- وفى سنة عشرين من مولده كان حِلف الفضول .
- وفى سنة خمس وثلاثين من مولده هُدِمت الكعبة وبنيت .
- فلما تمت له أربعون سنة نُبِّئ ، فجاءه الوحى .
- وبعد عشرين يوما من مبعثه ، رُمِيَتِ الشياطين بالشهب .
- واستتر بالنبوة ثلاث سنين ثم نزل : « فاصدع بما تُؤمر » .

وكانت قريش لا تُنكر عليه حتى سَبَّ آلهتهم فآذَوْه وآذوا أصحابه .

- فأمرَ أصحابَه فى سنة خمس من النبوة بالهجرة إلى الحبشة .
- وكانت وقعة بُعاث فى سنة سبع من النبوة .
- وفى سنة عشر من النبوة ، مات أبو طالب وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام .
- وفى سنة إحدى عشرة ، خرج يَعْرِض نفسه على القبائل .

---

(١) الجفر : الغلام الغليظ .

- وفى سنة اثنتى عشرة ، كان المعراج .
- وفى سنة ثلاث عشرة ، بايعه الأنصار فى العقبة .
- وفى السنة الأولى من سنى الهجرة ، خرج إلى الغار . وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار .
- وفى سنة اثنتين حُوِّلَتْ القبلة إلى الكعبة ، ونزلت فريضة رمضان ، وكانت غَزَاة بدر .
- وفى السنة الثالثة كانت غزاة أُحُد ، وفى السابعة غزاة خيبر .
- وفى الثامنة كانت غزاة الفتح .
- وفى العاشرة ، حجَّ صلى الله عليه وسلم .
- وفى الحادية عشرة ، تُوُفِّىَ صلى الله عليه وسلم .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

● عن محمد بن جُبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحِى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى[1] ، وأنا العاقب » .

● وعنه أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لى أسماء :

« أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر ، الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى ، الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا العاقب،الذى ليس بعدى نبى » .

● عن أبى موسى قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه ، ومنها ما لم يحفظ قال :

« أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم » .

وعنه أيضاً قال : سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظناه فقال :

« أنا محمد ، وأحمد ، والمقفِّى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة » .

● عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أطعم

---

(١) أى : يحشرون خلفه .

[أحد] طعاماً على مائدة ولا جلس إليها وفيها اسمي إلا قدس[١] كل يوم مرتين » .

● عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم قط فى مشورة وفيهم رجل اسمه محمد ، لم يدخلوه فى مشورتهم ، إلا لم يبارك لهم فيه[٢] » .

● عن ابن فارس اللغوى : أن لنبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين اسماً : محمد ، وأحمد ، والماحى ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفى ، ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، ونبى الملاحم ، والشاهد ، والمبشر ، والبدر ، والضحوك ، والقتّال[٣] ، والمتوكل ، والفاتح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، والرسول ، والنبى ، والأمى ، والقُثَم .

والحاشر : الذى يحشر الناس على قدميه يقدمهم وهم خلفه .

والمقفى : آخر الأنبياء ، وكذلك العاقب .

والملاحم : الحروب . والضحوك : اسمه فى التوراة ، وذلك أنه كان طيب النفس ، فَكِهاً .

والقثم : من القثم وهو الإعطاء ، وكان أجود الناس .

وفى الماحى إشارة إلى ظهور دينه على المُلْك ، ومَحْوه الكفر ، وكثرة الفتوح .

---

(١) و (٢) هذان الحديثان موضوعان . والرواية فى شرح المواهب ٥/٣٠٣ (إلا وقدسوا كل يوم مرتين) .

(٣) إذا صح هذا الإسم فلا بد أن يفهم على أن الإسلام لم يمسك السيف إلا دفاعاً ورحمة .

قال ابن قتيبة : ومن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أنه لم يُسَمَّ أحد قبله باسمه ، صيانة من الله لهذا الاسم ، كما فعل بيحيي بن زكريا ، إذ لم يجعل له من قبل سمياً .

وذلك أنه سماه فى الكتب المتقدمة ، وبشرت به الأنبياء .

فلو جعل الاسم مشتركاً فيه ، شاعت الدعاوى ووقعت الشبهة .

إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه ، حضر أربعة أنفس عند راهب ، وأخبرهم ، باسمه وقرب زمنه ، فسموا أولادهم بذلك(١) ، ولا يعرف غيرهم(٢) .

---

(١) وهم : محمد بن عدى ، ومحمد بن يزيد بن عمرو ، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ، ومحمد بن أسامة بن مالك .

(٢) وقال القاضى عياض فى الشفا : « وأما أحمد ، الذى فى الكتب وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله بحكمته أن يتسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب ، أو شك .

وكذلك محمد أيضاً ، لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم .

إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو . والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ثم إن الله حمى كل من تسمى به أن يدعى النبوة ، أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان له ، صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما » الشفا ص ١٩٠

هذا ، وقد ذكر فى شرح المواهب ، أن عدد من سمى محمداً فى الجاهلية يصل إلى عشرين .

الباب السادس والعشرون

في ذكر كنيته صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ، يُكْنَى أبا القاسم ، لأنه أول ولد ولدته أمه .

• عن أنس بن مالك قال : لما ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية ، كاد يقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه ، حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم . وقد نهى أن يكنى بكنيته .

• عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع ، فنادى رجل رجلا : يا أبا القاسم . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال الرجل : لم أعنِك يا رسول الله ، إنما عنيت فلاناً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَسَمَّوْا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي » .

• عن جابر أن رجلا من الأنصار ، ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمداً .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال :

« تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي » .

• عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسمى باسمي ، فلا يكنى بكنيتي ، ومن اكتنى بكنيتي فلا[1] يتسَمَّ باسمي » .

---

(١) في الأصل « فلا يتسمى باسمي » وهو خطأ مطبعي لأن (لا) ناهية تجزم الفعل المضارع بحذف حرف العلة .

وقد اختلفت الرواية عن أحمد ، فروى عنه أنه يكره أن يجمع بين اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته ، فإن أفرد الكنية عن اسمه ، لم يكره .

وروى عنه ، كراهية فى الجملة ، فى الجمع ، والإفراد .

وروى عنه نفى الكراهة فى الجملة ، لما روى فى حديث عائشة أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنى ولدت غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لى أنك تكره ذلك .

فقال : ما الذى أحلّ اسمى وحرم كنيتى ؟ ! » .

أو : « ما الذى حرم كنيتى ، وأحل اسمى » .

قلت : وقد أجاز ذلك لعلى فى ولد يأتيه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال على : «يا رسول الله أرأيت إن ولد لى بعدك ولد ، أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » .

فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ .

قلت : والذى يقتضيه النظر فى الأحاديث أنه قد كان يكره أن يكتنى بكنيته ، لأن الخطاب لمثله بالكنية .

فأما بعده ، فلا تكره الكنية، ولا يجمع بينها وبين الاسم .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم

● أول من أرضعه ثويبة ، مولاة أبى لهب ، أياماً .

● ثم قدمت حليمة .

وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف فى مجلس واحد ، فولد حمزة .

ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرضعتهما ثويبة ، بلبن ابنها مسروح أياماً .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها — : إنها لا تحل لى ، إنها بنت أخى ، أرضعتنى وأباها ، ثويبة .

وكانت ثويبة تدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج خديجة ، فيكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكرمها خديجة ، وهى يومئذ أمَة ، ثم أعتقها أبو لهب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة ، حتى ماتت بعد فتح خيبر ، ولا يعلم أنها أسلمت .

بل قد قال أبو نعيم الأصبهانى : حكى بعض العلماء أنه اختلف فى إسلامها .

● عن عروة قال : كانت ثويبة مولاة لأبى لهب ، فأعتقها ، فأرضعت النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما مات أبو لهب ، رآه بعض أهله فى النوم ، فقال :

ماذا لقيت يا أبا لهب ؟

فقال : ما رأيت بعدكم رَوْحاً ، غير أنى سقيت فى هذه — وأشار إلى النقرة التى فوق الإبهام — بعتقى ثويبة .

قال : وكانت أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبا سلمة .

الباب الثامن والعشرون

فى ذكر حليمة وهى التى أرضعته بعد ثويبة

وهى حليمة بنت أبى ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة .

وزوجها ، الحارث بن عبد العُزى بن رفاعة .

واسم إخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضاعة حليمة :

عبد الله ، وأنيسة ، وخِدَامة بنو الحارث . وخدامة هى الشَّيماء ، غلب ذلك على اسمها ، فلا تعرف إلا به .

ويزعمون أن الشيماء سُبِيَتْ يوم حُنين .

فقالت : اعلموا أنى أخت نبيكم .

فلما أُتِىَ بها ، عرفها فأغناها .

وكانت حليمة من بنى سعد بن بكر .

قالت حليمة : خرجت على أتان لى قَمراء(١) قد أذمَّت(٢) بالرَّكب .

قالت : وخرجنا فى سنة شهباء ، لم تُبق شيئاً ، أنا وزوجى ، الحارث ابن عبد العُزَّى .

قالت : ومعنا شارف لنا ، والله إنْ تبضُّ(٣) بقطرة لبن ، ومعى صبى لنا ، والله ما ننام ليلَنا من بكائه ، ما فى ثديي لبن يُغْنيه ، ولا فى شارفنا لبن يغذيه ، إلا أنا نرجو الفَرج .

---

(١) القمراء : التى يميل لونها إلى الخضرة . (٢) أذمت : تأخرت .

(٣) تبض : ترشح . والشارف : الناقة المسنة .

فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه .

وإنما كنا نرجو الكرامة فى رضاعة من نرضع له من أبى المولود .

وكان يتيماً صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : ما عسى أن تصنع بنا أمه ! فكنا نأبى .

حتى لم يبق من صواحباتى امرأة ، إلا أخذت رضيعاً غيرى .

فقلت : أرجع ولم آخذ أحداً ؟ فكرهت ذلك ، وقد أخذ صواحباتى .

فقلت لزوجى : والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم ، فَلآخُذَنَّهُ .

قالت : فأتيته فأخذته ، ثم رجعت به إلى رَحلى .

فقال لى زوجى : قد أخذتيه ؟ قلت : نعم : وذاك أنى لم أجد غيره .

قال : أصبتِ ، عسى الله أن يجعل فيه خيراً .

قالت : والله ما هو إلا أن وضعته فى حجرى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ، وشرب أخوه حتى رَوِىَ .

وقام زوجى الحارث إلى شارفنا من الليل ، فإذا هى[١] ثجَّاء فحلب علينا[٢] ما شئنا ، فشرب حتى روى ، وشربت حتى رويت .

قالت : فمكثنا بخير ليلة ، شباعاً رواء .

فقال زوجى ، والله يا حليمة ، ما أراك إلا قد أصبت نسَمة مباركة ، قد نام صبياننا ، وقد روينا .

---

(١) رواية ابن هشام « فإذا إنها لحافل » ومعنى « حافل » ممتلىء ثديها باللبن ، كما أن معنى « ثجاء » كذلك .

(٢) ت : فحلبنا .

قالت : ثم خرجنا .

فوالله لقد خرجت أتانى(١) أمام الركب ، قد قطعتهم ، حتى ما يتعلق بها منهم أحد ، حتى إنهم ليقولون :

ويحك يا بنت الحارث ، كفى علينا النصَب(٢) ، أهذه أتانك التى خرجت عليها ؟

فأقول : بلى والله . فيقولون : إن لها لشأناً .

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بنى سعد بن بكر .

قالت : فقدمنا على أجدَب أرض الله .

قالت : فوالذى نفس حليمة بيده ، إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا ، وأسرح راعى غُنيمتى ، وتروح(٣) غنمى حُفَّلاً بطاناً ، وتروح أغنامهم جياعاً هلاكاً ، ما بها من لبن لشربه ، فنشرب ما شئنا من لبن .

وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها .

قالت : فيقولون لرعاتهم : ويلكم ، ألا تسرحون حيث يسرح راعى حليمة .

فيسرحون فى الشِّعب الذى يسرح فيه ، وتروح غنمهم جياعاً ما بها من لبن ، وتروح غنمى حُفَّلا لبناً .

قالت : وكان يشب فى اليوم شبابَ الصبى فى الشهر !

---

(١) أتانى ، أى : حمارتى .

(٢) أى : التعب ، والمراد : أتعبتنا حتى عجزنا عن لحاقك .

(٣) أى ترجع آخر النهار حُفَّلاً ، أى ممتلىء ثدى كل شاة باللبن وكذا بطونها بما رعته من نبات الأرض .

ويشب فى الشهر ، شباب الصبى فى سنة .

قالت : فبلغ سنتين وهو غلام جَفر .

قالت : فقدمنا به على أمه فقلت لها ، وقال لها زوجى :

دعى ابنى ، فلنرجع به ، فإنا نخاف عليه وباء مكة .

قالت: ونحن أضن شىء به لما رأينا من بركته صلى الله عليه وسلم .

فلم نزل بها ، حتى قالت : ارجعى به .

قالت : فمكث عندنا شهرين .

قالت : فبينما هو يوماً مع إخوته خلف البيت ، إذ جاء أخوه يشتد[١] ، فقال لى ولأبيه : أدركا أخى القرشى ، فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه .

قالت : فخرجت وخرج أبوه ، نشتد نحوه .

فانتهينا إليه ، وهو نائم ممتقع[٢] لونه .

فاعتنقه واعتنقته ، وقال : مالك يا بنى ؟

قال : أتانى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فوالله ما أدرى ما صنعا .

قالت : فاحتملناه فرجعنا به .

قالت : يقول زوجى : يا حليمة ، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب .

فانطلقى ، فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ، ما نتخوف عليه ،

قالت : فرجعنا به إلى أمه .

---

(١) أى : يسرع فى الجرى .　　(٢) أى : مصفر اللون .

قالت : ما ردّكما به ؟ فقد كنتما حريصين عليه ؟

فقلنا : لا والله ، إلا أنا قد كفلناه ، وأدّينا الذى علينا من الحق فيه ، وتخوفنا عليه الأحداث ، فقلنا : يكون عند أمه .

قالت : والله ما ذاك بكما ، فأخبرانى خبركما وخبره .

قالت : فوالله ما زالت بنا ، حتى أخبرناها خبره .

قالت : أتخافين عايه ؟ لا والله ، إن لإبنى هذا شأناً . ألا أخبركما عنه ؟ إنى لما حملت به ، فلم أحمل حملا(١) قط هو أخف منه ، ولا أعظم بركة منه :

ولقد وضعته ، فلم يقع كما تقع الصبيان ، لقد وقع واضعًا يده فى الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء .

دعاه والحقا بشأنكما .

(١) يفهم منه أنها حملت بغيره وهو غير صحيح .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر شرح صدره فى صغره صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن سعد :

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حليمة أربع سنين ، وكان يعدو مع أخيه وأخته فى البَهْم قريباً من الحى .

فأتاه ملكان هناك ، فشقا بطنه ، واستخرجا علقة سوداء فطرحاها ، وغسلا بطنه بماء الثلج فى طست من ذهب ، ثم وزن بألف من أمته فوزنهم .

ثم قال أحدهما للآخر : دَعه ، فلو وزنته بأمته كلها لرجحها .

وجاء أخوه يصيح : يا أماه ، أدركى أخى القرشى .

فخرجت أمه تعدو ، ومعها أبوه ، فيجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتقع اللون ، فذهبت به إلى آمنة بنت وهب ، فأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نرده ، إلا على جدْع أنفنا .

ثم رجعت به أيضاً .

فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكانا بعيداً .

ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت .

فأفزعها ذلك من أمره ، فقدمت به إلى أمه لترده ، وهو ابن خمس سنين .

● وروى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

كيف أول شأنك يا رسول الله ؟

قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر .

فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زادا .

فقلت : يا أخى ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخى ، ومكثت عند البهم .

فأقبل طائران أبيضان ، كأنهما نسران .

فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم .

فأقبلا يبتدران ، فأخذانى فبطحانى إلى القفا ، فشقا بطنى .

ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا علقتين سوداوين .

فقال أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى .

ثم قال : ايتنى بماء بَرَد . فغسلا به قلبى .

ثم قال : ايتنى بالسَّكينة . فذرَّاها فى قلبى .

ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْه .

فخاطه ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة[١] واجعل ألفا من أمته فى كفة .

فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق ، أشفق أن يخرَّ علىَّ بعضُهم[٢] .

فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم .

ثم انطلقا ، وتركانى وقد فرقتُ فرقاً شديداً[٣] .

---

(١) إذا صح ذلك كله فهو من قبيل تجسيم الحقائق ، مثل وزن الأعمال .

(٢) يخر . أى : يسقط .
(٣) أى : خفت خوفاً شديداً .

ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذى لقيت ، فأشفقت[١] على أن يكون التبس بى .

فقالت : أعيذك بالله .

فحملتنى على الرحل ، وركبت خلفى ، حتى بلغت إلى أمى .

فقالت : أديتُ أمانتى وذمتى ، وحدثتها بالذى لقيت .

فلم يرعُها[٢] ذلك وقالت : إنى رأيت حين خرج منى نوراً ، أضاءت منه قصور الشام .

● عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه وشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حَظُّ الشيطان منك .

فغسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَهُ ، ثم أعاده فى مكانه .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ، يعنى ظِئْرِه .

فقالوا : إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه ، وهو ممتقع .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم .

● عن شداد بن أوس قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ من بنى عامر ، فقال : يا محمد أنبئنى ببدء شأنك .

قال : أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى بن مريم .

وذلك أن أمى وضعتنى كنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر .

---

(١) أشفقت : خافت .

(٢) لم يرعها : أى : لم يفزعها ولم يجعلها خائفة .

فبينا أنا ذات يوم منتبذٌ من أهلي في بطن واد مع أتراب لى من الصبيان .

إذا أنا برهط ثلاثة ، معهم طست من ذهب ، ملىء ثلجاً .

فأخذنى من بين أصحابى .

فخرج أصحابى هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى .

ثم أقبلوا على الرهط ، فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ؟ فإنه ليس منا ، هذا ابن سيد قريش ، فإن كنتم لابد قاتليه ، فاختاروا منا أينا شئتم ، فاقتلوه .

فعمد أحدهم فأضجعنى ، ثم شق صدرى ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج ، فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها .

ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه : تَنَحَّ .

فتنحى عنى ، ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى ، وأنا أنظر إليه فصدعه(٢) .

ثم أخرج منه مضغة سوداء ، فرمى بها .

ثم قال بيده منه ، كأنه يتناول شيئاً .

فإذا أنا بخاتم فى يده من نور ، يحار الناظرون دونه .

فختم به قلبى ، فامتلأ نوراً ، ثم أعاده مكانه .

فوجدت بَرْد الخاتم فى قلبى دهراً .

ثم قال الثالث : تنحَّ .

---

(١) أى : شقه .

فأَمَرَّ يده من مفرق صدرى ، إلى منتهى عانتى ، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى .

ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى ، إنهاضاً لطيفاً .

ثم ضمونى إلى صدورهم ، وقَبَّلوا ما بين رأسى وبين عينى وقالوا :

يا حبيب الله ، لم تُرعْ إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير ، لقرّت عيناك .

قال : فبينا نحن كذلك ، إذا أنا بالحى قد جاءوا بحذافيرهم ، وإذا أمى ، وهى ظئرى ، أمام الحى تهتف بأعلى صوتها : يا ضعيفاه ؛ يا حبذاه ؛ يا سماه .

فأكبوا علىّ فَقبَّلُوا رأسى وما بين عينى وقالوا : حبذا أنت من ضعيف .

ثم قالت ظئرى : أمستضعف أنت من بين أصحابك فقتلت لضعفك ؟

ثم ضمتنى إلى صدرها .

فوالذى نفسى بيده ، إنى لفى حجرها ، وإن يدى لفى يد بعضهم .

وظننت أن القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرون .

فقال بعض القوم : إن هذا الغلام به لمم(١) أو طائف من الجن .

فذهبوا بى إلى الكاهن ، فقصوا عليه قصتى .

فقال : اسكتوا ، حتى أسمع من الغلام ، فإنه أعلم بأمره منكم .

فسألنى ، فقصصت عليه قصتى .

فوثب إلىّ ، فضمنى إلى صدره ، ثم نادى بأعلى صوته :

---

(١) لمم . أى : مس من الجن .

يا للعرب ! اقتلوا هذا الغلام ، واقتلونى معه ، فواللات والعُزَّى ، إن تركتموه وأدرك ، ليبدلنَّ دينكم .

ثم احتملونى . فهذا بدء شأنى .

● وقال زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما قامت سوقُ عكاظ ، انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَرَّاف من هُذيل ، يريه الناسُ صبيانهم .

فلما نظر إليه صاح وقال : يا معشر هذيل ! يا معشر العرب .

فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبيَّ .

وانْسَلَّت به حليمة .

فجعل الناس يقولون : أى صبى ؟

فيقول : هذا الصبى . فلا يرون شيئا . قد انطلقت به أمه .

فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاما ، وآلهته ، ليقتلن أهل دينكم ، وليكسرن آلهتكم ، وليظهرن أمره عليكم .

فطُلب بعُكاظ فلم يوجد .

قال محمد بن عمر : وجعل الشيخ الهذلى يصيح : يا هذيل ، وآلهته ، إن هذا لينتظر أمرًا من السماء . وجعل يُغرى بالنبى صلى الله عليه وسلم . فلم ينشب أن وَلِهَ وذهب عقلهُ ، حتى مات كافرا .

● عن ابن عباس قال : خرجت حليمة تطلب النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته مع أخته ، فقالت أُبنيَّ ، ما هذا الحر الذى أنت فيه ؟ !

فقالت أخته : يا أماه ، ما وجد أخى حرًا ، رأيت غمامة تظل عليه ، فإذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

● وقد روينا أن حليمة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وقد تزوّج خديجة ، فشكت إليه جَدْبَ البلاد وهلاك الماشية .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فيها ، فأعطتها أربعين شاة وبعيرًا موقعا للظعينة . فانصرفت إلى أهلها .

ثم قدمت عليه بعد الإسلام ، فأسلمت هى وزوجها وبايعا .

● عن محمد بن المُنكَدِر قال :

استأذنت امرأةٌ على النبي صلي الله عليه وسلم كانت أرضعته .

فلما دخلت عليه قال : « أمى أمى » وعمد إلى ردائه ، فبسطه لها ، فقعدت عليه .

وقد روى أنها جاءت إلى أبى بكر بعده ، فأكرمها ، وإلى عمر ففعل مثل ذلك .

وقد روى أنه أعيد شرحُ صدره ، بعد أن تم له عشر سنين .

● عن أُبَيِّ بن كعب : كان أبو هريرة جريئا على سؤال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال :

يا رسول الله ، ما أولُ ما رأيت من أمر النبوة ؟

فاستوى جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة .

إنى لفى صحراء ، ابن عشر سنين وأشهر ؛ وإذا بكلام فوق رأسى .

وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟

فاستقبلانى بوجوه ، ما رأيتها على أحد قط .

فأقبلا إلىّ يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بعَضدى ؛ لا أجد لأخذهما مسًّا .

فقال أحدهما لصاحبه : أضْجِعْهُ . فأضجعاني ؛ بلا قصر ولا هَصْر .

فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره .

فهوى أحدهما إلى صدري ، ففلقه فيما أرى ؛ بلا دم ولا وجع .

فقال له : أَخْرِج الغِلّ والحسد .

فأخرج شيئا كهيئة العلقة . ثم نبذها فطرحها .

فقال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مثلُ الذي أخرج شِبْهُ الفضة .

ثم هزَّ إبهامَ رجلي اليمنى فقال : أعد وسلِّم .

فرجعت بها ؛ أعدو رأفة على الصغير ورحمة للكبير[1] .

---

(١) رواه ابن كثير في تفسيره ٤/٥٢٤ عن عبد الله ابن الإمام أحمد . وفيه زيادة واختلاف .

الباب الثلاثون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تمام خمس سنين من مولده صلى الله عليه وسلم

● عن كعب قال : قالت حليمة : ركبت أتانى ، وحملت محمداً بين يدى ، أسير به ، حتى أتيت الباب الأعظم ، من أبواب مكة ، وعليه جماعة مجتمعة . فوضعته ؛ لأقضى حاجة وأصلح شأنى .

فسمعت هَدَّةً شديدة ، فالتفتُّ فلم أره .

فقلت : معاشر الناس ، أين الصبى ؟ قالوا : أى الصبيان ؟ قلت : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ؛ الذى نضَّر الله به وجهى ؛ وأشبع جوعى .

ربَّيْتُهُ ؛ حتى إذا أدركت سرورى ؛ أتيت به لأرده إلى أمه ؛ وأخرج من أمانتى ؛ اختلس من بين يدىَّ ؛ واللات والعُزَّى ؛ لئن لم أره لأرْمِيَنَّ نفسى من شاهق هذا الجبل . قالوا : ما رأينا شيئا .

فلما أيأسونى ؛ وضعت يدى على رأسى وقلت : وامحمداه واولداه . فأبكيت الجوارى الأبكار لبكائى ؛ وضج الناس معى بالبكاء .

فأتيت عبد المطلب فأخبرته ؛ فسلَّ سيفه ونادى : يا آل غالب .

وكانت دعوتهم فى الجاهلية . فأجابته قريش .

فقال : فُقِدَ ابنى محمد . فقالت قريش(١) : اركب نركب معك ؛ فلو خضت بحراً خضناه معك .

---

(١) فى الأصل « فقالوا قريش » وما أثبتناه هو الصحيح المؤيد بسياق الكلام .

فركب وركبوا فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها ؛ فلم ير شيئا ؛ فترك الناسَ وأقبل إلى البيت الحرام فطاف سبعاً ثم أنشأ يقول :

يَا رَبِّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّداً رُدَّهُ لِي وَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا

فسمعوا مناديا ينادى فى الهواء يقول :

معاشر الناس ؛ لا تضجوا ؛ إن لمحمد ربًّا لا يضيعه .

قال عبد المطلب : أيها الهاتف ؛ ومن لنا به ؟ وأين هو ؟

قال : هو بوادى تهامة ؛ عند شجرة اليمن .

فمضى عبد المطلب ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه تحت شجرة يجذب الأغصان ؛ ويعبث بالورق ؛ فحمله إلى مكة ؛ وجهز حليمة أحسن الجهاز .

وفى رواية أخرى أن حليمة لما قدمت به ؛ ضاع فى الناس .

فأخبرت عبد المطلب ؛ فأتى الكعبة فقال :

لَاهُمَّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّدَا رُدَّهُ رَبِّ وَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدَا

أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدَا

وفى رواية ؛ أن عبد المطلب بعث به فى حاجة فقال هذا .

• عن أبى حازم قال : قدم كاهن مكة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس سنين : وقد قدمت به ظئره إلى عبد المطلب فقال :

يا معشر قريش ، اقتلوا هذا الفتى ، فإنه يُفرِّقُكُمْ ويقتلكم .

فهرب به عبد المطلب .

• ولم تزل قريش تخشى من أمره ، ما كان الكاهن حذَّرَهُمْ .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر وفاة أمه آمنة

● عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما بلغ ستَّ سنين ، خرجت به إلى أخواله ، بنى عَدِيٍّ ابن النَّجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين ، فنزلت به دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهرا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت فى مقامه ذلك .

● لما نظر إلى أُطُم بنى عدى بن النجار بالمدينة عرفه فقال :

كنت ألاعب أُنَيْسَة ، جارية من الأنصار ، على هذه الآطام ، وكنت مع غلمان من أخوالى ، نطير طائرا كان عليه يقع .

ونظر إلى الدار فقال : هاهنا نزلت بى أمى ، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنتُ العوْم فى بئر بنى عدى بن النجار .

● وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه .

قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الأمة ، وهذه دار هجرته . فوَعيت ذلك .

ثم رجعت به أمه إلى مكة .

فلما كانوا بالأَبْوَاء ، توفيت أمه آمنة بنت وهب ، فقبرها هناك .

فرجعت به أم أيمن إلى مكة ، وكانت تحتضنه .

● فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عُمرة الحديبية بالأبْواء قال :

« إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه » .

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه .

فقيل له ، فقال : « أدركتنى رْحمة رحمتها ، فبكيت » .

● عن أبى مرثد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أتى جذم(١) قبر ، فجلس إليه ، وجلس الناس حوله ، فوقف كهيئة المخاطب ، ثم قام وهو يبكى .

فاستقبله عمر ، وكان من أجْرأ الناس عليه ، فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما الذى أبكاك ؟

قال : هذا قبر أمى ، سألت ربى الزيارة فأذن لى ، وَسألته الاستغفار ، فلم يأذن لى ، فذكرتُها ، فوقفت فبكيت .

فلم يُرَ يَوم كان أكثر باكيا من يومئذ .

قال ابن سعد : هذا غلط ، ليس قبرها بمكة ، إنما قبرها بالأبواء .

● عن أبى هريرة قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) كذا ، وفى المواهب . رسم .

« استأذنت ربى عز وجل فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت » .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبى بُريدة عن أبيه قال : أتيت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فوقف على عُسْفان ، فنظر يمينا وشمالا ، وأبصر قبر أمه ، فورد الماء ، فتوضأ ثم صلى ركعتين ، فلم يفجأنا إلا ببكائه .

فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرف إلينا فقال : ما الذى أبكاكم ؟

قالوا : بكيت فبكينا يا رسول الله .

قال : وما ظننتم ؟

قالوا : ظننا أن العذاب نازل علينا .

قال : لم يكن من ذلك شىء .

فقالوا : فظننا أن أمتك كلِّفت من الأعمال مالا تطيق .

قال : لم يكن من ذلك شىء ، ولكننى مررت بقبر أمى ، فصليت ركعتين ، واستأذنت ربى فى أن أستغفر لها فنُهيت ، فبكيت ؛ ثم عدت فصليت ركعتين ، واستأذنت ربى فى أن أستغفر لها ، فزُجِرْتُ زَجْرا ، فعلا بكائى .

ثم دعا براحلته فركبها ، فما سار إلا هُنَيَّة حتى قامت(١) الراحلة بثقل الوحى ، فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها . نامت .

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ »(١) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشهدكم ، أني برىء من آمنة ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه .

● عن الحسن بن جابر ، وكان من المجاورين بمكة قال :

رُفع إلى المأمون أن السَّيل يدخل قبر أمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لموضع معروف هناك ، فأمر المأمون بإحكامه .

قال ابن البراء : قد وصف لى ، وأنا بمكة ، وضعه .

فيجوز أن يكون توفيت بالأبواء ، ثم حملت إلى مكة ، فدفنت بها .

---

(١) سورة التوبة ١١٣

الباب الثانى والثلاثون

فى ذكر كفالة عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه آمنة

● عن نافع بن جبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت ، قبضه إليه جده عبد المطلب ، وضمه ورقّ عليه رقة لم يرقها على ولده .

وكان يقربه ويُدْنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام .

وكان يجلس على فراشه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابنى ، إنه ليؤتين مُلْكا .

● وقال قوم من بنى مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنا لم نر قدما ، أشبه بالقدم التى فى المقام منه .

فقال عبد المطلب لأبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء .

فكان أبو طالب يحتفظ به .

● وقال عبد المطلب لأم أيمن ، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بركة ، لا تغفلى عن ابنى ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نَبِىُّ هذه الأمة .

● وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال : علىَّ بابنى . فيؤْتَى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

● عن ابن عباس قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مَفرش في الحِجْر ، لا يجلس عليه غيره ، وكان حربُ بن أمية فمَنْ دونه ، يجلسون حوله دون المَفْرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على على المفرش ، فجبذه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك ما بعد كُفَّ بصره : ما لابني يبكي ؟

قالوا له : أراد أن يجلس على المفرش ، فمنعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابني ، يجلس عليه ، فإنه يحسُّ من نفسه شَرَفا ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربيٌّ قبله ولا بعدَه .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر خروج عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقون عند منام رقيقة

● عن رقيقة(١) ، وهى لِدَة عبد المطلب قالت : تتابعت على قريش سنون أَمحلت الضَّرْع ، وأدقَّت العظم .

فبَيْنا أنا نائمة أو مهمومة ، إذا هاتف يصرخ بصوت صحل(٢) يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبى المبعوث فيكم ، قد أظلتكم أيامه ، وهذا إبَّان نجومه ، فحيهلاً بالحَيَا(٣) والخصب .

---

(١) رواه الماوردى فى « أعلام النبوة » عن عروة بن مضرس ، عن مخرمة ابن نوفل ، عن أمه رقية بنت أبى ضيفى بن هاشم .

(٢) الأصل : بصوت ضحل . وما أثبته عن أعلام النبوة للماوردى . وقال فى الصحاح : فى صوته صَحَل ، أى : بحوحة . وقد صَحِلَ الرجل ، بالكسر ، يَصْحَل صَحْلاً ، أى : صار أبحّ فهو صَحِلُ الصوت وأصحل . قال الراجز :

فَلَمْ يَزَلْ مُلَبِّيًا وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى عَلَا الصَّوْتَ بُحُوحٌ وَصَحَلْ
وَكُلَّمَا أَوْفَى عَلَى نَشْزٍ أَهَلّ

والمراد بصوت فيه بَحَحٌ شديد . قال فى القاموس « صَحِل » صوته ، كفرح ، فهو أصحل وصَحِلٌ : بَحَّ أو احتدَّ فى بَحَحٍ . أو « الصَّحَلُ » محركة خشونة فى الصدر ، وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم : اهـ .

(٣) الحيا : المطر .

ألا ، فانظروا رجلا منكم وسيطاً عظاماً جساماً(١) ، أبيض بَضًّا ، أوطفَ الأهداب ، سهل الخدين ، أشمَّ العِرْنينَ له فخر يكظم عليه ، وسنة تهدى إليه ، فليَخْلص هو وولده ، وليهبط إليه من كل بطن رجل ، فليستَنُّوا من الماء ، وليمسُّوا من الطِّيب ، ثم يستلموا الركن ، ثم ليرتقوا أبا قُبيس ، فليَستسق الرجل ، وليُؤمِّن القوم ، فغِثْتم ما شئتم .

فأصبحتُ ـ عَلِمَ الله ـ مذعورة ، قد اقشعر جِلْدى وَوَلِهَ(٢) عقلى ، واقتصصت رؤياى ، فوالحرمة والحَرَم ، ما بقى [بها](٣) أبْطحى إلا قال : هذا شَيْبة الحمد .

فتتامت(٤) إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل .

فسنوا ومسُّوا ، واستلموا .

ثم ارتقوا أبا قُبيس ، وطبقوا جانبيه ، ما يَبْلغ سعيهم مُهْلةً .

حتى إذا استووا بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام قد أيفع أو كَرَب ، فقال :

اللهم سادَّ الخلَّة ، وكاشف الكُرْبة ، أنت معلِّمٌ غير مُعلَّمٍ ، ومسئول غير مُبخَّل ، وهؤلاء عبادك ، وإماؤك بعُذرات(٥) حرمك ، يشكون إليك سنتهم ، أذهبت الخفَّ والظلف ، اللهم فأمطرنا غيثاً ، مُغدقاً ممرعاً .

---

(١) كذا بالأصل . وفى أعلام النبوة : وسيطاً جسيما . (٢) أى : ذهب .

(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة . والمراد بالأبطحى الساكن المقيم فى مكة .

(٤) أى : جاءوا كلهم وتموا .

(٥) الغدرات : جمع غَدَر ، بفتح الأول والثانى ، وهو كل موضع كثير الحجارة .

فوالكعبة ، ما راحوا(١) حتى تفجرت السماء بمائها ، واكتظ(٢) الوادى بثجيجه ، فلسمعتُ شيخان قريش وجلتها : عبدَ الله بن جُدْعان ، وحرب بن أمية ، وهشام بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب :

هنيئاً لك أبا البطحاء . أى : عاش بك أهل البطحاء .

وفى ذلك تقول رقيقة :

بِشَيْبَةِ الْحَمْدِ أَسْقَى اللهُ بَلْدَتَنَا لَمَّا فَقَدْنَا الْحَيَا(٣) وَاجْلَوَّذَ(٤) الْمَطَرُ

فَجَادَ بِالْمَاءِ جَوْنِيٌّ(٥) لَهُ سَبَلٌ(٦) سَحًّا(٧) فَعَاشَتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ(٨)

مُبَارَكُ الْأَمْرِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ مَا فِي الْأَنَامِ لَهُ عِدْلٌ(٩) وَلَا خَطَرُ(١٠)

مَنًّا مِنَ اللهِ بِالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ وَخَيْرَ مَنْ بَشَّرَتْ يَوْمًا بِهِ مُضَرُ(١١)

---

(١) أى : ما عادوا إلى منازلهم . (٢) أى : امتلأ الوادى بكثرة الماء .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) قال فى القاموس (الاجلواذ : المضاء والسرعة فى السير ، وذهاب المطر) اهـ . والمراد هنا (انقطع عنا المطر) . (٥) جونى : أى سحاب فيه سواد وحمرة .

(٦) السبل : بفتح السين والباء : المطر . اهـ . قاموس .

(٧) أى : الصب الكثير .

(٨) الأنعام : البهائم ، والشجر : كل أنواع النبات .

(٩) عدل : أى ليس له مثيل .

(١٠) الخطر : المراد به هنا ، علو المنزلة ورفعة الشرف .

(١١) ليس فى أعلام النبوة .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر خروج عبد المطلب لتهنئة سَيْف بن ذى يَزَن بالمُلك وتبشير سيف عبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسله

عن ابن الكلبي قال : لمّا ملك سيفُ بن ذى يَزَن أرض اليمن وقتل الحَبَش وأبادهم ، وفدت إليه أشرافُ العربِ ورؤساؤهم ليهنئوه بما ساق الله من الظَّفر .

ووفِد وفدُ قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدعان ، وخُويلد بن أسيد ، ووهب ابن عبد مناف بن زهرة .

فساروا حتى وافَوْا مدينة صنعاء ، وسيف بن ذى يزن نازل بقصر يقال له غُمْدان ، وكان أحد القصور التي بنتها الشياطين لبلقيس بأمر سليمان ، فأناخ عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف ، فأذن لهم .

فدخلوا وهو جالس على سرير من ذهب ، وحوله أشراف اليمن على كراسى من الذهب ، وهو متضمخ بالعنبر ، وبصيصُ المسك يلوح فى مَفْرقه[1] فحيَّوه بتحية الملك ، ووضعت لهم كراسى الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام ماثلا بين يديه ، واستأذنه فى الكلام .

---

(١) قوله : بصيص المسك الخ يعنى يظهر لمعان المسك من مفرق شعر رأسه .

فقيل له : إن كنت ممن تتكلم بين يدى الملوك فتكلم .

فقال : أيها الملك ، إن الله قد أحلك مَحلا رفيعاً شامخاً منيعاً ، وأنْبَتك مَنْبتاً طابت أرومته وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبَسق فرْعه ، فى أطيب مغرس وأعذب منبت .

فأنت أيها الملك ربيعُ العرب ، الذى إليه مَلاذها ، وورْدها الذى إليه مَعادها .

وسلفُك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .

ولن يهلك الله من أنت خلفه ، ولن يَخْمل من أنت سلفه .

نحن ـ أيها المَلك ـ أهل حَرَم الله وسدنة بيت الله .

أوفدنا إليك الذى أبْهَجنا مِن كشْف الضر الذى فَدَحنا .

فنحن وفد التّهنئة ، لا وفد الترزئة .

فقال سيف : أنتم قريش الأباطح ؟ قالوا : نعم .

قال : مرحباً وأهلا ، وناقة ورَحْلا ، ومُناخاً سهلاً ، وملكاً سَمحلا ، يعطى عطاء جزلاً .

قد سمع الملك مقالتكم وعرف فضلكم .

فأنتم أهل الشرف والحمد والثناء والمجد .

فلكم الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم .

ثم قال لعبد المطلب : أيهم أنت ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب بن هاشم .

قال : إياك أردت ، ولك حشدت ، فأنت ربيع الأنام ، وسيد الأقوام .

انطلقوا وانزلوا حتى أدعو بكم .

ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم .

فأقاموا شهراً لا يدعوهم ، حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب : إيتنى وحدكَ مِن بين أصحابك .

فأتاه ، فوجده مستخلياً لا أحدَ عنده ، فقرَّبه حتى أجلسه معه على سريره ، ثم قال :

يا عبد المطلب إنى أريد أن ألقى إليك من علمى سراً ، لو غيرك يكون لم أَبُحْ به إليه ، غير أنى رأيتك معدنه ، فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله فيه بأمره ، فإن الله منجز وعده ، وبالُغ أمره .

قال عبد المطلب : أرشدَكَ الله أيها الملك .

قال سيف : إنى أجد فى الكتب الصادقة والعلوم السابقة ، التى اختزنَّاها لأنفسنا ، وستَرْناها عن غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفخر المات ، للعرب عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبتُ بخير ما آب به وافد .

ولولا هيبة الملك وإعظامه ، لسألته أن يزيدنى من سروره إياى سروراً .

فقال سيف : نبى يبعث من عقبك ، ورسولٌ من قرنك ، اسمه أحمد ، ومحمد ، وهذا زمانه الذى يولد فيه ، أو لعله قد ولد .

يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه [قد ولدناه مراراً[1] والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه .

تخمد عند مولده النيران ، ويعبد الواحد المنان ويزجر الكفر والطغيان ويكسر اللات والأوثان .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم والاكتفا للكلاعى . ومعناها أن [illegible] عرب ولدوا رسول الله .

قوله فصل ، وحكمه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : علا كعبك ، ودام فضلك ، وطال عمرك ، فهل الملك سارّى بإفصاح وتفسير وإيضاح ؟

قال سيف : والبيت ذى الحُجُب ، والآيات والكتب ، إنك يا عبد المطلب ، لجدّه غير كذب .

فخرّ عبد المطلب ساجداً .

قال سيف : ارفع رأسك ، ثلج صدرُك ، وطال عمرك ، وعلا أمرك .

فهل أحسست بشىء مما ذكرت لك ؟

قال عبد المطلب : نعم أيها الملك ، كان لى ابن كنت به معجباً .

فزوّجته كريمة من كرائم قومى يقال لها آمنة بنت وهب ، فجاءت بغلام سميته محمداً وأحمد ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .

قال : هو هو ، لله أبوك ، فاحذر عليه أعداءه . وإن الله لم يجعل لهم عليه سبيلاً .

ولولا علمى بأن الموت مجتاحى قبل ظهوره ، لسرت إليه بخيلى ورجلى حتى أجعل مدينة يثرب دار ملكى .

فإنى أجد فى كتب آبائى ، أن بيثرب استتباب أمره ، وهم أهل دعوته ونصرته ، وفيها موضع قبره .

ولولا ما أجد من بلوغه الغايات ، وأن أقيه الآفات ، وأن أدفع عنه العاهات ، لأظهرت اسمه ، وأوطأت العربَ عقبه .

وإن أعش فسأصرف ذلك إليه . قم فانصرف بمن معك من أصحابك .

ثم أمر لكل رجل منهم بمائتى بعير ، وعشرة أعبد من الحبش ، وعشرة أرطال من الذهب ، وحلتين من البرود .

وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم ، وقال له : يا عبد المطلب ، إذا شبَّ محمد وترعرع ، فاقدم عليّ بخبره .

ثم ودعوه وانصرفوا إلى مكة .

فكان عبد المطلب يقول : لا تغبطونى بكرامة الملك إياى دونكم ، وإن كان ذلك جزيلا ، وفضل إحسانه إلىّ وإن كان كثيراً ، اغبطونى بأمر ألقاه إلىّ من شرفٍ لى وَلِعَقِبِي من بعدى .

فكانوا يقولون له : ما هو ؟ فيقول : ستعرفونه بعد حين .

فمكث سيف باليمن ملكاً عدة أحوال ، وإنه ركب يوماً كنحو ما كان يركب للصيد وقد كان قد اتخذ من السودان نفراً يجهزون بين يديه بحرابهم ، فعطفوا عليه يوماً فقتلوه .

وبلغ كسرى أنو شروان ، فرد إليهم هُرْمز ، وأمره أن لا يدع أسودَ إلا قتله .

● عن ابن عباس قال لما ظهر ابن ذى يزن على الحبشة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، أتت وفود العرب وشعراؤها تهنيه وتمدحه .

فأتاه فيمن أتاه ، وفد من قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية ابن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وخُويلد بن أسد ، فى ناس من وفود قريش .

فقدموا عليه صنعاء ، فإذا هو فى رأس غمدان ، الذى ذكره أمية ابن أبى الصلت :

إِشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفعاً فِى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا

فدخل عليه الإذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم .

فدنا عبد المطلب واستأذنه فى الـكلام .

فقال له : إن كنت ممن يتـكلم بين يدى الملوك ، فقد أذِنّا لك .

فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً . وأنبتك منبتاً ، طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، فى أكرم موطن ، وأطيب معدن .

فأنت ملك العرب وربيعها الذى يخصب ، وأمير العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومَعقلها الذى تلجأ إليه العباد .

سلفك [لك] خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف .

فلن يخمل من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه .

نحن ، أيها الملك ، أهلُ حرم الله عز وجل وسَدَنة بيته .

أشخصنا إليك الذى أبهجنا من كشفك(١) الـكربَ ، الذى فدَحنا .

فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة .

قال : وأيهم أنت أيها المتـكلم ؟

قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .

قال : ابن أختنا ؟ يعنى الأنصار .

قال : نعم . قال أدْنُهُ . فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :

مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً ، وملـكاً سَمَحْلاً ، يعطى عطاء جزلا .

قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم أهل الليل والنهار ، ولـكم الـكرامة ، ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم(٢) .

(١) الاكتفاء : من كشف الـكرب .

(٢) قوله : والحباء الخ ، أى : ولـكم العطايا إذا رحلتم إلى بلادكم .

ثم نهضوا إلى دار الضيافة والرِفد ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ، ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة .

فأرسل إلى عبد المطلب ، فأدنى مجلسه وأخلاه وقال :

يا عبد المطلب إنى مُفْضٍ[1] إليك من سرٍّ[2] علمى، ما لو لم يكن غيرك لم أبُحْ به ، ولكنى رأيتك معدنه ، فأطلعتك عليه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره .

فإنى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون ، الذى اختزناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك مثلك سرّ وبرّ فما هو ؟ فِدًا لك أهل الوبر زُمرًا بعد زُمر .

قال : إذا ولد مولود بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبد المطلب : أبيتَ اللعن ، لقد أبتُ بخبر ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألت من سارّه إياى ، ما أزداد به سروراً .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد .

واسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه .

قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً ، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه .

يضرب بهم الناس عن عَرْض ، ويمسح بهم كرائم الأرض .

---

(١) فى الأصل (مفوض) وهو تحريف (٢) الاكتفا : من سنى .

يكسر الأوثان ، ويخمد النيران ويعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان .

قوله فَصْل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال عبد المطلب : عز جدك ، وعلا كعبك ، ودام مُلكك ، وطال عُمرك فهل الملك سارِّى بإفصاح ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ؟

قال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب(١) إنك يا عبد المطلب لجَدُّهُ غير كذب .

فخرَّ عبد المُطلب ساجداً ، فقال له ارفع رأسك ثلُج صدرُك ، وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟

قال : أيها الملك كان لى ابن ، وكنت به معجَباً ، وعليه رفيقاً .

زوَّجته كريمةً من كرائم قومى ، آمنة بنت وهب ، فولدت غلاماً ، فسميته محمداً .

مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .

قال ابن ذى يزن : إن الذى قلتُ لك كما قلتَ ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا .

واطوِ ما ذكرتُ لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمن أن تَدخلهم النفاسة من أن يكون لكم الرياسة ، فيطلبون لك الغوائل ويَنْصبون لك الحبائل ، وهم فاعلون أو أبناؤهم .

ولولا أعلم أن الموت مجتاحى قبل مَبْعثه ، لسِرْت بخيلى ورجلى حتى أصيِّر يثرب دار ملكى .

فإنى أجد فى الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن بيثرب استحكام أمره ، وأهلُ نصرته وموضع قبره .

---

(١) الاكتفا : والعلامات والنصب .

ولولا أنى أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت ـ على حداثة سنه ـ أمرَه ، ولأوطأت أسنان العرب عقِبه .

ولـكنى سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك .

وأمر لـكل واحد منهم بعشرة أعْبد ، وعشرة إماء ، ومائة من الإبل ، وحلتين من البرود ، وخمسة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش مملوءة عنبراً .

وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال :

إذا جاء الحول فائتنى . فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول .

وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش ، لا يغبطنى أحد بجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه إلى نفاد ، ولـكن ليغبطنى مما يَبْقى لى ولعقبي من بعدى ، ذكره ومجده وشرفه فإذا قيل : ومتى ذلك ؟ قال : سيعلم ولو بعد حين(١) .

وفى ذلك يقول أمية بن عبد شمس :

جَلَبْنَا النُّصْحَ تَحْقُبُهُ الْمَطَايَا ... عَلَى أَكْوَارِ أَجْمَالٍ وَنُوقِ

مُغَلْغَلَةً(٢) مَرَاتِعُهَا ثِقَالاً ... إِلَى صَنْعَاء مِنْ فَجٍّ عَمِيقِ

تَؤُمُّ بِنَا ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَيَفْرِي ... ذَوَاتَ بُطُونِهَا أَمَّ الطَّرِيقِ

فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنْعَاء حَلَّتْ ... بِدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسَبِ الْعَرِيقِ

---

(١) الاكتفا : ستعلمن نبأه بعد حين .

(٢) الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها .

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر موت عبد المطلب

قالوا : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياطته وقال لبناته : ابكينني وأنا أسمع . فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه جعل يحرك رأسه : أي قد صدقت . وقد كنت لذلك ، وهو قولها :

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ دَرِرْ ... عَلَى طَيِّبِ الْخِيمِ (١) وَالْمُعْتَصَرْ
عَلَى مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِي الزِّنَادِ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا (٢) عَظِيمِ الْخَطَرْ (٣)
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ ... وَذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرْ
وَذِي الْمَجْدِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجَرْ (٤)
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ (٥) ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرْ

قال : ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

ويقال : ابن مائة وعشر سنين . ويقال ابن مائة وعشرين سنة .

---

(١) الخيم (بالكسر) السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المتصر ، أنه عند للسألة كريم .
(٢) المحيا : الوجه .
(٣) الخطر : القدر والمنزلة الرفيعة .
(٤) الفجر : العطاء والكرم والمعروف ، وكثرة المال .
(٥) لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

• وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ؟
قال : نعم وأنا يومئذ ، ابن ثمان سنين .

• قالت أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف سرير عبد المطلب يبكى .

عن ابن جريج قال : كنا جلوسًا مع عطاء بن أبى رباح فى المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلىّ بن عبد الله فى الطواف خلفه ، فتعجبنا من تمام قامتهما ، وحسن وجوههما .

قال عطاء : وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس ! ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة ، وأنا فى المسجد الحرام طالعا من جبل أبى قبيس ، إلا تذكرت وجه عبد الله بن عباس ، ولقد رأيتنا جلوسا معه فى الحجر إذا أتاه شيخ قديم بدوى من هذيل ، يعتمد(١) على عصاه ، فسأله عن مسألة فأجابه .

فقال الشيخ لبعض من فى المسجد : من هذا الفتى ؟

قالوا : هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .

فقال الشيخ : سبحان الله ، غير حسن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب إلى ما أرى .

قال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبى يقول : كان عبد المطلب أطول الناس قامة ، وأحسن الناس وجها ، ما رآه أحد إلا أحبه .

كان له مفرش فى الحجر ، ما يجلس عليه غيره ، ولا يجلس عليه أحد .

---

(١) ت : يهتج .

وكان النّدْوَى من قريش ، حرب بن أمية فمن دونه ، يجلسون دون المفرش .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ ، فجلس على الفرش ، فجذبه رجل ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عبد المطلب ، وذلك بعد ما كفّ بصره : ما لابنى يبكى ؟

فقالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه .

فقال عبد المطلب : دعوا ابنى يجلس عليه ، فإنه يحسُّ من نفسه بشرَف ، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

قال : ومات عبد المطلب ، والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثمان سنين ، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكى ، حتى دفن بالحجون قال : ودفن عبد المطلب بالحجون .

وإنما أوصى برسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب ، لأن أبا طالب وعبد الله ، كانا أخوين لأم ، وقد كان الزبير لأمهما .

غير أن فى سبب تقديم أبى طالب ثلاثة أقوال :

أحدها ، وصية عبد المطلب إليه .

والثانى ، أنهما اقترعا ، فخرجت القرعة لأبى طالب .

والثالث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر كفالة أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عباس قال : لما توفى عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له .

إن كان يحبه حباً شديداً ، لا يحبه ولده .

وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .

وصبّ(١) به أبو طالب صبابة لم يصبّ مثلها بشيء قط .

وقد كان يخصه بالطعام .

وإذا أكل عيالَ أبى طالب جميعا أو فرادى ، لم يشبعوا .

وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا .

فكان إذا أراد أن يغذيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابنى .

فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهم ، فكانوا يفضلون من طعامهم .

وإذا لم يكن معهم ، لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لَمُبَارَكٌ .

---

(١) قوله : « وصب به أبو طالب الخ » أى : أحب النبى صلى الله عليه وسلم حباً شديداً لم يحب أحداً مثله .

وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعثاً ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحيلا .

● عن عمرو بن سعيد قال : كان أبو طالب يُلْقَى له وسادة يقعد عليها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام يقعد عليها فقال أبو طالب :

وآلهة ربيعة إن ابن أخي ، ليحس بنعيم .

• عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجاز ، ومعى ابن أخى ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأدركنى العطش ، فشكوت إليه فقلت : يا ابن أخى قد عطشت ، وما قلت له ، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجوع .

قال : فثنى وركه ، ثم نزل فقال : يا عم أعطشت ؟ قال : قلت : نعم .

فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء ، فقال : اشرب يا عم ، فشربت .

الباب السابع والثلاثون

في ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى

● عن داود بن الحسين قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام ، خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرة الأولى ، وهو ابن اثنتى عشرة سنة .

فلما نزل الركبُ ، بصرى ، من الشام ، وبها راهب فى صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون فى تلك الصومعة ، يتوارثونها عن كتاب يدرسونه .

فلما نزلوا بدير بَحِيرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم .

حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلا قريباً من صومعته ، قد كانوا ينزلونه قبل ذلك ، كلما مروا — صنع لهم طعاما ودعاهم .

وإنما حمله على دعائهم ، أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دون القوم ، حتى نزلوا تحت الشجرة .

ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، فاخضلت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرى ذلك ، نزل عن صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأُتِيَ به ، وأرسل إليهم فقال :

إنى قد صنعت لـكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروه كلـكم ولا تخلفوا منـكم صغيراً ولا كبيراً ، حراً ولا عبداً ، فإن هذا شئ تـكرمونى به .

فقال له رجل : إن لك لشأنا يا بحيرى ، ما كنت تصنع هذا ، فما شأنك اليوم ؟ قال : إنى أحب أن أكرمكم ، ولـكم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن بين القوم لحداثة سنه ، ليس فى القوم أصغر منه ، فى رحالهم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرى إلى القوم ، ولم ير الصفة التى يعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر ، فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها متخلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بحيرى : يا معشر قريش ، لا يتخلفن منـكم أحد عن طعامى .

قالوا : ما تخلف أحد ، إلا غلام وهو أحدث القوم سنا فى رحالهم .

فقال : ادعوه ، ليحضر طعامى .

فما أقبح أن تحضروا ، ويتخلف رجل واحد ، مع أنى أراه من أنفُسِكُمْ .

فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخى هذا الرجل ، يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب .

فقال الحرث بن عبد المطلب : والله إن بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا .

ثم قام إليه ، واحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه .

وجعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء فى جسده ، قد كان يجدها عنده فى صفته .

فلما تفرقوا عن الطعام ، قام إليه الراهب وقال :

يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ، إلا أخبرتنى عما أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألنى باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما .

قال : فبالله ، إلا أخبرتنى عما أسألك عنه . قال : سلنى عما بدا لك .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عنده .

ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التى عنده ، فَقَبَّل موضع الخاتم .

فقالت قريش : إن لمحمد عند الراهب لَقَدْراً .

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب ، يخاف على ابن أخيه .

فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟

قال أبو طالب : هو ابنى .

قال : ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

قال : فابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك ، وأمه حامل به .

قال : ما فعلت أمه ؟

قال : توفيت قريبا .

قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود .

فوالله ، لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ، ليبغنه[١] عنتاً ، فإنه كائن ، لابن أخيك هذا شأن عظيم ، نجده فى كتابنا ، وما روينا عن آبائنا ، واعلم أنى قد أديت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً .

وكان رجال من يهود ، قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرى فذكروه أمره ، فنهاهم أشد النهى وقال لهم : أتجدون صفته ؟

قالوا : نعم . قال : فما لكم إليه سبيل : فصدقوه وتركوه .

ورجع أبو طالب ، فما خرج به سفراً بعد ذلك ، خوفاً عليه .

• عن أبى بكر بن أبى موسى قال خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش .

فلما أشرفوا على الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت .

قال : فهم يحلون رحالهم ، فخرج إليهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك به ؟

قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة ، لم يبق شجر ولا حجر ، إلا خر

---

(١) قوله (ليبغنه عنتاً) يريد : أن اليهود ربما اغتالوه أو حاولوا الإيقاع به فى الشرور .

ورواية ابن هشام (لَيَبْغُنَّهُ شراً) .

ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وأنا أعرف خاتم النبوة [فى أسفل[١]] من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع ، فصنع لهم طعاما .

فلما أتاهم به ، وكان هو[٢] فى رعيه للإبل ، فقال : أرسلوا إليه .

فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم ، إذا هم قد سبقوه إلى فىء الشجرة .

فلما جلس ، مال فَىْءُ الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه .

فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة ، فقتلوه .

فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر ، قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟

قالوا : أُخْبِرْنَا أن هذا النبي خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس ، وإنا أُخبرنا خبره فَبُعِثْنا إلى طريقك هذه .

فقال : هل خلفكم أحدٌ هو خير منكم ؟ قالوا : لا .

قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا . [فبايَعوه وأقاموا معه[١]] .

ثم قال : أنشدكم الله ، أيكم وليه ؟ قال أبو طالب : أنا .

فلم يزل يناشده ، حتى رده ، فزوده الراهب من الكعك[٣] .

---

(١) من شرح المواهب ١/١٩٥ (٢) أى النبي .

(٣) قال البيهقى : هذه القصة مشهورة عند أهل المغازى . وضعف الذهبي هذا الحديث . وقال ابن حجر : رجاله ثقات .

الباب الثامن والثلاثون

فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

الفجار اثنان : الفجار الأول ، والفجار الثانى .

أما الأول فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وكانت الحرب فيه ، ثلاث مرات .

أما المرة الأولى ، فسببها أن بدر بن معشر الغفارى ، كان يفتخر على الناس .

فبسط يوما رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى ، فليضربها بالسيف .

فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية يقال له « الأحمر بن مازن » فضربه بالسيف على ركبته فأندرها(١) فاقتتلوا .

• وأما المرة الثانية فكان سببها أن امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة ، فسألوها أن تُسْفِر(٢) فأبتْ .

فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحلّ طرف درعها إلى ما فوق عجزها بشوكة .

---

(١) أندرها : أى : قطعها .
(٢) أى : تكشف عن وجهها فامتنعت .

فلما قامت ، انكشف دُبُرُهَا ، فضحكوا وقالوا : منعتينا النظر إلى وجهك ، وجُدْتِي لنا بالنظر إلى دبرك !

فنادت : يا آل عامر .

فتنادوا بالسلاح ، واقتتلوا مع بنى كنانة ، ووقعت بينهما دماء ، فتوسطها حرب بن أمية ، وأرضى بنى عامر من مُثْلَةِ صاحبتهم .

● وأما المرة الثالثة فكان سببها أنه كان لرجل من بنى جشم بن عامر دَيْنٌ على رجل من بنى كنانة فلواه به[1] ، فجرت بينهما خصومة ، واقتتل الحيَّان ، وحمل ابن جدعان ذلك من ماله .

وهذه الأيام لم يحضرها صلى الله عليه وسلم .

وأما الفجار الثانى فكان بين هوازن وقريش ، وإنما سمى الفجار لأن بنى كنانة وهوازن ، استحلوا الحَرَم ، ففجروا ، فاقتتل الفريقان .

وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

« كنت أنبِّل على أعمامى يوم الفجار » أى أناولهم النبل .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أربع عشرة سنة ، ويقال : عشرون سنة .

---

(١) أى ماطله بأداء الدين .

الباب التاسع والثلاثون

فى ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفَ الفضُول

وسببُ هذا الحلف أن قريشاً كانت تتظالم فى الحَرَم .

فقام عبد الله بن جدْعان ، والزبير بن عبد المطلب ، فدَعوْا إلى التحالف على التناصر من الأخذ المظلوم من الظالم ، فأجابوهما ، وتحالفوا فى دار ابن جُدْعان .

عن أبى عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أن رجلا من اليمن ، قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها رجل من بنى سهم ، فلوى(١) الرجل بحقه ، فسأله ماله فأبى عليه ، فسأله متاعه فأبى عليه ، فقام على الحجْر وقال :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبطْنِ مَكَّةَ نَائِى(٢) الدَّارِ وَالنَّفَرِ
أَقَائِمٌ مِنْ بَنِى سَهْمٍ بِذِمَّتِهِمْ ... أَمْ ذَاهِبٌ فِى ضَلاَلٍ مَالُ مُعْتَمِرِ

قال : وقال بعض العلماء إن قيس بن شبة السلمى باع متاعاً من أبىّ ابن خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من جُمح فلم يقم بجواره ، فقال قيس :

يَا قُصَىُّ كَيْفَ هَذَا فِى الْحَرَمْ ... وحُرْمَةِ الْبَيْتِ وَأَخلاَقِ الْكَرَمْ
أُظْلَمُ لاَ يُمْنَعُ مِنِّى مَنْ ظَلَمْ

فقام العباس وأبو سفيان ، حتى ردوا عليه حقه .

---

(١) لواه : مطله . (٢) أى : بعيدة داره وعشيرته .

واجتمعت رجال من قيس فى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا على رد الظلم بمكة ، وأن لا يظلم أحد إلا منعوه ، وأخذوا له بحقه ، وكان حلفهم فى دار عبد الله بن جدعان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ حلفاً فى دار ابن جدعان ، ما أحب أنَّ لِى به حُمْر النَّعم . ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت » .

فقال قوم من قريش : هذا والله فضْل من الحلف ، فسمى حلف الفضول .

قال الزبير : وقال آخر : وتحالفوا على مثال حلف تحالف عليه قوم من جُرْهم فى هذا الأمر ، أن لا يقروا ظلماً ببطن مكة إلا غيَّروه .

وأسماؤهم الفضْل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة .

قال الزبير : وحدثنى عبد العزيز بن عمر العنسى قال : أهل حلف الفضول : بنو هاشم ، وبنو المطَّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزَّى ، وبنو زهرة ، وبنو تَيْم ، تحالفوا بالله ، أن لا يُظلم أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه ، شريفاً ووضيعاً .

قال الزبير : وحدثنى إبراهيم بن حمزة عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه ، قال : إنما سمى حلف الفضول : أنه كان فى جرهم رجال يردون المظالم يقال لهم ، فضيل ، وفضال ، ومفضل ، وفضل ، فلذلك سمى حلف الفضول .

قال : وحدثنى محمد بن حسين عن نوفل بن عمارة عن إسحاق بن الفضل قال : إنما سمّت قريش هذا الحلف حلف الفضول : أن نفراً من جرهم يقال لهم ، الفضل ، وفضال ، والفضل ، تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه هذه الفضائل .

● عن معروف بن خربوذ قال : تداعت بنو هاشم وبنو المطلب ، وأسد ، وتيم وتحالفوا على أن لا يدعوا بمكة كلها ولا فى الأحابيش

مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلا أنجدوه ، حتى يردوا عليه مظْلمته ، أو يُبْلُوا في ذلك عذراً .

وكره ذلك المطيبون والأحلاف بأسرهم ، وسمُّوه حلفَ الفضول ، عَيْبًا له .

وقالوا : هذا من فضول القوم . وسمى حلف الفضول .

• عن حكيم بن حزام أنه قال : كان حلف الفضول مُنْصَرف قريش من الفجار ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة .

وأخبرني غير الضحاك قال : كان الفجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط .

وأول من دعا إليه ، الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم ، وبنو زهرة ، وتيم ، في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا : لَيَكُونُنَّ مع المظلوم حتى يؤدَّى إليه حقُّه ما بَلَّ بحرٌ صوفة [وعلى] التآسى في المعاش .

فسمَّتْ قريش ذلك الحلف ، حلف الفضول .

• عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لى بِحلْف حضرتُه في دار ابن جُدعان ، حُمْرَ النَّعم ، ولو دعيت له لأجبت » وهو حِلْف الفُضُول .

قال محمد بن عمرو : لا يعلم أحد سبق من بني هاشم بهذا الحلف .

• عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شهدت حلف الفضول مع عمومتي ، وأنا غلام ، فما أحب أن لى حمر النعم وأني نكثته » .

• وقد ذكر محمد بن حبيب الهاشمي أن هذا الحلف كان قبل أن يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

الباب الأربعون

فى ذكر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد به قبل النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمن الصبا يبْغض الأصنام ، ولا يلتفت إليها .

وكان أهله يسألونه أن يخرج معهم إلى ناحيتها ، فلا يفعل ، ولا يقرب منها ، ويعيبها .

عن ابن عباس قال : حدثتنى أم أيمن قالت : كانت بُوانة صنماً ، تحضره قريش وتعظمه ، وتنسك له المناسك[1] ويحلقون رءوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يومٌ فى السنة .

وكان أبو طالب يحضره مع قومه .

وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه ، فيأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته[2] غضبن عليه أشد الغضب ، وجعلن يقلن :

إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا .

وجعلن يقلن : ماتريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تكثر لهم جمعاً .

---

(١) أى يذبحون له الذبائح كما يذبح فى هذا الزمان للسيد البدوى وغيره من ذوى الأضرحة ، ولا شك أن هذا شرك وأن تلك الذبائح فى حكم الميتة لا يجوز أكلها لأنها أهلت لغير الله .

(٢) فى الأصل (عمامته) وهو تحريف .

فلم يزالوا به ، حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع فزعاً مرعوباً ، فقلن له عماته(١) : ما دهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم(٢) .

فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذى رأيت ؟

قال : إنى كلما دنوت من صنم منها ، تمثَّل لى رجل أبيض طويل ، يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسه .

قالت : فما عاد إلى عيدهم ، حتى نُبِّئ صلى الله علية وسلم .

● عن محمد بن عمرو عن أشياخه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحيرى : « لا تسألنى باللات والعزى ، ،والله ما أبغضت شيئاً بغضهما » .

● قال أحمد بن حنبل : من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه ، فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب .

قال أبو الوفا ، على بن عقيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متديناً قبل بعثه ، وورود الوحى عليه ، بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم .

فأما بعد مبعثه ، فهل كان يتعبد بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان :

أحدهما : أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحى إليه ، لا من جهتهم ولا بعلمهم ، ولا كتبهم المنزلة .

واختاره أبو الحسن التميمى ، وهو قول أصحاب أبى حنيفة .

والرواية الثانية : أنه لم يكن يتعبد بشىء من الشرائع ، إلا ما أوحى إليه فى شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية .

---

(١) قوله « فقلن له عماته » هذا التعبير إنما يتمشى على لغة « أكلونى البراغيث » والفصيح أن يقال : « فقالت له عماته الخ ، لأن الفعل على اللغة الفصحى الراجحة لا تلحقه علامة التثنية والجمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعاً .

(٢) أى : مس من الشيطان .

ولأصحاب الشافعى قولان كالروايتين .

قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله، بأى شريعة كان متعبداً .

فقال بعضهم : بشريعة إبراهيم خاصة . وإليه ذهب أصحاب الشافعى .

وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى، إلا ما نسخ فى شرعنا.

وظاهر كلام أحمد ، أنه كان يتعبد بكل ما صح أنه شريعة النبى قبله ، ما لم يثْبت نسْخه . يدل عليه قوله تعالى :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ[(١)] » .

وقال ابن قتيبة : لم تزل العربُ على بقايا من دين إسماعيل .

من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق ، إذا كان ثلاثاً ، وأن للزوج الرجعة فى الواحدة والاثنتين ، ودية النفس مائة من الإبل ، والغسل من الجنابة ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم فى الختان والغسل والحج .

قال : وقوله تعالى « مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانَ[(٢)] » .

يعنى به شرائع الإسلام ، ولم يرد به الإيمان الذى هو الإقرار بالله .

لأن آباءه الذين ماتوا فى الشرك ، كانوا يؤمنون بالله ، ويحجون له مع شركهم .

---

(١) سورة الأنعام . الآية ٩٠

(٢) سورة الشورى . الآية ٥٢ وتمامها : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

الباب الحادي والأربعون

في ذكر حالة جرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الملائكة وهو ابن عشرين سنة وأخبر بها عمه أبا طالب

سأل عبد الله بن الزبير عُبَيد بن عُمَير عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أحدثك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة إلى عمه أبي طالب فقال : أَعَمُّ(١) ، إني منذ ليال يأتيني آتٍ معه صاحبان له ، فينظرون إليَّ ويقولون : هو هو ، ولَمْ يَأْنِ له . فإذا كان رأيك كرجل منهم ساكت(٢) فقد هالني ذلك .

فقال : يا ابن أخي ليس بشيء حلمت .

ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بي الرجلُ الذي ذكرتُ لك ، فأدخل يدَه في جوفي ، حتى إني لأَجِد بَرْدَهَا .

فرجع به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبَّب بمكة ، فحدثه حديثه ، فقال : عالِجه .

فصوَّب به ، وصعَّد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كتفيه ، وقال : يا ابن عبد مناف ، إبنك هذا طيب طبيب ، للخير فيه علامات ، إن

---

(١) أي : يا عم . (٢) كذا . ولم أجده .

ظفرت به يهود ، قتلته ، وليس الرائى من الشيطان ، ولكنه من النواميس الذين يتجسسون القلوب للنبوة .

فرجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسست حسًّا ما شاء الله ، حتى رأيت فى منامى رجلا وضع يده على منكبى . ثم أدخل يده فأخرج قلبى ثم قال : قلبٌ طيب ، فى جسد طيب ، ثم ردَّه ، فاستيقظت .

ثم قالَ : رأيت وأنا نائم سقفَ البيت الذى أنا فيه نزعت خُشُبُه ، وأدخل سلم فضة ، ونزل إلىَّ منه رجلان ، فجلس أحدهما جانباً ، والآخر إلى جنبى ، فنزع ضلع جنبى ثم استخرج قلبى ، فقال : نِعْمَ القلبُ قلبُه ، قلب رجل صالح ونبىٍّ مبلغ ، ثم ردَّا قلبى مكانه وضلعى ، ثم صعدا .

فاستيقظت والسقف على حاله .

فشكوت إلى خديجة فقالت : لا يصنع الله بك إلا خيراً[١] .

---

(١) هذا الخبر لا يصح ، وإليه أشار القسطلانى بقوله : وروى شق صدره مرة خامسة وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ، ولا تثبت . فلا تذكر إلا مقرونة بعدم الثبوت ، المواهب ١ / ١٥٣

الباب الثاني والأربعون

في ذكر رعيه الغنم

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم .

فقال أصحابه : وأنت ؟

قال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .

انفرد بإخراجه البخاري .

قال سويد بن سعيد : يعني كل شاة بقيراط .

وقال إبراهيم الحربي : قراريط : موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة .

قال ابن عقيل : لما كان الراعي يحتاج إلى سَعَة خلق ، وانشراح صدر للمداراة ، وكان الأنبياء مُعَدِّين لإصلاح الأمم حَسُن هذا في حقهم .

الباب الثالث والأربعون

في ذكر اشتغاله بالتجارة قبل النبوة

أنبأنا ابن الحصين ، أنبأنا ابن الراهب ، أنبأنا القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن السائب بن أبي السائب أنه كان يشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام في التجارة .

فلما كان يومُ الفتح ، جاءه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

مرْحباً بأخي وشريكي ، كان لا يُداريُ ولا يُماري .

يداريُ : مهموز ، بمعنى يشاغب ، ويخاصم صاحبَه .

الباب الرابع والأربعون

فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مرة أخرى فى تجارة خديجة

عن نفيسة بنت مُنَية أخت يَعْلى بن منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب :

أنا رجل لا مال لى ، وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عِيرُ قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خُوَيلد ، تبعث رجالاً من قومك فى عيراتها ، فلو جئتَها ، فعرضت نفسك عليها ، لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، فأرسلت إليه فى ذلك وقالت : أنا أعطيك ضِعْف ما أُعْطِى رجلا من قومك .

فقال أبو طالب : هذا رِزقٌ ساقه الله لك .

فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهلَ العير .

حتى قدموا بُصْرى من أرض الشام ، فنزلا فى ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى(١) .

ثم قال لميسرة : أفى عينيه حمرة لا تفارقه ؟ قال : نعم .

---

(١) يريد : ما نزل الآن ، وإلا فلم يخل أن ينزل تحتها كثير من الناس غير أنبياء . والشجر لا يعمر فى العادة هذا العمر للطويل .

أقول : لا مانع عقلا ، من أن تكون الشجرة قد عمرت طويلا ، وصرف الله أن ينزل تحتها غير الأنبياء ، ولا داعى لتحكيم الحكم العادى فى مثل هذا الأمر . والله يفعل ما يريد .

قال : هذا نبى ، وهو آخر الأنبياء .

ثم باع سلعته ، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ[١] فقال له : احلف باللات والعزى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط ، وإنى لأمُرُّ بهما ، فلا ألتفت إليهما .

فقال الرجل : القَولُ قولك .

ثم قال لميسرة : هذا والله نبى ، تجده أحبارنا منعوتاً فى كتابهم .

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملَكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعفَ ما كانوا يربحون .

ودخل مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى عُلِّيَّة[٢] لها .

فرأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، وملَكان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فعجبن لذلك .

ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبَّرها بما ربحوا فى وجوههم . فَسُرَّت بذلك .

فلما دخل عليها ميسرة ، أخبرته بما رأت .

فقال . قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام .

وأخبرها بما قال الراهب نسطورا ، وبما قال الآخر الذى خالفه فى البيع .

---

(١) خلاف ومنازعة كما يستفاد من الصحاح والقاموس .

(٢) العلية : بضم العين وكسر اللام المشددة وبعدها ياء مفتوحة مع التشديد قال فى الصحاح : وقال بعضهم : هى العلية بكسر العين واللام المشددتين ووزنها « فِعِّيلَة » الحجرة المرتفعة .

الباب الخامس والأربعون

فى تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة

• عن نفيسه بنت مُنَبِّه قالت :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام دخل مكة ، وخديجة فى عُلِّيَة لها فرأت مَلَكين يظلانه .

وكانت جَلدة حازمة ، وهى أوسط قريش نسبا . وأكثرهم مالا .

وكلٌّ قومها حريص على نكاحها ، لو قدروا على ذلك .

قد طلبوها ، وبذلوا لها الأموال .

فأرسلتنى دسيسا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن رجع من الشام .

فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما أتزوج .

قلت : فإن كنت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، أفلا تجيب ؟

قال : فمن هى ؟

قلت : خديجة :

قال : وكيف لى بذلك ؟

قلت : علىّ .

قال : فأنا أفعل .

فذهبت فأخبرتها ، وأرسلت إليه : أن إيت ساعة كذا وكذا .

وأرسلت إلى عمها ، عمرو بن أسد ليزوجها .

فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته . فتزوجها ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ، بنت أربعين سنة .

وقد روى أن أباها زوجها ، وليس بصحيح لأن أباها مات قبل الفجار .

وذكر أبو الحسين بن فارس أن أبا طالب خطب يومئذ فقال :

« الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضئ[1] معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسُوَّاس[2] حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس .

ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل ، إلا رجحه ، وإن كان فى المال قِلاً ، فإن المال ظلٌّ زائل ، وحال حائل .

ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ، ما آجلهُ وعاجله من مالى .

وهو ـ والله ، بعدَ هذا ـ له نبأ عظيم ، وخطر جليل » .

فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت خديجة قد ذُكرت لورقة بن نوفل ، فلم يُقْضَ بَيْنهما نـكاح .

فتزوجها أبو هالة ، واسمه هند ، وقيل : مالك بن النباش[3] .

فولدت له هنداً ، وهالة وهما ذكران .

ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومى ، فولدت له جاريه اسمها ، هند .

وبعضهم يقدم عتيقا على أبى هالة .

ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل أولاده منها ، إلا إبراهيم .

---

(١) الضئضئ : الأصل . (٢) سواس : كحراس وزنا ومعنى .

(٣) فى المواهب ١/١٩٩ : واختلف فى اسم أبى هالة فقيل : مالك . وقيل : زرارة ، وقيل : هند ، وقيل : اسمه النباش .

الباب السادس والأربعون

فى ذكر شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيان الكعبة ووضعه الحجر بيده

● أول وضع البيت ، أن الله تعالى أنزل البيت المعمور ، فجعله مكان الكعبة ، وكان ياقوتة حمراء ، ثم رفع ، وبنى آدم مكانه ، البيت .

ثم بناه أولاده بالطين والحجارة .

ثم غرق فى زمن نوح ، وبقى مكانه أكمة ، لا يعلوها السيول ، إلى أن بناه الخليل .

ثم بنته العمالقة ، ثم بنته جُرْهُم ، ثم بنته قريش .

● عن طلحة قال : وجد فى البيت حجر منقور فى الهدمة الأولى .

فَدُعِىَ رجل ، فقرأه ، فإذا فيه :

عبدى المتحبب المتمكن المثبت المختار .

مولده بمكة ، ومهاجَرُه ، طَيبة ، لا يذهب حتى يقيم الملة السوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته الحامدون ، يحمدون الله تعالى بكل أكمة ، يأتزرون على أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم .

● فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر خمسا وثلاثين سنة ، هدمت قريش الكعبة وبنتها ، لأنها كانت قد تضعضعت بالسيل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة .

فلما بلغ البنيان موضع الركن ، اختصموا ، فكل قبيلة تريد أن ترفعه ، حتى تواعدوا للقتال .

وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، وأدخلوا أيديهم فى الدم ، وتعاقدوا على الموت . فسموا لَعَقَةَ الدم .

فمكثوا على ذلك ليالى ثم تشاوروا . فقال أبو أمية بن المغيرة ، وهو رأس قريش : اجعلوا بينكم أول من يدخل من باب هذا المسجد .

فكان أول من دخل عليهم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا به .

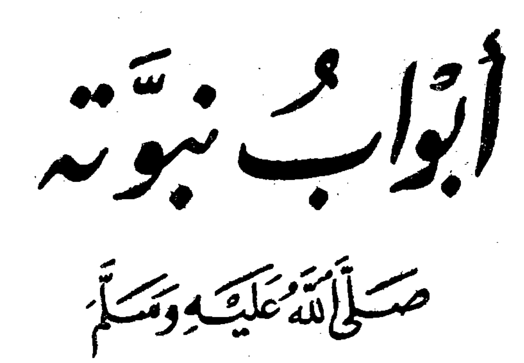
فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال :

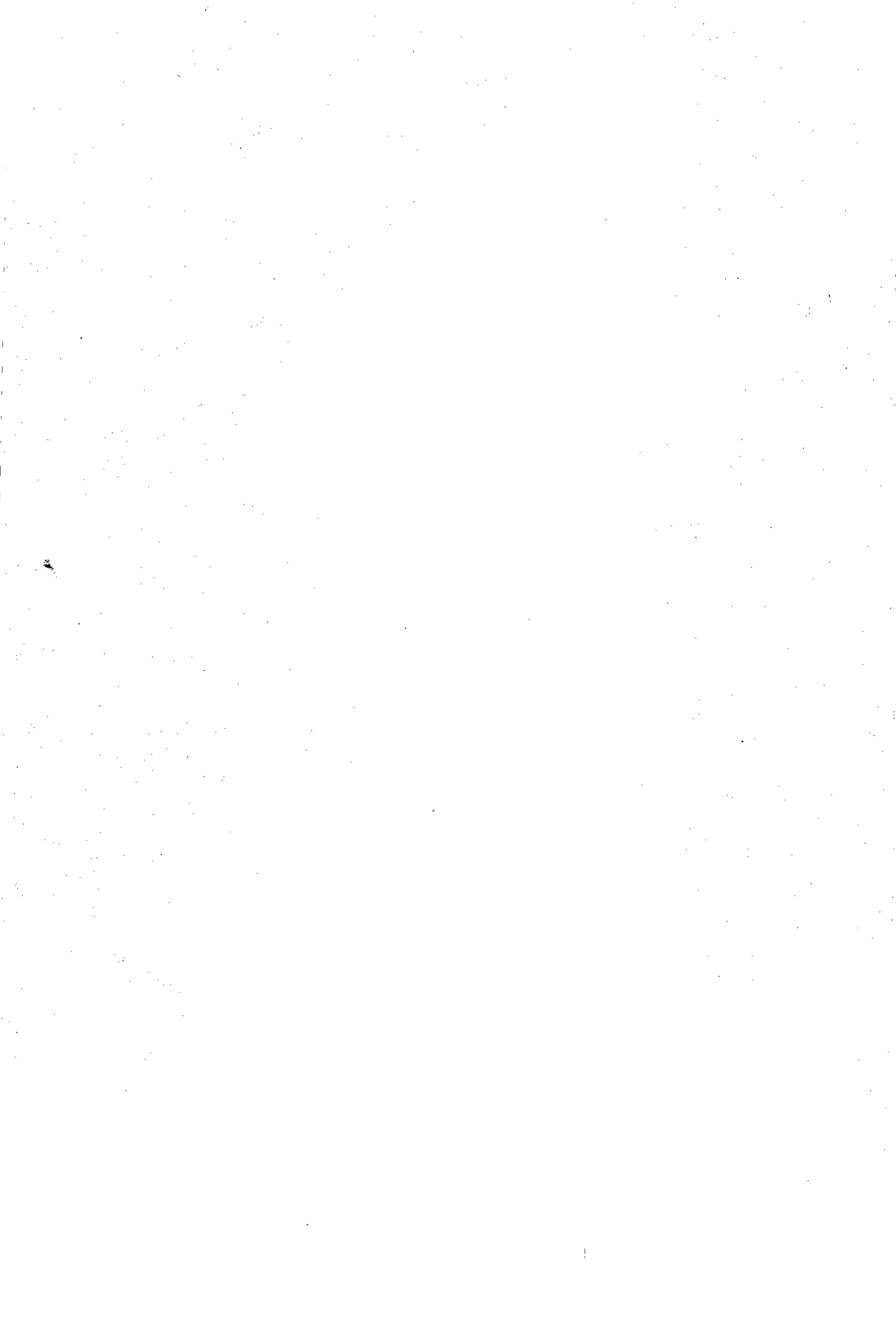
« هلموا ثوباً » فَأُتِىَ به ، فأخذ الركن ، فوضعه بيده ، ثم قال :

« لتَأْخُذْ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً » .

حتى إذا بلغوا به موضعه . وضعه بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُنزَل عليه ، الأمين .


أبواب نبوته
صلى الله عليه وسلم



الباب الأول

فى ذكر الهواتف بذوة نبينا صلى الله عليه وسلم

عن النَّضْر بن سفيان الُهذَلى ، عن أبيه قال :

خرجنا فى عِيرٍ لنا ، إلى الشام .

فلما كنا بين الزرقاء ، ومَعان ، وقد عرَّسْنَا(١) من الليل ، إذا بفارس يقول [وهو بين السماء(٢) والأرض] أيها النيَّام ، هُبُّوا ، فليس هذا بحين رُقاد ، قد خرج أحمد ، وطُرِّدتِ الجنُّ كل مَطْرد .

ففزعنا ونحن رُفقةٌ [حزاورة(٣)] كلهم قد سمع هذا .

فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش ، ونبى خرج فيهم ، من بنى عبد المطلب ، اسمه أحمد .

● عن محمد بن كعب القُرظى قال : بينما عمر بن الخطاب قاعد فى المسجد ، إذْ مرَّ به رجل فى مؤخر المسجد .

---

(١) قال فى المصباح : « يقال عرس ، إذا نزل المسافر ليستريح نزلة ثم يرتحل قال أبو زيد : وقالوا : عرس القوم فى المنزل تعريساً : إذا نزلوا أى وقت كان من ليل أو نهار فالإعراس دخول الرجل بامرأته ، والتعريس نزول المسافر ليستريح .

(٢) ليست هناك أهمية علمية ولا عملية لهذا الباب ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى أن يؤيدها هاتف أو يتنبأ بها كاهن ، فهى تعتمد على حقائق الحياة وشهادة التاريخ . ومن هنا فإننا ننظر إلى هذه الأخبار التى أوردها المؤلف وتابع فيها مؤلفى السيرة على أنها طرائف ، لا يترتب عليها شىء .

(٣) من دلائل النبوة . والحزاورة : جمع حزور وهو الرجل القوى .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف المـارّ ؟

قال : من هو ؟ [قال : هذا] سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له شرَف وموْضع ، وهو الذى أتاه رئيه(١) يخبره بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر : علىّ به .

فدعا به فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم .

[قال : فأنت الذى أتاك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم](٢) .

قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟

[فغضب غضباً شديداً ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، ما استقبلنى بهذا أحد ، منذ أسلمت .

فقـال عمر : سبحان الله ، والله ما كنا عليه من الشرك ، أعظم مما كنت(٣) عليه من كهانتك] .

أخبرنى بإتيان رئيك بظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

بينا أنا نائم ذات ليلة ، إذ أتانى آتٍ فضربنى برجله وقال :

قمْ يا سوادَ ابنَ قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

---

(١) الرَّئِىُ : القرين من الجن .

(٢) من دلائل النبوة لأبى نعيم . وقد سقط من الأصل .

(٣) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، وهو سقط بالأصل .

إنه قد بعث رسول من لُؤَيّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .

ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا

تَهْوِى إلى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى ... مَا خَيِّرُ الْجِنِّ كَأَرْجَاسِهَا

فَارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... وَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إِلَى رَأْسِهَا

قال : فلم أرفع لقوله رأساً ، وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كان فى الليلة الثانية ، أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم ، واعقل ، إن كنت تعقل .

إنه قد بُعِثَ نبى من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته .

ثم أنشأ الجنىُّ يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتطلابها ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ(١) بِأَقْتَابِهَا(٢)

تَهْوِى إلى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى ... مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

فَارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

قال : فلم أرفع لقوله رأساً وقلت : دعنى أنام ، فإنى أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال :

ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم فافهم واعقل ، إن كنت تعقل .

---

(١) العيس : بكسر العين الإبل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة ، واحدها أعيس والأنثى عيساء بينة العيس بفتحتين ، ويقال : هى كرائم الإبل اهـ من المختار من الصحاح .

(٢) قال فى الصحاح : القتب : رحل صغير على قدر السنام ، وفى القاموس مثله .

إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله وعبادته .

ثم أنشأ الجنى يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا

تَهْوِى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : فوقع فى قلبى حب الإسلام ، ورغبت فيه .

فلما أصبحت ، شددت على راحلتى ، وانطلقت متوجهاً إلى مكة .

فلما كنت ببعض الطريق ، أُخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة .

فقدمت المدينة فسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لى : فى المسجد .

فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتى ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله ، فقلت : تسمع مقالتى يا رسول الله . فقال لأبى بكر « أَدْنِهِ أَدْنِهِ » .

فلم يزل بى حتى صرت بين يديه .

فقلت : اسمع مقالتى يا رسول الله .

فقال : « هات . فأخبرنى بإتيانك رئيك » فقلت :

أَتَانِى نجيِّ(١) بَعْدَ هِدْءٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ

ثَلَاثَ ليالٍ قَوْلُه كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ

---

(١) وتروى : رئي . والرئى : التابع من الجن .

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطَتْ ... بِيَ الذِّعْلِبُ(١) الْوَجْنَاءُ بَيْنَ السَّبَاسِبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ
وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً ... إِلَى اللهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ(٢) ... وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ ... سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامى فرحاً شديداً ، حتى رُئِيَ الفرح فى وجوههم .

قال فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال :

كنت أحب أن أسمع هذا منك [فهل يأتيك رِئْيُك اليوم ؟

فقال : مذ قرأت القرآن فلا ، ونِعْم العوضُ كتاب الله من الجن](٣).

• عن جابر قال : إن أول خبر قدم المدينة ، أن امرأة كان لها تابع من الجن فى صورة طائر ، فسقط على الحائط فقالت :

مالك لم تأت تحدثنا ونحدثك ؟

قال : إنه قد ظهر مَنْ منع القرار ، وحرم الزنا علينا .

• عن على بن حسين قال : كانت امرأة من بنى النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان ، ولها تابع من الجن .

---

(١) الذعلب : الناقة السريعة . والسباسب : جمع سبسب وهى الصحراء .

(٢) فى أعلام النبوة : يا خير من مشى .

(٣) ما بين القوسين من أعلام النبوة ١٠٥ . هذا والخبر أيضاً فى دلائل النبوة لأبى نعيم .

قال : فكان يأتيها ، فأتاها حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وانقضّ على الحائط ، فقالت : مالك لم تأت كما كنت تأتى ؟

قال : قد جاء الذى يحرم الزنا والخمر .

● عن أبى هريرة قال : قال خريم بن فاتك لعمر بن الخطاب : ألا أخبرك ببدء إسلامى ؟

بينا أنا فى طلب نَعَم لى إذ جَنَّنى الليل بأبْرق العزاف[1] فناديت بأعلى صوتى : أعوذ بعزيز هذا الوادى من سفهائه .

وإذا هاتف يهتف بى :

عُذْ يا فتَى بِاللهِ ذِى الجَلاَلِ وَالمَجْدِ وَالنَّعْمَاء وَالإفْضَالِ

وَاقْرَأْ بِآيَاتٍ مِنَ الأَنْفَالِ وَوَحِّـــدِ اللهَ وَلَا تُبَالِ

قلت[2] :

يَا أَيُّهَا الهَاتِفُ مَا تَقُولُ أَرَشَدٌ عِنْدَكَ أَمْ تَضْلِيلُ

بَيِّنْ لَنَا هُدِيتَ مَا السَّبِيلُ ؟

فقال :

هٰذَا رَسُولُ اللهِ ذُو الخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الجَنَّاتِ وَالنَّجَاةِ

يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَبِالصَّلَاةِ وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الهَنَاتِ[3]

---

(١) أبرق العزاف : ماء لبنى أسد .

(٢) فى دلائل النبوة : قال : فارتعت من ذلك روعا شديداً فلما رجعت إلى نفسى قلت .

(٣) اقتصر المؤلف على هذا ، ولم يكمل القصة ، وهى فى دلائل النبوة .

• عن عبد الله العُمانى قال : كان فينا رجل يقال له مازن بن العَضُوبة يَسْدن صنما [بقرية يقال لها سمايا من عمان[١]] وكانت تعظمه قبائل .

قال مازن : فعترنا ذات يوم عند صنم عتيرة [وهى الذبيحة] فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

يَا مَازِنُ اسْمَعْ تُسَرْ ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبَطَنَ شَرْ ، بُعِثَ نَبِيٌّ مِنْ مُضَرْ ، [بدين الله الأكبر][٢] ، فَدَعْ نَحِيتاً مِنْ حَرِّ سَقَرْ .

قال : ففزعت لذلك ، ثم عترنا بعد أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَىَّ أَقْبِلْ ، تَسْمَعْ مَا لَا تَجْهَلْ ، هَذَا نَبِيٌّ مُرْسَلْ ، جَاءَ بِحَقٍّ مُنْزَلْ فَآمِنْ بِهِ كَىْ تَعْدِلْ ،عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْعَلْ ،وَقُودُهَا بِالْجَنْدَلْ .

قال مازن : فقلت : إن هذا لعجب ، وإنه لخير يراد بى .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟

قال : ظهر رجل يقال له محمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعِىَ الله .

فقلت : هذا نبأ ما سمعت .

فَثُرْتُ إلى الصنم فكسرته ، وركبت راحلتى ، حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح لى الإسلام فأسلمت .

• عن رجل من خثعم قال : كانت العرب تتحاكم إلى الأصنام .

فبينا نحن ليلة عند وثن وقد تقاضينا إليه فى شىء قد وقع بيننا [أن يفرق بيننا[٢]] إذ هتف هاتف وهو يقول :

---

(١) ما بين القوسين من دلائل النبوة .
(٢) ما بين القوسين من دلائل النبوة ، لأبى نعيم .

يَا أَيُّها النَّاسُ ذَوُو الْأَجْسَامِ .

وَمُسْنِدُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ .

مَا أَنْتُمُ وَطَائِشُ الْأَحْلَامِ .

هَـذَا نَبِيٌّ سَيِّدُ الْأَنَامِ .

أَعْدَلُ فِي الْحُكْمِ مِنَ الْحُكَّامِ .

يَصْدَعُ بِالنُّورِ وَبِالْإِسْلَامِ .

وَيَنْزِعُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ .

مُسْتَعْلِنٌ(١) فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ .

ففزعنا وتفرقنا من عنده وصار ذلك الشعر حديثاً .

حتى بَلَغَنَا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة ، ثم قدم المدينة ، فجئت فأسلمت .

● عن تميم الدارى قال : كنتُ بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى بعض حاجتى ، فأدركنى الليل .

فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة .

قال : فلما أخذت مضجعى إذا أنا بمنادٍ ينادى لا أراه :

عُذْ بالله فإن الجن لا تجير أحداً على الله تعالى ، قد خرج الرسول الأمين ، رسول الله ، وصلينا خلفه بالحَجُون(٢) وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ورميت بالشهب ، فانطلِقْ إلى رسول رب العالمين ، فأَسْلِمْ .

---

(١) أى : ظاهر أمره .

(٢) قال فى المختار من الصحاح : الحجون : بفتح الحاء ، جبل بمكة وهى مقبرة

قال تميم : فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً وأخبرته الخبر .

فقال الراهب : قد صدقوك ، يخرج من الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه .

قال تميم : فتكلفت الشخوصَ ، حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن خويلد الضمرى قال :

كنا عند صنم جلوساً ، إذ سمعنا من جوفه صائحاً يصيح :

ذهب اسْتِرَاقُ الوحى ، ورُمِىَ بالشُّهُبِ لنبى مكة ، اسمه أحمد ، مهاجَره إلى يثرب ، يأمر بالصلاة والصيام ، والبر والصلات للأرحام .

فقمنا من عند الصنم فسألنا قالوا : خرج نبى من مكة اسمه أحمد .

● عن جبير بن مطعم قال : كنا جلوساً عند صنم ببوانة قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، نحرنا جزوراً .

فإذا صائح يصيح من جوفه : اسمعوا العجب ، ذهب استراق الوحى ، ورمى بالشهب لنبى بمكة ، اسمه أحمد ، مُهَاجَره(١) إلى يثرب .

فأمسكنا وعجبنا . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن العباس بن مرْداس قال لما حضرت أبى الوفاة ، أوصانى بصنم له يقال له ضَمَار(٢) . فجعلته فى بيت . وكنت آتيه كل يوم مرة .

فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعت صوتا من جوف الليل راعنى ، فوثبت إلى ضمار مستغيثاً فإذا بالصوت من جوف وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبِيلَةِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا هَلَكَ الْأَنِيسُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

---

(١) أى : موضع هجرة . و « يثرب » هى المدينة المنورة .

(٢) الأصل : ضماد . وما أثبته رواية ابن هشام .

أَوْدَى(١) ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

فكتمته الناس . فلما رجع الناس من الأحزاب ، سمعت صوتا فى منامى يقول : النور الذى وقع ليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء .

فرحلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت .

● عن راشد بن عبد ربه قال : كان الصنم الذى يقال له سُوَاع . بالمعلاة ، تدين له هذيل ، وبنو ظُفَر من سُلَيم .

فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه بهدية بنى سُلَيم إلى سواع .

قال : فأتيته فألقيته مع الفَجْر إلى صنم قبل سُوَاع ، فإذا صارخ يصرخ من جوفه : العَجَبُ كلَّ العجب ، من خروج نبى من عبد المطلب ، يحرِّم الزنا والربا والذبح للأصنام ، وحرست السماء ورُمِينا بالشُّهُب .

ثم هتف صنم آخر من جوفه : تُرِكَ الضِّمار ، وكان يُعْبد ، خرج النبى محمد ، يصلى الصلاة ، ويأمر بالزكاة والصيام والبر ، والصلات للأرحام .

ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف :

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
نَبِيٌّ يُخْبِرُ بِمَا سَبَقَ وَبِمَا يَكُونُ فِي غَدِ

قال راشد : فألقيت عند سُوَاع ، ثعلبين مع الفجر يلحسان ما حوله ، ويأكلان ما يُهْدَى ، ثم يعوجان عليه ببولها .

فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه :

أَرَبٌّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانِ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ !

وذلك عند مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أودى : أى : أهلك .

البابُ الثاني

في ذكر إعلام الوحش بنبوته

• عن أبي عمرو الهُذَلي قال : حضرت مع رجال من قومي صنماً يقال له سُوَاع ، وقد سُقْنا إليه الذبائح .

فكنت أولَ من قرّب إليه بقرة سمينة ، فذبحتها على الصنم .

فسمعنا صوتاً من جوفها [يقول] : العجبُ كلّ العجب ، خروج نبي بين الأخاشب ، يحرّم الزنا ويحرم الذبح للأصنام . وحُرِسَتِ السماء ورُمينا بالشُّهب .

فتفرقنا ، فقدمنا مكة ، فسألنا ، فلم نجد أحداً يخبرنا بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لقينا أبا بكر الصديق .

فقلت : يا أبا بكر ، أخرج أحد بمكة ، يدعو إلى الله تعالى يقال له أحمد ؟

قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبر .

فقال : نعم ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومنا .

ويا ليت أنا أسلمنا يومئذ . فأسلمنا بعده .

• عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ، ونحن في غزوة رودس يقال له ابن عنبس قال :

كنت أسوق بقرة لآل لنا ، فسمعت من جوفها .

يا آل ذريح : قول فصيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال : فقدِمْنا مكة ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة .

● عن أبي هريرة(١) قال : جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، حتى انتزعها منه ، فصعد الذئب على تل فَأَقْعَى(٢) واستوفَزَ(٣) وقال :

عمدت إلى رزق رَزقنيه الله تعالى انتزعته مني ؟

فقال الرجل : بالله إن رأيتُ كاليوم ، ذئبٌ يتكلم !

قال الذئب : أعجبُ من هذا رجل في النخلات ، بين الحرّتين ، يخبركم بما مضى وما هو كائن من بعدكم .

وكان الرجل يهودياً(٤) فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره وصدقه النبي .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنها أمارة من أمارات الساعة ، أوشك الرجلُ أن يخرج فلا يرجع ، حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدَث أهله بعده .

---

(١) رواه الماوردي في أعلام النبوة ٨٤ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) « أقعى » أي : جلس على أسته (طيزه) مفترشاً رجليه ، ناصباً يديه .

(٣) « واستوفز » محرفة بالأصل : واستدفر . قال في الصحاح : « استوفز في قعدته » إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن .

(٤) ذكر في أعلام النبوة أن الراعي كان يدعى عميراً السطائي ، وأنه سمي بعد ذلك مكلم الذئب .

الباب الثالث

فى ذكر أمارات النبوة التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه

● عن ابن عباس قال : أقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة سبعاً[١] يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثمان سنين يوحى إليه .

● عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى : الرؤيا الصادقة فى النوم .

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ، حتى فجأه الحق ، وجاءه الملك .

● عن أبى ميسرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا برز سمع من يناديه ، يا محمد .

فإذا سمع الصوت ، انطلق هارباً .

فأتى خديجة فذكر لها ذلك فقال :

يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلى شىء .

إنى إذا برزت ، أسمع شيئاً ينادى ، فلا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً .

---

(١) الأصل: سبع ، وما أثبته من المواهب .وفيها : وثمان وستين يوحى إليه . وهو تحريف .

فقالت : ما كان الله ليفعل ذلك بك .

فأسرّت ذلك إلى أبى بكر . وكان نديماً له فى الجاهلية .

فأخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى ورقة .

فقال : وما ذاك ؟ فحدثه بما حدثته به خديجة .

فأتى ورقة ، فذكر ذلك له .

فقال له ورقة : هل ترى شيئاً ؟

قال : لا . ولكنى إذا برزت سمعت النداء ، ولا أرى شيئاً ، فأنطلق هارباً ، فإذا هو عندى ينادى .

قال : فلا تفعل ، إذا سمعت النداء فاثبت له ، حتى تسمع ما يقول لك .

فلما برز سمع : يا محمد . قال : لبيك .

قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله :

ثم قال : قل : الحمد لله رب العالمين ، حتى فرغ من فاتحة الكتاب .

ثم أتى ورقة ، فذكر ذلك له فقال :

أبشر ، ثم أبشر ، ثم أبشر ، أشهد أنك أنت أحمد ، وأنا أشهد أنك محمد ، وأنا أشهد أنك رسول الله ، يوشك يوشك أن تؤمر بالقتال .

وإن أمرت بالقتال ، وأنا حىّ فَلَأُقَاتِلَنَّ معك .

فمات ورقة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت القَس فى الجنة ، عليه ثياب خضر .

البابُ الرابع

فى ذكر تسليم الأحجار والأشجار عليه

• عن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنى لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » .

• عن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة . فخرجنا فى بعض نواحيها ، خارجاً من مكة ، بين الجبال والشجر ، فلم يَمُرَّ بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

• عن جابر بن سَمُرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« لما كانت ليالى بُعِثْتُ ، ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .

• عن برّة قالت : لما ابتدأ الله تعالى محمداً بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته ، أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفْضِى إلى الشِّعاب(١) والأَودية(٢) ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : « السلام عليك يا رسول الله » .
فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً .

---

(١) قال فى المصباح « الشعب » بكسر الشين : الطريق . وقيل : الطريق فى الجبل ، والجمع « شعاب » .

(٢) « الأودية » قال فى المصباح : مفرده « الوادى » وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل .

الباب الخامس

فى ذكر بدء الوحى

● عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى ، الرؤيا الصادقة فى النوم .

فكان لا يرى رؤيا ، إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حُبب إليه الخلاء .

فكان يأتى غار حِرَاء ، يتحنَّث فيه(١) وهو التعبد ، الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها .

حتى فجأه الحق وهو غائر(٢) .

فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : « ما أنا بقارئ » .

فأخذنى فغطّنى(٣) حتّى بلغ منى الجَهْد(٤) ثم أرسلنى(٥) فقال : اقرأ .

فقلت : « ما أنا بقارئ » .

فأخذنى فغطنى الثانية . حتى بلغ منى الجَهْد ثم أرسلنى فقال : اقرأ .

فقلت : « ما أنا بقارئ » .

---

(١) البخارى : وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه .

(٢) البخارى : حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء .

(٣) يعنى : ضمّنى ضمة شديدة حتى بلغ التعب منى نهايته .

(٤) يستفاد من استقراء المعاجم أن الجهد ــ بفتح الجيم ــ معناه : غاية المشقة والتعب وهو المراد هنا .

(٥) أى : أطلقنى من يديه .

فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال :
« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ » حتى بلغ « مَا لَمْ يَعْلَمْ[١] » .
فرجع بها ترجف بوادره[٢] حتى دخل على خديجة فقال :
زملونى ، زملونى .
فزملوه ، حتى ذهب عنه الرَّوع[٣] . فقال : يا خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر .
قال : قد خشيت على نفسى .
فقالت له : كلاً ، أبشر ، فوالله لا يخزيك[٤] الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتَصْدق الحديث ، وتَحْمل الكَلَّ[٥] وتقْرِى[٦] الضيف ، وتُعين على نوائب[٧] الحق .

---

(١) سورة العلق (١ — ٥) .
(٢) البخارى : فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة .
(بوادره) قال فى الصحاح « والبوادر » من الإنسان وغيره . اللحمة التى بين المنكب والعنق ، ومنه قول الشاعر حاتم :
وَجَاءَتِ الْخَيْلُ مُحْمَرًّا بَوَادِرُهَا بِالْمَاءِ تَسْفَحُ مِنْ لَبَّاتِها الْعَلَقُ . ا هـ
ومثله فى القاموس .
(٣) الروع : بفتح الراء : الفزع . ا هـ . من المختار من الصحاح .
(٤) لا يخزيك . أى لا يُذِلُّك الله ولا يهينك ولا يوقعك فى شدة .
(٥) قال فى الصحاح : الكل العيال والثقل ، قال الله تعالى : (وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ) والكَلُّ أيضاً : اليتيم . والكل : الذى لا ولد له ولا والد . والمراد هنا : أنت تساعد من وقع فى ضائقة .
(٦) تقرى الضيف : تحسن إليه .
(٧) قال فى المختار من الصحاح : النائبة : المصيبة . واحدة من نوائب الدهر ، والمراد هنا . تساعد من وقع فى المصائب .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقةَ بن نوفل ، وهو ابن عم خديجة ، وكان امرءاً تنصّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى[١] وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك .

فقال ورقة : يا ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، يا ليتنى فيه جَذعا : ليتنى أكون حيًّا حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَمُخْرِجِيَّ هم ؟

قال نعم ، ولم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِى .

وإن يدركنى يومك ، أَنْصُرْكَ نصراً مؤزَّراً[٢] .

ثم لم يَنْشَبْ[٣] ورقة أن توفى .

وفتر الوحى حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غَدَا منه مراراً كى يتردّى[٤] من رءوس شواهق[٥] الجبال .

فكلما أَوْفَى بذِرْوة[٦] جبل لكى يلقى نفسه منه تبدّى[٧] له جبريل

---

(١) كذا بالأصل : العربى وهى رواية ، وفى البخارى : وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .

(٢) مؤزراً . أى : نصراً قوياً .

(٣) أى : لم يلبث ، وهو تعبير مجازى كما فى أساس البلاغة .

(٤) أى : يرمى نفسه . (٥) شواهق الجبال . أى : الجبال العالية .

(٦) أوفى بذروة جبل . أى : كلما أشرف ووصل إلى رأس جبل .

(٧) تبدى . أى : ظهر .

عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن(١) بذلك جأشه(٢) وتقرّ نفسه فيرجع .

فإذا طال عليه فترة الوحى غَدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال مثل ذلك .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى . فقال فى حديثه(٣) : فبينا أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاء فى حراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجثيت(٤) منه رعباً(٥) ، فرجعت فقلت : زمّلونى(٦) . فدثرونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) .

أخرجاه .

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال ورقة ، لما ذكرت له خديجة أنه ذكر لها جبريل : « سبوح سبوح ، وما لجبريل يذكر فى هذه الأرض التى تعبد فيها الأوثان ؟ جبريل أمين الله ، بينه وبين رسله .

---

(١) أى : فتهدأ نفسه مما أصابها من الفزع .

(٢) قال فى القاموس (الجأش) رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع . ونفس الإنسان ، والمراد على هذا (فيهدأ قلبه بزوال الفزع) .

(٣) البخارى : قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر ابن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه : بينا ... ويبدو أنه سقط منها ما هو موجود هنا من نسبة القول إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى جلست على ركبتى .

(٥) البخارى : فرعبت منه .

(٦) أى : لفونى وغطونى فى ثوبى .

اذهبى به إلى المكان الذى رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه ، فتحسَّرِى[١].

فإن يكن من عند الله ، لا يراه » ففعلت .

قالت : فلما تحسَّرت تغيَّب جبريل فلم يره ، فرجعت فأخبرت ورقة .

قال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى لا يعلِّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، إلا بالثمن .

ثم قام ورقة ينتظر الدعوة .

● عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟

فقال : نعم .

فقالت : إذا جاءك ، فأخبرنى .

قالت خديجة : فجاءه جبريل ذات يوم وأنا عنده فقال : يا خديجة هذا صاحبى الذى يأتينى قد جاء .

فقلت : قم فاجلس على فخذى . فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

فقلت : تحوّل فاجلس على فخذى اليسرى ، فجلس عليها .

فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم .

قالت خديجة : فطرحت خمارى .

فقلت : هل تراه ؟ فقال : لا .

فقلت : هذا ، والله ، مَلَكٌ كريم ، ما هو شيطان ، لا والله .

---

(١) فتحسرى . أى : ألقى عن رأسك الغطاء .

• عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمع : السلام عليك .

قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على خديجة ، فسجّتنى ثوباً(١) وقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها .

فقالت : أبشر ، فإن السلام خير .

قال : ثم خرجت مرة أخرى ، فإذا بجبريل على الشمس ، جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب .

قال : فَهِلْتُ(٢) منه فجئت مسرعاً ، فإذا هو بينى وبين الباب ، فكلمنى حتى أنست به .

ثم وعدنى موعداً فجئت له ، فأبطأ علىّ فرأيت أن أرجع .

فإذا أنا به ، وميكائيل ، قد سدّ الأفق .

فهبط جبريل فسلقنى(٣) لحِلاَوة القفا (٤) ثم شق على قلبى فاستخرجه ، ثم استخرج منه ما شاء أن يستخرج ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأَمَه ، ثم ختم فى ظهرى . فقال :

« إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » .

---

(١) فسجتنى ثوباً . أى : مدت على ثوباً غطتنى به .

(٢) فهلت : كـ « وجلت » وزناً ومعنى أى : خفت . كما يستفاد من الصحاح .

(٣) فسلقنى . أى : ألقانى على ظهرى .

(٤) قال فى الصحاح : حلاوة القفا بضم الحاء . أى : على وسط القفا . وكذلك حلاوى القفا وحلاواء القفا . إذا فتحت (أى الحاء) مددت وإذا ضممت قصرت .

فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

حتى دخلت على خديجة . فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

● عن عبيد[١] قال : كيف [كان] بدء [ما] ابتدأ الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة حتى جاءه جبريل ؟

فقال عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنَّثُ به قريش فى الجاهلية .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور الشهر من كل سنة ، يُطْعِمُ من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من ذلك الشهر ، كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره ، الكعبة قبل أن يدخل بيته ، يطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله [به] فيه [ما أراد] من كرامته برسالته ، والسَّنة[٢] التى بعثهَ الله فيها نبياً ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله .

حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، جاءه جبريل من الله تعالى .

---

(١) الخبر رواه ابن إسحاق قال : وحدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل . قال : فقال عبيد .

(٢) ابن كثير : من السنة .

قال ابن إسحق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ .

قلت : وما أقرأ ؟ فغطّنى حتى ظننت أنه الموت ، قال ذلك ثلاثاً .

ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟

ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود ، فقال : (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) .

• عن ابن البراء قال : بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وله يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت ، وليلة الأحد .

ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى حراء ، وهو أول موضع نزل فيه القرآن نزل (« اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » إلى قوله ـ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فقط .

ثم لحص[1] بعقبه الأرض،فنبع منها ماء ، فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين.

(١) لحص . أى . ضرب .

الباب السادس

فى ذكر تعليم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

• عن أسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتاه فى أول ما أوحى إليه فعلمه الوضوء والصلاة .

فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من ماء ، فنضح بها فرجه .

قلت : لم يذكر كيفية الصلاة فى هذا الحديث ، وقد ذكرنا عن ابن البراء أنه قال : « ركعتين » .

• وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله على المسلمين فى أول الإسلام صلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشىّ ، ثم فرض الخمس فى ليلة المعراج .

وقد جاء فى حديث : أنه صلى عند زوال الشمس فى أول النبوة .

• وقال علماء التفسير : نزلت سورة « المزمل » بمكة .

فكان قيام الليل فرضاً عليه .

فكان يقوم ، ومعه طائفة من المؤمنين ، فشقّ ذلك عليه وعليهم .

فنسخ ذلك عنه وعنهم بقوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ »(١) .

---

(١) سورة المزمل الآية ٢٠

• وقال عطاء بن يسار ومقاتل بن سليمان : نزل قوله : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » بالمدينة . والأول أصح .

وقال قوم : نُسخ قيام الليل فى حقه بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ »(١) ونسخ فى حق المؤمنين بالصلوات الخمس .

وقيل : نسخ عن الأمة ، وبقى فَرْضُه عليه .

وقيل : إنما كان مفروضاً عليه دونهم .

• قال ابن عباس : كان بَيْن نزول أول المزمل وآخرها ، سنةٌ .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

الباب السابع

فى ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بداية النبوة بخديجة وعلى عليهما السلام

● عن ابن عفيف الكندى عن أبيه عن جده قال :

كنت امرءاً تاجراً ، فقدمت للحج ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ، لأبتاع منه بعض التجارة .

قال : إنى ، فوالله ، لَعِنْدَهُ بـ « مِنَى » إذا رجل خرج من خباء(١) قريب منه ينظر إلى الشمس ، فلما رآها ، قام يصلى .

ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ، الذى خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلى .

ثم خرج غلام حين راهق الحلمُ من ذلك الخباء ، فقام معه يصلى .

قال : فقلت للعباس : يا عباس ما هذا ؟

قال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخى .

قلت : من هذه المرأة ؟

قال : امرأته خديجه بنت خويلد .

فقلت : من هذا الفتى ؟

---

(١) بيت من صوف أو وبر ولا يكون من شعر وهو على عمودين أو ثلاثة اهـ . من المختار والصحاح .

قال : على بن أبى طالب ابن عمه .

قلت : فما هذا الذى يصنع ؟

قال : يصلى ، وهو يزعم أنه نبى ، ولم يتبعه على أمره ، إلا امرأته وابن عمه ، هذا الفتى .

وهو يزعم أنه تفتح عليه كنوز كسرى وقيصر !

وكان عفيف ، وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول ـ وأسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه ـ : لو(١) أن الله رزقنى الإسلام يومئذ ، فأكون ثانياً مع علىٍّ ابن أبى طالب رضى الله عنه !

---

(١) « لو » هنا : للتمنى على حد قوله تعالى (فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين) سورة الشعراء الآية ١٠٢

الباب الثامن

فى صفة نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم

● عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ ، فيفصم[١] عنّى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فأعِى ما يقول » .

قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد[٢] عرقا .

● عن يَعْلى بن أمية أنه كان يقول لعمر بن الخطاب :

ليتنى أرى نبى الله حين يوحى إليه .

فلما كان بالجِعْرانة[٣] وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به ، ومعه ناس من أصحابه منهم عمر .

إذ جاءه رجل عليه جبة متضخمة بطيب ، فقال : يا رسول الله ، كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ما تضمَّخ بطيب ؟

---

(١) فيفصم ، أى : ينقطع عنى كما يستفاد من القاموس .

(٢) يتفصد : أى يسيل من جبينه العرق ، كما يستفاد من القاموس .

(٣) والجعرانة : بكسر الجيم وتشدد الراء . وقال الشافعى : التشديد خطأ . اسم موضع بين مكة والطائف اهـ قاموس .

فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ، ثم سكت فجاءه الوحى .

فأشار عمر إلى يعلى : تعالَ .

فجاءه يعلى ، فأدخل رأسه . فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط كذلك ، فمكث كذلك ساعة .

ثم سُرِّى عنه ، فقال : أين الذى سألنى عن العمرة آنفاً ؟

فالتُمِسَ الرجل فَأُتِيَ به فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« أما الطيبُ الذى بك ، فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة ، فانزعها ، ثم اصنع فى عمرتك ما تصنع فى حَجِّك » .

هذا والذى قبله فى الصحيحين(١) .

● عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إنى قاعد إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، إذ أُوحِيَ إليه .

قال : وغشيته السكينة ، فوقع فخذه على فخذى ، حين غشيته السكينة .

قال زيد : فلا والله ، ما وجدت شيئاً أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم سُرِّى عنه قال : اكتب يا زيد .

● عن زيد بن ثابت قال :

كان إذا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة ، أخذه من الشدة والكرب على قَدْر شدة السورة .

وإذا أنزلت عليه السورة اللينة ، أصابه من ذلك على قَدْر لينها .

---

(١) رواية البخارى ومسلم مخالفة لما هنا باختصار ، وتقديم وتأخير .

• عن زيد بن ثابت قال : كان إذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثقُل لذلك وتحدَّر(١) جبينه عرقاً ، كأنه الجمان(٢) ، وإن كان فى البرد .

• عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمع عند وجهه كدوِىّ النحل .

• عن عبد الله بن عمرو قال : سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحى ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك . فما من مرة يوحى إلىّ [إلا] وظننت أن نفسى تُقبض .

• عن عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مرّ به عثمان بن مَظْعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى .

فجلس رسول الله صلى الله علية وسلم مُسْتقبَلَهُ .

فبَيْنما هو يحدثه ، إذ شخَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ بعضُ بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض .

فتحرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه ، عن عثمان ، إلى

---

(١) تحدر : أى : سال العرق من جبينه .

(٢) قال فى المختار من الصحاح الجمانة : حبة من الفضة كالدرة وجمعه جمان اهـ والمعنى : كأن قطرات العرق فى بياضها كحبات الفضة .

جنب وضع بصره فأخذ ينفض رأسه ، كأنه يستفهم ما يقال له ، وابن مظعون ينظر .

فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، كما شخص أول مرة ، وأتبعه بصره حتى توارى فى السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك ؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة !

قال : وما الذى رأيتنى فعلتُ ؟

قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك .

فتحرفت إليه وتركتنى ، فأخذت تنفض رأسك ، كأنك تستفقه شيئا يقال لك .

قال : وفطنت لذلك ؟ قال عثمان : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى رسول الله آنفا وأنت جالس » .

قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟

قال : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة النحل الآية ٩٠) .

قال عثمان : فذلك حين استقرّ الإيمان فى قلبى ، وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم .

• عن أسماء بنت يزيد قالت : إني لآخذةٌ بزمام العَضْباء ، ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت – من ثقلها – تدق عضد الناقة .

• عن عُبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كَرِب له ، وتربَّد(١) وجهه .

• عن أبي أرْوَى الدّوسي قال : رأيت الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه على راحلته ، فترغو وتفتل يديها ، حتى أظن أن ذراعها ينقصم ، فربما بركت ، وربما قامت مؤبدة يديها ، حتى يُسَرَّى عنه ، من ثقل الوحي ، وإنه ليتحدر منه ، مثلُ الجمان .

• عن عكرمة قال : كان إذا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقد لذلك ساعة ، كهيئة السكران .

• عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي ، صِدع فغلف رأسه بالحناء(٢) .

قال ابن عقيل : إنما نسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الجنون ، لما كان يعتاده عند نزول الملك من الإغماء والشدة .

ثم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بترك الفرق بين ذلك وبين إغماء الجنون ، فإن أثر ما كان يجرى له بيان الصواب والحق ، بخلاف إغماء الجنون .

---

(١) تربد : أي تغير لون وجهه حتى يشتد احمراره كما يستفاد من المعاجم .

(٢) ذكر ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جداً .

وهذا الذى تلمَّحته خديجة فقالت : والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتُصدُقُ الحديث ، وتعين على نوائب الحق .

قال ابن عقيل : فإن قال قائل : ما كان يجرى عليه من البرحاء(١) حين نزول الوحى هل ينقض وضوءه ؟

فالجواب : لا ، لأنه كان محفوظاً فى منامه ، تنام عيناه ولا ينام قلبه .

فإذا كان النوم الذى يستطلق فيه الوكاء ، لا ينقض وضوءه ، فالحالة التى أكرم فيها بالمسارّة والإلقاء إلى قلبه الهُدَى ، أولى أن تكون طباعه فيها معصومة من الأذى .

---

(١) معنى البرحاء هنا : الشدة والثقل .

الباب التاسع

فى ذكر الخلاف فيمن قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الملائكة فى نبوته

● عن عامر قال : نزلت عليه النبوة صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فقُرِن بنبوته ، إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل من القرآن على لسانه .

فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآن على لسانه .

● عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وكان معه إسرافيل ، ثلاث سنين .

ثم عزل عنه إسرافيل وقرن به جبريل عليه السلام عشر سنين بمكة ، وعشر سنين مهَاجَرَه بالمدينة .

قال ابن سعد : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر[1] فقال :

ليس يَعْرِف أهل العلم ببلدتنا ، أن إسرافيل قرن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون :

لم يُقْرن به إلا جبريل ، من حين أنزل عليه الوحى ، إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هو الواقدى ، وكان محمد بن سعد كاتبه .

الباب العاشر

فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يريه آيه تقوى ما عنده

● عن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بالحجُون فقال : « اللهم أرنى آية ، لا أبالى من كذَّبنى بعدها من قريش » .

فقيل له : ادع هذه الشجرة .

فدعاها ، فأقبلت على عروقها ، فقطعها .

ثم أقبلت تخدُّ(١) الأرض ، حتى وقَفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت : ما تشاء ما تريد ؟

قال : ارجعى إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها .

فقال : « والله ما أبالى من كذبنى من قريش » .

● عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة .

فقال له مالك ؟ قال : فعل بى هؤلاء وفعلوا .

فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ قال : نعم .

قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال : ادع تلك الشجرة .

فدعاها ، فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه .

فقال : مُرْها فلترجع . فأمرها ، فرجعت إلى مكانها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَسْبى .

---

(١) تخد : تشق .

الباب الحادي عشر

في رمى الشياطين بالشهب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وتنكيس الأصنام

● عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب .

فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث .

فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث .

فانطلقوا ، فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء .

قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَخْلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن ، تسمّعوا له فقالوا :

هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء .

فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا :

« يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ، يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (سورة الجن الآية ١ و ٢) » .

وأنزل الله تعالى على نبيه : « قُلْ أُوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن » .

• عن ابن عباس قال : لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم زُجِر الجن ورُمُوا بالكواكب .

وكانوا قبل ذلك يسمعون ، ولكل قبيل من الجن مَقْعد يستمعون فيه .

فأول ما فزع لذلك أهل الطائف ، فجعلوا يذبحون لآلهتهم ، من كان له إبل ، أو غنم ، كل يوم ، حتى كادت أموالهم تذهب ، ثم تناهوا ، وقال بعضهم لبعض :

أما ترون معالم السماء كيف هى لم يذهب منها شيء ؟

وقال إبليس : هذا أمر حدث فى الأرض ، إيتونى من كل أرض بتربة .

فكان يؤتى بالتربة فيشمها ويلقيها ، حتى أُتِيَ بتربة تهامة ، فشمها وقال : هاهنا الحدث .

• عن يعقوب بن الأخنس قال : إن أول العرب فزع لِرَمْي النجوم ، ثقيف وأتوا عمرو بن أمية فقالوا : ألم تر ما حدث ؟ !

قال : بلى ، فانظروا .

فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها ، ويعرف بها أنواء الصيف والشتاء ، فهو طَيُّ الدنيا ، وذهاب هذا الخَلْق الذى فيها .

وإن كانت نجوماً غيرها ، فأمرٌ أراد الله بهذا الخلق ، ونبى يبعث فى العرب . فقد تُحُدِّث بذلك .

• عن أُبَيِّ بن كعب قال : لم يُرْمَ بنجم منذ رفع عيسى بن مريم ، حتى تنبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تنبأ رُمِيَ بها .

فرأت قريش أمراً ، لم تكن تراه .

فجعلوا يسيِّبون أنعامهم ، ويعتقون أرقاءهم ، يظنون أنه الفناء .

فبلغ ذلك مِن فعلهم أهلَ الطائف ، ففعلت ثقيف مثل ذلك .

فبلغ عبدَ ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف قال : ولم فعلتم ما أرى ؟

قالوا رُمِيَ بالنجوم ، فرأينا أنها تَهافَتُ من السماء .

قال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجَلوا وانظروا .

فإن تكن نجوماً تعرف ، فهو عند فناء الناس .

وإن تكن نجوماً لا تعرف ، فهو عند أمر حدث .

فنظروا ، فإذا هي لا تُعْرَف ، فأخبروه فقال :

الأمر فيه مُهْلة بعدُ ، هذا عند ظهور نبي .

فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ،

فجاء عبد ياليل ، فتذاكروا أمر النجوم .

فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله ، يدَّعِي أنه مرسل .

قال عبد ياليل : فعند ذلك رُمِيَ بها .

● عن ابن عباس قال : لم تكن السماء تُحْرَسُ فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، كانوا يقعدون منها [مقاعد] للسمع .

فلما بعث الله محمداً صلى الله علية وسلم حُرِسَتِ السماء حرساً شديداً ، ورجمت الشياطين ، وأنكروا ذلك فقالوا : لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (سورة الجن الآية ١٠) » .

فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث واجتمعت إليه الجن ، فقال :

تفرقوا فى الأرض ، وأخبرونى ، ما هذا الذى حدث فى السماء ؟

وكان أول رَكْب بُعِثَ من أهل نصيبين ، وهم أشراف الجن ، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا ، حتى بلغوا وادى نَخْلة .

فوجدوا نبى الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة .

فلما سمعوه يتلو القرآن قالوا : أنصتوا .

● قال وهب بن منبِّه : كان إبليس يصعد إلى السموات كلهن ، ويتقلب فيهن كيف شاء ، لا يُمنع منذ أخرج آدم من الجنة إلى أن رفع عيسى ، فحينئذ حجب من أربع سموات ، فصار يتردد فى ثلاث سموات .

فلما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث ، فصار هو وجنوده يسترقون السمع ، ويقذفون بالكواكب .

* * *

● عن أبى هريرة قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح كل صنم منكساً ، فأتت الشياطين إبليس ، فقالت : ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكوساً .

قال : هذا نبى قد بُعِث ، فالتمسوه فى قرى الأرياف . فالتمسوه فقالوا : لم نجده ، قال : أنا صاحبه .

فخرج يلتمسه فنودى : عليك بجبة القلب مكة .

فالتمسه فوجده عند قرن الثعالب . فخرج إلى الشياطين فقال :

قد وجدته ، معه جبريل فما عندكم ؟

قالوا : نُزَيِّن الشهوات فى أعين أصحابه ، ونحبِّبها إليهم .

قال : فلا آسى(١) إذن .

---

(١) « فلا آسى » أى : فلا أحزن .

الباب الثانى عشر

فى ذكر ما وقع من التغير فى أحوال كسرى المسمى أبرويز عند مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام

كانت دجلة تجرى قديماً فى أرض خوجى فى مسالك محفوظة ، إلى أن تصب فى بحر فارس .

ثم غُوِّرتْ وجرَتْ صَوْب واسط .

فأنفق الأكاسرة على سدها وإعادتها إلى مجراها القديم ، أموالا كثيرة ، ولم يثبت السد .

فلما ولى قباذ بن فيروز ، انبثق فى أسافل كسكر بَثْقٌ عظيم ، وغلب الماء ، فأغرق عمارات كثيرة .

فلما ولى أنوشروان بَنَى مُسَنَّيات(١) .

فعاد بعض تلك العمارة ، وبقيت على ذلك ، إلى أن ملك أبرويز ابن هرمز بن أنوشروان ، وكان من أشد القوم بطشا ، وتهيأ له ما لم يتهيأ لغيره .

فسكر(٢) دجلة العوراء ، وأنفق عليها مالا يحصى .

وبنى طاق مجلسه ، وكان يعلق فيه تاجه ، ويجلس ، والتاج فوق رأسه معلق ، من غير أن يكون له على رأسه ثقل .

---

(١) المسنيات : جمع مسناة وهو السد .

(٢) السكر بفتح السين : سد النهر .

قال وهب بن منبه : وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة ، والحزاة : العلماء ، من بين كاهن ، وساحر ، ومنجم .

وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف[١] اعتياف العرب ، قلّما يخطىء . بعث [به] إليه باذان من اليمن .

فكان كسرى إذا حزبه[٢] أمر جمع كهانه وسحرته ومنجميه فقال : انظروا فى هذا الأمر ما هو .

فلما أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى ذات غداة وقد انفصمت طاق[٣] ملكه من وسطها[٣] .

فلما رأى ذلك أحزنه وقال :

انفصم طاق ملكى ، وانخرقت دجلة العوراء « شاه بشكست » يقول : الملك انكسر .

ثم دعا كهانه وسحرته ، ومنجميه ، ودعا السائب معهم ، فأخبرهم بذلك .

وقال : انظروا فى ذلك الأمر .

فنظروا ، فأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا[٤] فى علمهم ، ولم يمض لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا لمنجم علم نجومه .

---

(١) يعتاف ـ كما يستفاد من القاموس ـ أى : يزجر الطير ويتكهن بها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتتسعد أو تتشأم .

(٢) قال فى القاموس : حزبه الأمر ، نابه واشتد عليه أو ضغطه .

(٣) الكامل : أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه أى : انكسر من غير ثقل .

(٤) « تسكعوا » أى تحيروا فى علمهم . كما يستفاد من القاموس .

وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق(١) برقا نشأ من أرض الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق .

فلما أصبح ، ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه ، فإذا روضة خضراء .

فقال فيما يعتاف(٢) : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ الشرق والغرب ، تخصب عنه الأرض ، كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله .

فلما اجتمعت الحزاة ، قال بعضهم لبعض :

والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء ، وإنه لنبى قد بعث ، أو هو مبعوث يَسْلب هذا الملك ويكسره .

ولئن نعيتم لكسرى ملكه ، ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه .

فجاءوا كسرى فقالوا له : إنا نظرنا فى هذا فوجدنا حُسابك الذين وضعت على حِسابهم طاق ملكك ، وسَكرت(٣) دجلة العوراء ، وضعوه على النحوس ، وإنا سنحسب لك حسابا ، تضع عليه بنيانك فلا يزول .

قال : فاحسبوا . فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبناه .

فعمل فى دجلة ثمانية أشهر ، وأنفق فيها من الأموال مالا يُدرى ما هو .

حتى إذا فرغ قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم .

فأمر بالبسط والفرش والرياحين ، فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة ، فجمعوا له .

---

(١) الكامل : على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقا .
(٢) يعتاف : يتكهن .
(٣) السكر بفتح السين : سد النهر .

وجمع اللعَّابون ، ثم خرج حتى جلس عليها .

فبينا هو هنالك ، انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج إلا بآخر رمق .

فلما أخرجوه ، قتل من الحزاة ، قريباً من مائة وقال : تلعبون بى ؟

قالوا : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ، ولكنا سنحسب لك حسابا ، حتى تضعها على الوفاق من السعود .

قال : انظروا ما تقولون ، قالوا : فإنا نفعل .

فحسبوا له ثم قالوا له : ابنه .

فبنى وأنفق من الأموال مالا يدرى ما هو ، ثمانية أشهر ثم قال : أوَخرج فأقعد ؟ قالوا : نعم .

فركب برذونا له ، وخرج يسير عليها ، إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم يدرك إلا بآخر رمق ، فدعاهم فقال :

والله لأمرنَّ على آخركم ولأنْزعنَّ أكتافكم ، ولأطرحنكم بين أيدى الفيلة ، أو لتَصْدُقُنِّى ، ما هذا الأمر الذى تلفقون علىَّ ؟

قالوا : لا نكذبك ، أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانفصمت طاق مجلسك ، أن ننظر فى علمنا ، فنظرنا فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء ، فلم يستقم لعالمنا علمه .

فعرفنا أن هذا ، لأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبى ، أو هو مبعوث ، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا .

فخشينا إن نَعَيْنا مُلْكك أن تقتلنا فعللناك على أنفسنا بما رأيت .

فتركهم ولهى عنهم وعن دجلة حين غلبته .

• وقال ابن إسحاق : كان من حديث كسرى قبل أن يأتيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى ، أنه كان سَكَّر دجلة العوراء ، وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو . وذكر الحديث الذى سقناه بعينه[1] .

• وقال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كسرى فيك ؟

قال : بعث الله إليه ملكا ، فأخرج يده من سور بيته الذى هو فيه تَلَأْلَأُ[2] نورا . فلما رآها فزع .

قال : لمَ تفزع يا كسرى ؟

إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا ، فاتبعه، لتسلم دنياك وآخرتك .

قال : سأنظر .

• وقال ابن إسحاق[3] : بعث الله مَلَكًا إلى كسرى ، وهو فى بيت من بعض بيوت إيوانه الذى لا يُدْخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه[4] إلا هو ، قائما على فراشه[5] فى يده عصا بالهاجرة فى الساعة التى كان يقيل فيها .

فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بَهَل بَهَل .

---

(١) ، (٣) لم يذكر ابن هشام هذا الخبر .

(٢) أى : تتلألأ بحذف التاء الأولى على حد قوله تعالى « فأنت عنه تلهى » أى تتلهى .

(٤) أى : لم يُخِفْهُ .

(٥) الكامل : قائما على رأسه .

فانصرف عنه ثم دعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل علىّ ؟ قالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيناه .

حتى إذا كان العام القابل أتاه الساعة التى أتاه فيها فقال له كما قال له .

ثم قال : أتُسْلِم أو أكسر هذه العصا ؟ قال : بهل بهل .

فخرج عنه فدعا كسرى حُجَّابه وبوّابيه ، فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة .

قالوا : ما رأينا أحدًا دخل عليك .

حتى إذا كان فى العام الثالث ، أتاه فى الساعة التى جاءه فيها ، وقال كما قال له ثم قال له : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ قال بهل بهل .

قال : فكسر العصا ثم خرج . فلم يكن إلا أن تهوّر ملكه .

● قال الزهرى : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبى سلمة قال : ذكر لى أن الملك إنما دخل عليه بقارورتين فى يديه ثم قال : أسلم . فلم يفعل .

فضرب إحداهما بالأخرى فرضّهما ثم خرج .

فكان من هلاكه ما كان .

● عن خالد بن ويدة ، وكان رأسا فى المجوس ، ثم أسلم قال :

كان كسرى إذا ركب ، ركب أمامه رجلان فيقولان له ساعة بساعة : أنت عبد ولست برب .

فيشير برأسه : أى نعم .

قال : فركب يوماً فقالا له ذلك ، فلم يُشِرْ برأسه ، فعلم ذلك صاحب شرطته فأتاه ليعاتبه ، وكان كسرى قد نام .

فلما وقع صوت حوافر الدواب فى سمعه ، استيقظ .

فدخل عليه صاحب شرطته ، فقال :

أيقظتمونى ولم تدَعونى أنام .

إنى رأيت أنه رُقِىَ بى فوق سبع سموات ، فوقفت بين يدى الله تعالى ، فإذا رجل بين يديه عليه إزار ورداء ، فقال لى :

سلِّم بحر مفاتيح خزائن أرضى ، إلى هذا ، ألست المأمور بكذا ؟

قال : وصاحب الإزار والرداء ، يعنى به ، النبى صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن قتيبة أن أبرويز قال : رأيت فى المنام قائلا يقول لى :

إنكم غيَّرتم ، فغيِّر ما بكم ، ونقل المكان إلى أحمد .

وكانوا يتوقعون حادثة تحدث ، حتى كتب النعمان إليه : أن خارجا نجَم بتهامة ، يخبر أنه رسول إله السماء والأرض .

فانزعج لذلك وعلم أنه الذى كان يتوقعه .

قال ابن قتيبة : فانقضت ممالك الأمم عند مَبْعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا الروم ، لِما سبق من دعوة إسحاق بن إبراهيم .

فإن يعقوب لما سبق إلى دعوة ابنه إسحاق ، صارت النبوة فى ولده .

فدعا إسحاق للعيص بالنماء والكثرة ، فالروم كلهم من ولده .

وانتقضت مملكة فارس ، وكان أول انتقاضها ، قتل شيرويه أباه .

ثم ظهر الطاعون فى ملكه فهلك فيه ، ثم تعاوروا الملك ، ولم يلبثوا .

وانتقض ملك أهل اليمن .

وكان أول ذلك ، قتل الحبشة سيف بن ذى يزن ، وانتشر الأمر بعده .

فكل أهل ناحية ، ملَّكوا رجلا ، حتى جاء الإسلام .

وانتقضت مملكة الحيرة بعد النعمان بن المنذر .

وانتقض ملك أبى جَفْنة ، وكان آخر من ملك منهم ، جبَلة بن الأيهم ، الذى تنصَّر فى خلافة عمر رضىُ الله عنه .

الباب الثالث عشر

فى ذكر دعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الاسلام

● كان صلى الله عليه وسلم فى أول نبوته يدعو النـاس، إلى الإسلام سرًّا .

وكان أبو بكر يدعو أيضاً ، من يثق به من قومه .

فلما مضت من النبوة ثلاث سنين : نزل عليه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ[1]) فأظهر الدعوة .

● عن أبى عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ، ثلاث سنين مستخفياً ، إلى أن أمر أن يصدع بما جاء من عند الله ، وأن يظهر الدعوة .

● عن الزهرى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سراً وجهراً ، فاستجاب لله من شاء ، من أحداث الرجال ، وضعفاء الناس ، حتى كثر من آمن به ، وكفار قريش غير منكرين لما يقول .

فكان إذا مرَّ عليهم فى مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب لَيُكَلَّم من السماء .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٤

فكان كذلك حتى عاب آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، وذكَر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فشاقُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعادَوْهُ .

● عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كنت بَيْن شرِّ جارين ، بين أبى لهب ، وعقبة بن أبى معيط ، كانا يأتيان بالفروث فيطرحونها .

فيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

يا بنى عبد مناف ، أى جوار هذا ؟ ! ثم يلقيه بالطريق .

الباب الرابع عشر

فى ذكر إنذار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المواسم

● عن طارق بن عبد الله المحاربى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بسوق المجَاز ، وأنا فى بياعة لى .

فمرّ ، وعليه حلة حمراء وهو ينادى بأعلى صوته :

يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول :

يا أيها الناس ، لا تطيعوه فإنه كذاب .

قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا غلام من بنى عبد المطلب .

قلت : فمن هذا الذى يتبعه يرميه ؟

قالوا : هذا عمه عبد العزى . وهو أبو لهب .

● عن جابر قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ، ومجنّة ، وفى المواسم بمنى .

« من يؤوينى ؟ من ينصرنى ، حتى أبلغ رسالة ربى ، وله الجنة ؟ » .

حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه فيقولون :

احذر غلام قريش ، لا يفتنك .

الباب الخامس عشر

فى ذكر إنذاره عشيرته

● عن أبى هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[١] فقال :

« يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله تعالى ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يابنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد ، سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً .

● عن ابن عباس : لما أنزل الله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصَّفا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى يا بنى ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسَفْح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ما دعوتنا إلا لهذا ؟ ! فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتَبَّ) .

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤

• عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمر قالا : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة من جبل على أعلاها حجراً فجعل ينادى : يا بنى عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلى ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب ينذر أهله نخشى أن يشقوه فجعل ينادى ويهتف يا صباحاه .

انفرد بإخراج هذا الحديث مسلم ، واتفقا على الحديثين قبله .

• عن ابن عباس قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فقال : يا معشر قريش .

فقالت قريش : محمد على الصَّفا يهتف .

فأقبلوا واجتمعوا قالوا : مالك يا محمد .

قال : أَرَأَيْتَكُمْ(١) لو أخبرتكم أن خيلا بسَفْح هذا الجبل كنتم تصدقونى ؟

قالوا : نعم ، أنت عندنا غيرُ متَّهم ، وما جرَّبنا عليك كذباً قط .

قال : فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ .

يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زُهْرة ، حتى عدَّ الأفخاذ من قريش .

إن الله عز وجل ، أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، إنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

قال يقول أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا !

---

(١) أى : أخبرونى .

فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها .

عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضقتُ بذلك ذَرْعًا ، وعرفت أنِّى متى أباديهم بهذا ، أرى منهم ما أكره .

فصمتُّ حتى جاءنى جبريل فقال :

يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به ، يعذبك ربك .

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : يا عليّ ، اصنع لى صاعاً من طعام[1] واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُسًّا[2] من لبن ، ثم اجمع لى بنى المطلب حتى أكلمهم ، وأبلِّغهم ما أمرت .

ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم له ، وهم أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو يَنْقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب .

فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذى صنعتُ ، فجئت به .

فلما وضعته ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة[3] فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ، ثم قال :

خذوا باسم الله .

فأكل القوم ، حتى ما لهم بشىء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم .

وايم الله ، الذى نفس عَلِيّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ، ليأكل جميع ما قدمتُ لجميعهم .

---

(١) البيهقى : فاصنع لنا ، يا على ، صاعاً من طعام ، وأعد لنا عس لبن .

(٢) العس : القدح الضخم .

(٣) البيهقى : حذية .

ثم قال : اسق القوم .

فجئت بذلك العُسّ فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً .

وايم الله ، إن كان الرجل الواحد منهم ، ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَره(١) أبو لهب إلى الكلام فقال : سحركم صاحبكم .

فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الغد .

يا على ، إن هذا الرجل سبقنى إلى ما سمعتَ من القول ، فَأَعِدَّ لنا من الطعام مثل ما صنعت ، ثم اجمعهم لى .

فقمت وجمعتهم ، فأكلوا وشربوا .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إنى والله ما أعلم شاباً من العرب ، جاء قومَه ، بأفضل مما قد جئتكم به ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه ، فأيُّكم يؤازرنى على هذا الأمر ، على أن يكون أخى ؟

فأحجم القوم فقلت ، وأنا أحدثهم سنًّا ، أنا يا نبى الله .

فقام القوم يضحكون(٢) .

---

(١) أى : سبقه .

(٢) هذا الخبر رواه البيهقى من طريق يونس بن بكير عن ابن اسحق عن شيخ أبهم اسمه عن عبد الله بن الحارث . ورواه أبو جعفر بن جرير بطريق تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى ، اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون . وروى نحوه ابن أبى حاتم فى تفسيره . وروى نحوه الإمام أحمد فى مسنده .

الباب السادس عشر

في ذكر عموم رسالته

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبُعثت إلى الناس عامة .

وفى الباب عن على ، وأبى ذر ، وأبى موسى ، وأبى أمامة ، وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو . وستأتى هذه الأحاديث .

الباب السابع عشر

فى ذكر إرساله إلى الجن صلى الله عليه وسلم

عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن فلما فرغ قال : « مالى أراكم سكوتاً ؟ لَلجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردًّا ، ما قرأت عليهم (فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) إلا قالوا : ولا بشىء من نعمتك ربّنا ، نُكذِّب ، فلك الحمد .

• عن ابن مسعود قال :

انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بى معه حتى أتى بى ، إلى البراز ، ثم خطّ لى خطاً ، ثم قال :

لا تبرح ، حتى أرجع إليك فما جاء ، حتى السحر ، فقال :

أُرْسِلْتُ إلى الجن .

قلت : فما هذه الأصوات التى أسمعها ؟

قال : هذه أصواتهم ، حين ودّعونى ، وسلموا علىّ .

الباب الثامن عشر

فى كونه خاتم النبيين

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُتِم بى النبيون » .

• عن سعد بن أبى وقاص قال : خلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب فى غزاة تبوك ، فقال :

يا رسول الله ، تخلِّفنى فى النساء والصبيان ؟

قال : أما ترضى أن تكون منى ، بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى .

أخرجاه(١) .

• عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى » .

انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١) يعنى : البخارى ومسلم .

البابُ التاسع عشر

فى ذكر ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى الكفار وهو صابر

● عن ابن عباس : أن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحِجْر .

فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله .

قال : فأقبلت فاطمة عليها السلام تبكى ، حتى دخلت على أبيها صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملأ من قومك فى الحِجْر ، قد تعاقدوا أن لو رأوك ، قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك .

قال : يا بنية ، أرنى وَضوءا .

فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، هذا هو . فخفضوا أبصارهم ، وعقروا فى مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقم منهم رجل .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رءوسهم .

فأخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها . وقال : شاهت الوجوه .

قال : فما أصاب رجلا منهم حَصاةٌ ، إلا قتل يوم بدر كافراً .

● عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو فعل ، لأخذته الملائكة عياناً » .

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما كانت تظهر من عداوته ؟

قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحِجر .

فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ما رأينا مثل ما صبرْنا عليه من هذا الرجل قط .

سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على عظيم .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت .

فلما مر بهم ، غمزوه ببعض ما يقول .

قال : فعرفت ذلك فى وجهه ، ثم مضى .

فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه .

ثم مضى فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال :

تسمعون معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذَّبْح !

فأخذت القومَ كَلِمتُه ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ، يترضاه بأحسن ما يجد من القوم حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحجر ، وأنا معهم فقال بعضهم لبعض :

ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه .

حتى إذا باداكم بما تكرهون ، تركتموه !

فبيناهم على ذلك ، طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون له :

أنت الذى تقول كذا وكذا ؟

لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم أنا الذى قلت ذلك » .

قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه .

قال : وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكى :

أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! ثم انصرفوا عنه .

فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغوا منه قط .

● عن عمرو ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : فرأيت عينى عثمان ذرفتا من تذكُّر ذلك !

قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده فى يد أبى بكر ، وفى الحجْر ثلاثة نفر جلوس .

عقبة بن أبى مُعَيط ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمية بن خلف .

فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما حاذاهم ، أسمعوه بعضَ ما يكره .

فعرفت ذلك فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم .

فدنوت منه ، حتى كان بينى وبين أبى بكر .

فأدخل أصابعه فى أصابعى ، حتى طفنا جميعا .

فلما حاذاهم قال أبو جهل :

والله لا نصالحك ، ما بَلَّ بحرٌ صوفة ، وأنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ذلك .

ثم مضى عنهم ، فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك .

حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه .

فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت فى صدره ، فوقع على أسته .

ودفع أبو بكر أمية بن خلف .

ودفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط .

ثم انفرَجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف ثم قال لهم :

أمَا والله ، لا تنتهون ، حتى يحلَّ عقابه عاجلا .

قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف ، وجعل يرتعد .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس القوم أنتم ، لنبيكم » .

ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة

ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال :

أبشروا ، فإن الله عز وجل مُظْهِرٌ دينه ، ومتمم كلمته ، وناصر نبيه ، إن هؤلاء الذين ترون مما يَذْبح الله بأيديكم عاجلا .

ثم انصرفنا إلى بيوتنا .

فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا !

• عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال لى الزبير بن العوام :

لقد رأيتُ اليوم عَجباً !

رأيتُ نفرا من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبو جهل ابن هشام .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يتآمرون بمناهضته .

فوقف عليهم وقال :

قُبِّحتم وقبح صاحبكم .

فكأنهم خرسوا ، ما فيهم أحد يتكلم ، ولا يقوم .

ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يعدو فى أثره يعتذر إليه ويقول كُفَّ عنا ، ونكف عنك .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أكفُّ عنك ، حتى تؤمن بالله ، أو أقتلك .

قال : وأنت تقدر على قتلى ؟ !

قال : الله يقتلك ، ويقتل هؤلاء .

فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين .

• عن عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، إذ أقبل عُقْبة ابن أبى معيط ، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَلَوَى ثوبه فى عنقه ، فخنقه خنقا شديداً .

فأقبل أبو بكر ، فأخذ بمنكبه ، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

أتقتلون رجلا ، أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ! !

• عن عبد الله قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا على قريش غير يوم واحد .

فإنه كان يصلى ، ورهطٌ من قريش جلوس ، وسلا جزور[1] قريب منه ، فقالوا : من يأخذ هذا السلا ، فيلقيه على ظهره ؟

قال : فقال عقبة بن أبى معيط : أنا . فأخذه ، فألقاه على ظهره .

فلم يزل ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ، فأخذته عن ظهره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم عليك الملأ من قريش ، اللهم عليك بعقبة ، اللهم عليك بشيبة ، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، اللهم عليك بعقبة بن أبى معيط ، اللهم عليك بِأُبَىٍّ بن خلف ، أو أمية

---

(١) قال فى المصباح : « السلى » وزان « الحصى الذى يكون فيه الولد والجمع أسلاء مثل سبب وأسباب اهـ ، وفى الصحاح « السلا » مقصور : الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى ، إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة يولد ، وإلا قتلته اهـ والمراد هنا : كرش الناقة .

ابن خلف . قال عبد الله : فلقد رأيتهم قُتِلُوا يوم بدر جميعاً ، ثم سحبوا إلى القليب ، غير أبيّ أو أمية (١) فإنه كان رجلا ضخما ، فتقطع .

● عن ابن إسحاق : لما أجمع المشركون على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منعه عمه أبو طالب .

فمشى جماعة من أشرافهم كعقبة ، وشيبة وأبى جهل ، إلى أبى طالب فقالوا :

إن ابن أخيك ، قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا .

فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه ، فَشَرِى الأمرُ (٢) بينه وبينهم ، فحضّ بعضهم بعضا عليه .

ثم عادوا إلى أبى طالب فقالوا : لا نصبر على هذا .

فقال له : يا ابن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا ، فلا تُحَمِّلْنِى من الأمر ، مالا أُطِيق .

---

(١) ردد المؤلف بين أمية وأبى ، تبعا للبخارى فى بعض رواياته .
والصواب — كما ذكر الزرقانى — أنه أمية ، وهو ما أطبق عليه أصحاب المغازى ، لأنه هو المقتول ببدر .
وأما أخوه أبى ، فإنما قتل بأحد . انظر شرح المواهب ١/٢٥٣ .
(٢) شرى : اشتد .

فقال : يا عمّاه ، والله ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه !

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام .

فلما ولىّ ، ناداه أبو طالب : أقبل إلىّ يا ابن أخى . فأقبل .

فقال : اذهب ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً .

فبدأت الحرب ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .

وقام أبو طالب فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى المنع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانوا إذا صلوا ذهبوا إلى الشّعاب يستخفون من قومهم ، فقاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص رجلا من المشركين بلَحْىِ جمل ، فشجه .

فكان أول دم أرِيقَ فى الإسلام .

● عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل ، وقعد فيه .

قالوا : إن ابن أخيك يقع فى آلهتنا .

قال : ما شأن قومك يشكونك ؟

قال : يا عم أردتهم على كلمة واحدة ، تدين لهم العرب ، ويؤدى العجم إليهم الجزية .

قال : ما هى ؟ قال : لا إله إلا الله .

فقالوا : أجعل الآلهة إلها واحداً ؟

ونزل : « ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ » فقرأ حتى بلغ « إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ » .

البابُ العشرون

فى ذكر ما روى عن إيمان أكثم بن صيفى
برسول الله صلى الله عليه وسلم : لما بلغه خروجه

● عن ابن عمير قال : بلغ أكثم بن صيفى مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأبى قومه أن يدَعوه .

فقال : من يبلِّغه عنى ويبلغنى عنه ؟

فانتدب رجلان فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقالا :

نحن رُسُل أكثم بن صيفى ، وهو يسألك من أنت ، وما أنت ، وبم جئت ؟

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله ، وأنا عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهما (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَان ... الآية) .

فقالا رُدَّ علينا هذا القول فرده عليهم حتى حفظوه .

وأتيا أكثم فقالا : سألناه عن نسبه ، فوجدناه واسط النسب فى مضر ، وقد رَمَى إلينا كلمات .

فلما سمعهن أكثم قال : يا قوم ، أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملائمها ، فكونوا فى الأمر رءوسا ، ولا تكونوا أذنابا ، وكونوا فيه أولا ، ولا تكونوا آخرا .

فلم يلبث أن حضرته الوفاة .

فقال أكثم : وَيلٌ للشجيِّ من الخليِّ[١] ، يا لَهف نفسى[٢] على أمرٍ لم أدركه ولم يَفُتْنى .

ما آسَى عليك[٣] بل على العامة .

يا مالك، إن الحق إذا قام، دفع الباطل .

فتبعه مائة نفس، وخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان فى بعض الطريق، عمد حُبيش إلى رواحلهم فنحرها، وشقَّ ما كان معهم من مزادة وهرب، فَجَهد أكثمَ العطش[٤]، فمات وأوصى من معه، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أنه أسلم .

فأنزل فيه : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى اللهِ وَرَسُوله ثم يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ »[٥] .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح « الشَّجْوُ » الهمُّ وَالُحزن وقد شجاه : حَزَنه، وبابه « عدا » وأشجاه : أغصه . وتقول منهما جميعا : شَجِىَ، من باب « صَدِىَ » ومثله فى المصباح والمراد هنا : ويل للممتلىء حزنا من الخالى منه .

(٢) أى : يا حزن نفسى . قال فى المختار من الصحاح : لهف أى حزن وتحسر وكذا التلهف على الشىء . والملهوف المظلوم يستغيث. واللهيف : المضطر . واللهفان : المتحسر . وفى الصحاح : وقولهم يا لهف فلان كلمة يتحسر بها على ما فات .

وقول الشاعر :

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّى بِلَهْفَ وَلَا بِلَيْتَ وَلَا لَوَانِّى

أراد « لهفاه » فحذف .

(٣) أى : ما أحزن عليك . قال فى المصباح وأسى أسىً من باب تعب : حزن فهو أسى مثل حزين وفى المختار من الصحاح أسى على مصيبة من باب صدى أى : حزن . وقد أسى له . أى حزن له .

(٤) أى اشتد عطشه إلى النهاية . (٥) سورة النساء . آية ١٠٠

الباب الحادي والعشرون

فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة

وقال : إن بها مَلِكا لا يُظلَمُ الناس ببلاده ، فتحرَّزوا(١) عنده ، حتى يأتيكم الله بفرَج منه » .

فخرج جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم .

والذين خرجوا إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة .

وكان خروجهم فى رجب من السنة الخامسة ، من حيث نُبِّئَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وخرجت قريش فى آثارهم ، ففاتوهم .

فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة « النجم » وسمعوا : « تلك الغرانيق العُلَى » وإنما قالها بعض الشياطين(٢) لا أنها جرَتْ على لسان

---

(١) قال فى الصحاح: الحرز: الموضع الحصين. واحترزت من كذا وتحرزت ، أى : توقيته اهـ باختصار . أى : كونوا آمنين وحافظين أنفسكم عنده .

(٢) قصة الغرانيق باطلة لا تستند إلى أصل صحيح ، كما بين ذلك القاضى عياض فى كتاب الشفاء والزرقانى فى شرح المواهب . قلت وقد زيف هذه القصة أيضاً الإمام محمد عبده . ونشرها السيد محمد رشيد رضا .

كما ألف محدث هذا العصر محمد ناصر الدين الألبانى رسالة أسماها « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق » جواباً لسؤال وجهه إليه بعض علماء الباكستان جمع فيها جميع الروايات وخرجها تخريجاً علمياً ، أشبع فيها القول بما لم يسبق إليه وبما لا مزيد لمستزيد ، وقد طبعت بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ل ١٩٥٢ م فهى جديرة بأن يقرأها كل من يحرص على سلامة إيمانه . محمد زهرى النجار

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سجد فى السورة ، سجد المشركون معه ، ورفع الوليد كفًّا من تراب إلى جبهته .

فبلغ ذلك أهلَ الحبشة ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا ، فلنرجع إلى عشائرنا . فرجعوا .

فلقيهم رَكْبٌ(١) فسألوهم ، فقالوا : ذكَرَ محمد آلهتكم فبايعوه ، ثم عاد عن ذكرها ، فعادوا له بالشر .

فلم يدخل أحد منهم إلا بجِوارٍ ، إلا ابن مسعود ، فإنه مكث قليلا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة .

فسَطَتْ(٢) بهم عشائرهم وآذوهم ، فَأَذِن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج مرة أخرى ، فخرجوا ، وخرج معهم خَلْق كثير .

قال ابن إسحاق : جميع مَنْ لَحَق بأرض الحبشة سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بها : نيِّفٌ وثمانون رجلا ، إن كان عمار ابن ياسر منهم .

وقال الواقدى : كانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، ومن النساء إحدى عشرة قُرَشية ، وسبع غرائب .

● عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون مكانى ، ويسمعون منِّى .

فقلت لهم : تعلمون والله ، إنى لأَرى أمرَ محمد يعلو الأمورَ عُلوًّا مُنْكراً ، وإنى قد رأيت رأياً ، فما ترون فيه ؟

---

(١) ركب جمع راكب ، أى جماعة من المسافرين .

(٢) سطت بهم : بطشت بهم ، ووثبت عليهم .

قالوا : وما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ أن نَلْحق بالنجاشي ، فنكون عنده .

فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يده ، أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد .

وإن ظهر قومنا فنحن ممَّن عرِفْنا ، فلن يأتينا منهم إلا خير .

فقالوا : إن هذا الرأىُ .

قلت : فاجمَعوا ما نُهْدِى له ، وكان أحبَّ مايُهْدَى إليه من أرضنا الأُدم(١) فجمعنا له أدَماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدِمْنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْرى .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده .

قال : قلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلتُ على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلتُ ذلك ، رأت قريش أنى قد أجزَأتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقى ، أهديتَ لى من بلادك شيئاً ؟

قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أَدَماً كثيراً .

قال : ثم قدَّمته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت :

أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا قد خرج من عندك ، وهو رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

---

(١) الأدم بفتحتين : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد أو أحمره ، أو مدبوغه .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فَرَقاً(١) منه .

فقلت(٢) : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر ، الذى كان يأتى موسى لتقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ !

قال : ويحك يا عمرو ! أطعنى واتبعه ، فإنه ، والله ، لَعَلَى الحقّ ، وليَظْهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابى وقد حالَ رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى ثم خرجت عامداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت(٣) .

● عن ابن مسعود قال : بَعَثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحوٌ من ثمانين رجلا ، وبعثَت قريش ، عمرو بن العاص ، وعُمارة بن الوليد بهدية .

فلما دخلا على النجاشى ، سَجَدا له ثم قالا : إن نفراً من بنى عمنا ، نزلوا بأرضك ورَغِبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك .

---

(١) فرقاً : أى خوفاً منه . (٢) ابن هشام : ثم قلت .

(٣) ذكر ابن هشام بقية الخبر وفيه ، أنه لقى خالد بن الوليد ، واتفقا على الذهاب إلى المدينة ، ليسلما .

فبعث إليهم ، فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .

فسلم ولم يسجد ، فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟

قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، إن الله تعالى بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأمرنا ألاَّ نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك فى عيسى بن مريم .

قال : ما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه ؟

قالوا : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول التى لم يمسّها بشر ولم يَفْرعها ذكر[١] .

قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما تزيدون على الذى يقول فيه ، ما يساوى هذا .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذى نجد فى الإنجيل ، وإنه الذى بشّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم .

والله لولا ما أنا فيه من المُلْك ، لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه .

وأمر بهدايا الآخرين ، فَرُدَّت إليهم .

---

(١) مسند أحمد وسيرة ابن كثير : ولم يفرضها ولد . أى لم يؤثر فيها ولد ولم يحزها قبل المسيح .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر ما كتبه المشركون من التبرّى من بنى هاشم وبنى المطلب

لمّا دفع بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعت قريش وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه ألاَّ يَنْكحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ولا يُنْكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم .

وكان ذلك فى سنة سبع من النبوة .

وعلَّقوا ذلك الكتاب فى جوف الكعبة توكيداً للأمر .

فلما فعلوا ذلك ، انحاز بنو هاشم[1] وبنو المطلب إلى أبى طالب ، فدخلوا عليه فى شِعبه[2] ، وخرج منهم أبو لهب ، وظاهَر[3] المشركين .

فأقاموا على ذلك ثلاث سنين وقطعوا الميرة والمادة عنهم[4] ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجَهْد[5] .

وكان هشام بن عمرو بن ربيعة يُدْخِل إليهم أحمالَ طعام ويكتم ذلك .

ثم نُقِض حُكم الصحيفة المكتوبة ، وفى سبب نقضه قولان :

---

(١) انحاز بنو هاشم . أى : انضموا .

(٢) أى : فى أرضه الواقعة بين جبلين ، قال فى الصحاح : الشعب بالكسر الطريق فى الجبل ، وفى القاموس : الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن أرض أو ما انفرج بين الجبلين .

(٣) ظاهر المشركين . أى : عاونهم .

(٤) أى قطعوا عنهم الطعام ولوازم الحياة .

(٥) أى : بلغت بهم المشقة نهايتها .

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على أمر صحيفتهم وأن الأَرَضة[1] قد أكلت ما كان فيها من جَوْر وظلم ، وبقى ما كان من ذِكر الله .

فذكر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب .

فقال أبو طالب : أحقٌّ ما تخبرنى به يا ابن أخى ؟ قال : نعمْ ، والله يا عم .

فذكر ذلك أبو طالب لأخويه ، وقال : والله ما كذَبنى قط .

قالوا : فما ترى ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسنَ ثيابكم ، وتخرجوا إلى قريش ، فتذكر لهم ذلك مِن قَبْل أن يَبْلغهم الخبر .

فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، فقال أبو طالب :

إنا قد جئنا فى أمر فأجيبوا فيه .

قالوا : مرحباً بكم وأهلاً .

قال : إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يَكْذبنى قط ، أن الله تعالى سلَّط على صحيفتكم الأَرَضَة ، فلحست كلَّ ما كان فيها من جَوْر ، أو ظلم ، أو قطيعة رحم ، وبقى فيها كلُّ ما ذُكر به الله تعالى .

فإن كان ابن أخى صادقاً ، نزعتم عن سوء رأيكم .

وإن كان كاذباً ، دفعتُه إليكم فقتلتموه ، أو استحييتموه إن شئتم .

---

(١) قال فى المختار من الصحاح ، الأرضة : بفتح الراء والضاد . دويبة تأكل الخشب .

قالوا : قد أنصفتنا .

فأرسلوا إلى الصحيفة ، فلما فتحوها ، إذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُقِط(١) فى أيدى القوم ، ثم نُكِسوا على رءوسهم .

فقال أبو طالب : هل تبيَّن لكم أنكم أَوْلى بالظلم والقطيعة .

فلم يراجعه أحد منهم . ثم انصرفوا .

رواه محمد بن سعد ، عن أشياخ له .

والثانى : أن هشام بن عمرو بن الحارث العامرى ، مشى إلى زُهَير بن أبى أمية بن المغيرة ، فقال :

يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمتَ ، لا يبتاعون ولا يُبْتَاع منهم ، ولا يَنْكحون ولا يُنْكح إليهم !

أمَا إنى أحلف بالله ، لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟! إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى آخر لقمتُ فى نَقْضها .

قال : قد وجدتَ رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال ابْغنا(٢) ثالثاً .

فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ ، فقال له :

يا مطعم ، أرضيتَ أن تهلك بَطْنان من بنى عبد مناف ، وأنت موافق لقريش فى ذلك !

---

(١) سقط . بالبناء للمجهول ، أى : ندم . (٢) ابغنا . أى : اطلب لنا .

قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

قال : قد وجدتَ ثالثاً . قال : من هو ؟ قال زهير بن أمية .

قال : ابغِنا رابعاً .

فذهب إلى أبى البَخْتَرِىّ بن هشام فقال له نحواً مما قال للمُطْعِم بن عدى ، فقال :

وهل من أحد يُعِين على هذا ؟

قال : نعم زُهَير ، والمطعم ، وأنا معك .

قال : ابغنا خامساً .

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود فكلمه . فقال : وهل على هذا الأمر أحد ؟

قال : نعم . فسمَّى له القومَ .

فاتّعدوا واجتمعوا ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها .

فغدا زُهير فطاف ثم قال :

يا أهل مكة ، إنا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هَلْكَى ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة .

فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشق .

فقال زَمْعة : أنت والله أكْذَبُ ، ما رضينا كتابتها حين كُتِبت .

فقال أبو البَخْتَرِىّ : صدق زَمعة ، لا نرضى ما كتِب فيها ولا نقرُّ به .

فقال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأُ إلى الله منها ومما كتِب فيها .

وقال هشام بن عمرو ، نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِي(١) بليل ، وتُشوور فيه بغير هذا المكان .

فقام مطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من « باسمك اللهم » .

وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم ، فشُلَّت يده .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر(٢) وهو بمنًى :

« نحن نازلون غداً بِخَيْف(٣) بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكُفْر .

يعني بذلك ، المحصَّب .

وذلك أن قريشاً وكنانة ، تحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ، ألاّ يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا إليهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أي : دُبِّر .

(٢) في البخاري ٢/١٨٦ : حين أراد حنينا .

(٣) قال في الصحاح : الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، والمراد هنا : اسم موضع لبني كنانة مرتفع عن مسيل الماء .

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى عليه وسلم
مع ضِمَاد الأَزْدى الوافد

● عن ابن عباس : أن ضمادا قَدِم مكة وكان من أَزْدشنوءة ، وكان يَرْقِي من الريح[١] ، فسمع سفهاءَ أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون .

فقال : لو أنى رأيتُ هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدى !

قال : فأتيته فقلت : يا محمد إنى أرقى من الريح[١] وإن الله يشفى على يدى من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد » .

فقال : أعِدْ عَلَيَّ كلماتك هؤلاء .

فأعادهن عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال :

لقد سمعتُ قولَ الكهنة والسَّحرة والشعراء ، فما سمعت مثلَ كلماتك هؤلاء ولقد بلغتُ قاموس[٢] البحر ، هات يدك أبايعك على الإسلام . فبايعه .

---

(١) ابن كثير « من هذه الرياح » .

(٢) قاموس البحر : أبعد مكان فيه غورا . قال فى المختار من الصحاح : قاموس البحر : وسطه ومعظم الماء فيه . ومثله فى سائر المعاجم . وفى ابن كثير : ولقد بلغن قاموس البحر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعلى قومك ؟

قال : وعلى قومى .

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَةً ، فمروا بقومه .

فقال صاحب الجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟

قال رجل : أصبت منهم مُظهرةً[1] .

قال : رُدُّها ، فإن هؤلاء قوم ضِمَاد .

---

(١) المظهر : البعير الذى هجمته الظهيرة .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع عتبة بن ربيعة

● عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسِّحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذى قد فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلّمه ، فلينظر ماذا يردُّ عليه ؟

فقالوا : ما نعلم أحداً ، غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : ائته يا أبا الوليد .

فأتاه عُتبة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت .

ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك ، فقد عبدوا الآلهة التى عِبْتها .

وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك .

ما رأينا سَخْلة(١) أشأمَ على قومه منك .

فرّقت جماعتنا وشتّتَّ أمرَنا ، وفضحتنا فى العرب .

حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا ، وأن فى قريش كاهنا .

والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف ، حتى نتفانى .

---

(١) السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد . يريد : ما رأينا مولوداً أنحس على قومه منك .

أيها الرجل إن كان ما بك الباه فاختر أىَّ نساء قريش فلنزوجك عشرا ، وإن كان ما بك الحاجة ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرغت ؟ قال : نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حمٓ تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيراً ونذيراً » .

حتى قرأ : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ (سورة فصلت من ١ إلى ١٣) » .

فقال له عتبة : حسبك ، فما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش ، فقالوا له : ما وراءك ؟

قال : ما تركتُ شيئا ، أرى أن تكلموه به إلا وقد كلمته .

قالوا . فهل أجابك ؟ قال : نعم .

قال : لا والذى نَصَبها بَنِيَّة(١) ما فهمت مما قال غير أنه قال : « أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

قالوا : ويلك ! يكلِّمك بالعربية ، ولا تدرى ما يقول !

قال : والله ما فهمت شيئاً مما قال ، غير ذكر الصاعقة !

(١) بنية . يريد : الكعبة .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر ما أشار به الوليد على قريش فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن سعيد بن جُبَير ، أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ .

فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستَقْدُم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيُكَذِّبَ بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فَقُلْ وأقِمْ لنا رأياً ، نقل به .

قال : بل أنتم، فقولوا واسمعوا .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزَمْزَمَتهم ولا سَجْعهم .

قالوا : نقول إنه مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تَخَالُجِه ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول إنه شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه ، وهزجه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشاعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسِحرهم ، فما هو بنَفْثه ولا عَقْده .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعَذْق[1] وإن فرعه لجَنَاة[2] وما أنتم بقَائلين من هذا شيئاً ، إلا عُرف أنه باطل .

وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : هذا ساحر ، يفرِّق بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرّقوا عنه بذلك .

● عن عمرو ، أن الوليد بن المغيرة قال : قد سمعت الشعر ، رجزه وقريضه ، فما سمعت مثل هذا ، يعنى القرآن ، ما هو بشعر .

إن عليه لَطَلَاوة[3] وإن له لَنُوراً ، وإنه يعلو وما يُعلَى .

● عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال :

أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟

قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما نقوله[4] .

قال : قد علمت قريش ، أنى من أكثرها مالا .

---

(١) العذق : النخلة : يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى وفى الأصل : لمغدق . وهو تحريف والتصويب من ابن هشام .

(٢) الجناة : ما يجنى من الشجر .

(٣) أى : حسن وبهجة .

(٤) ابن كثير : تعرض لما قبله .

قال : فقل له قولا يَبلغ قومَك ، أنك مُنكِر لما قال ، وأنك كاره له .

قال : وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم أعلم بالأشعار منى .

والله مايشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله لَحَلاوةً وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمُثْمر أعلاه ، مُغْدِقٌ(١) أسفله ، وإنه ليَحْطِم ما تحته ، وإنه لَيعْلو وما يُعْلَى .

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه .

قال : فدعنى حتى أنظر إليه .

قال : فلما فكَّر قال : هذا سحر يؤثر . أى : يَأْثره(٢) عن غيره . فنزل فيه : « ذَرْنِى ومَنْ خلقتُ وحيداً »(٣) .

---

(١) مخصب . كما فى أساس البلاغة .

(٢) يأثره : يرويه .

(٣) سورة المدثر . الآية ــ ١١

الباب السادس والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يَرَى من قومه يَبْذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة [مما هم فيه][1] وجعلت قريش حين منعه الله منهم ، يحذِّرون الناسَ ومَنْ قدم عليهم من العرب .

وكان الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسى ، يحدِّث أنه قدم مكة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطُّفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيباً .

فقالوا له : يا طُفَيل ، إنك قدِمْت بلادَنا ، وهذا الرجل الذى بين أظْهُرِنا ، قد أعْضَلَ بنا ، وفرّق جماعتنا .

وإنما قوله كالسِّحر ، يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وزوجته .

وإنما نَخْشَى عليك وعلى قومك ، ما قد دخل علينا ، فلا تكلِّمه ولا تسمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بى ، حتى أجمعتُ على ألاّ أسمع منه شيئاً ولا أكلِّمه ، حتى حشوتُ أذنىَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً[2] ،

---

(١) من ابن هشام .   (٢) الكرسف : القطن .

فَرَقاً(١) من أن يَبْلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه .

قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلِّى عند الكعبة .

قال : فقمت قريباً منه ، فأبَىَ الله إلا أن يُسْمعنى بعضَ قوله .

قال : فسمعت كلاماً حَسَنا ، فقلت فى نفسى : واثُكْلَ أمى !

والله ، إنى لرجل لبيب شاعر مايَخْفَى علىَّ الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟

فإن كان الذى يأتى به حسنا ، قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته .

فاتبعته حتى دخلت عليه ، فقلت :

يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا . للذى قالوا .

فوالله ما برحوا يخوِّفوننى(٢) أمرَكَ حتى سدَدْتُ أذنى بكُرْسُف ، لئلا أسمع قولَكَ .

ثم أبىَ الله إلا أن يُسْمعنيه(٣) ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرض علىَّ أمرَكَ .

قال : فعرض علىَّ الإسلام وتلا علىَّ القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً قط ، أحسنَ ، ولا أمراً أعدلَ منه .

قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبى الله ، إنى امرؤ

---

(١) فرقاً . أى : خوفا . (٢) فى النسخ : يخنوننى . وهو تحريف .

(٣) ابن هشام : يسمعنى قولك .

مُطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لى آية ، لتكون لى عَوناً عليهم فيما أدعوهم إليه .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » .

قال : فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بِثَنِيَّة[1] تُطْلِعنى على الحاضر وقع نورٌ بين عينىَّ مثل المصباح .

قال : فقلت : اللهم اجعله فى غير وجهى ، فإنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَة وقعت فى وجهى ، لفراق دِينهم .

قال : فتحوَّل ، فوقع فى رأس سَوْطى .

فجعل الحاضرون يتراءَوْن ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلَّق ، وأنا أَنْهبطُ إليهم من الثَّنية .

قال : حتى جئتهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلتُ ، أتانى أبى وكان شيخاً كبيراً .

قال : فقلت : إليك عنى[2] يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منِّى .

قال : ولِمَ أى بنىَّ ؟

قال : قلت : أسلمتُ وبايعت محمداً صلى الله عليه وسلم[3] .

قال : أى بنى ، فدينى دينك [قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطهّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ماعلمت قال : فذهب][4] فاغتسلَ وطهَّر ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم .

---

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .

(٢) إليك عنى . أى : ابتعد عنى .

(٣) ابن هشام « وتابعت دين محمد » . (٤) مابين القوسين من ابن هشام .

قال : ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها : إليكِ عَنِّى ، فلستُ منك ولست منى .

قالت : ولم ، بأبى أنت وأمى ؟ !

قال : قلت : فرّق بينى وبينك الإسلام . فأسلمتْ(١) .

ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا علىّ .

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا نبى الله ، إنه قد غلبتنى دَوْس ، فادع الله عليهم .

قال : « اللهم اهدِ دوسا ، ارجع إلى قومك ، فادعهم ، وارفق بهم » .

قال : فرجعت فلم أزل بأرض دوس ، أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقضى(٢) بدراً ، وأُحُداً ، والخندق .

ثم قَدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس(٣) .

---

(١) اختصر ابن الجوزى هنا ، فلم يذكر ما دار بينه وبينها حتى أسلمت ، وهو مذكور فى ابن هشام جزء ٢ ص ٢٤ .

(٢) قضى . أى : انتهى من هذه الغزوات الثلاث .

(٣) لم يذكر المؤلف بقية خبر الطفيل حتى موته . وهو فى ابن هشام .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى طالب عند موته

● عن سعيد بن المسيِّب قال : لما احتضِر أبو طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا عم ، إنك أعظم الناس علىّ حقًّا ، وأحسنهم عندى يداً ، ولأَنْت أعظَمُ علىّ حقاً من والدى ، فقُلْ كلمةً تجِبْ لك بها الشفاعة يوم القيامة ، قل : لا إله إلا الله » .

فقالا له : أترْغَب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال : أنا على ملة عبد المطلب ومات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك .

فأنزل الله تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى » إلى قوله : « حليم »(١) .

● عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه : « قُلْ لا إله إلا الله ، أشهدْ لك بها عند الله يوم القيامة » .

---

(١) سورة التوبة ١١٣ ، ١١٤

فقال : لولا أن تُعيِّرنى قريشٌ فيقولون : إنما حَمَله على ذلك الجزَع ، لأقررْتُ بها عَيْنك .

فأنزل الله عز وجل : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ »(١) .

انفرد بإخراجه مسلم .

وهكذا رُوى لنا الجزَع ـ بالجيم والزاى ـ وأهل اللغة ينكرون ذلك . قال ثعلب : إنما الخَرَع ـ بالخاء والراء ـ وهو الضعف والخوَر .

● عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العُذْرى قال : قال أبو طالب :

يا ابن أخى ، لولا رهبة أن تقول قريش وهَرَنِى(٢) الجزَع ، فيكون سُبَّةً عليك وعلى بنى أبيك ، لفعلت الذى تقول ، وأقررت بها عينك ، لِمَا أرى من شكرك وَوَجْدك بى ، ونصيحتك لى .

ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ، ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اتبعتم أمرَه ، فاتَّبِعوه وأعينوه ، ترْشُدوا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ تأمرهم بها ، وتدَعها لنفسك ؟!

فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتنى الكلمة وأنا صحيح ، لبايعتك على الذى تقول .

ولكن أكره أن أَجْزَع عند الموت ، فترى قريش : أنى أخذتها جَزَعًا ، ورددْتها فى صحتى .

● عن علىّ قال : أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بموتِ أبى طالب فبكى ، ثم قال : « اذهب فاغسله وكفنه ، وادفنه غفر الله له ورحمه » .

---

(١) سورة القصص ٥٦ (٢) وهرنى : أضعفنى .

قال : ففعلت .

قال : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته ، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ » الآية .

قال علي : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت .

● عن علي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن عمك الشيخ الضَّال مات . قال : اذهب ، فوارِهِ ، ولا تُحْدث شيئاً حتى تأتيني .

فأتيته فقلت له ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي بدعوات ما يسرُّني ما عُرِض بهن من شيء .

● عن ابن عباس قال : عارضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جنازة أبي طالب فقال : وصَلَتْك رَحِمٌ ، وجزاك الله خيراً ، يا عم .

● عن العباس بن عبد المطلب قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يا رسول الله ، عمُّك أبو طالب ، كان يغضب لك ويمنعك ، هل ينفعه ذلك ؟

قال : نعم هو في ضَحْضاح من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدَّرك الأسفل من النار .

أخرجاه في الصحيحين .

● عن محمد بن كعب القُرَظي قال : بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه الذي قبض فيه قالت قريش :

يا أبا طالب ، أرسل إلى ابن أخيك ، فيرسل إليك من هذه الجنَّة ، التي يذكر ، بشيء يكون لك شفاء .

قال : فخرج الرسول حتى وجد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر معه جالس ، فقال :

يا محمد عمُّك يقول لك : يا ابن أخي ، إني كبير ضعيف سقيم ، فأرسل إليَّ مِنْ جَنَّتك هذه التي تَذْكر من طعامها وشرابها ، بشيء يكون لي فيه شفاء .

قال أبو بكر : إن الله حرَّمها على الكافرين .

فرجع إليهم فأخبرهم . فقال :

قد بلَّغت محمداً الذي أرسلتموني ، فلم يُجزْ لي شيئاً .

فقال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين ، فسكت محمد .

فحملوا أنفسهم عليه ، حتى يرسل رسولا من عنده ، فوجد الرسول في مجلسه . قال : فقال له مثل ذلك .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن الله حَرمها على الكافرين ، طعامها ، وشرابها .

ثم قام في أثر الرسول حتى دخل معه البيت ، فوجده مملوءاً رجالا فقال : خلُّوا عن عمي .

فقالوا : ما نحن بفاعلين ، وما أنت بأحق به منا ، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك .

فجلس إليه فقال : يا عم جُزيتَ خيراً ، كَفَلْتني صغيراً ، وحضنتني كبيراً ، فجُزيت عني خيراً يا عماه ، أعِنِّي على نفسك بكلمة واحدة ، أشفع لك بها عند الله يوم القيامة .

قال : وما هي يا ابن أخي ؟

قال : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال : إنك لى لَناصح ، والله لولا أن تُعيَّر(١) بها بعدى فيقال : جَزِع عمك عند الموت ، لأقررْتُ بها عينَك .

قال : فصاح القوم : يا أبا طالب ، أنت رأسُ الحنيفية ، ملة الأشياخ .

قال : أنا على ملة الأشياخ ، لا تحدِّث قريشٌ أن عمك جَزِع عند الموت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أزال أستغفر لك ربى ، حتى يَرُدَّنى .

فاستغفر له بعد ما مات .

فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ، ولذوى قرابتنا ، وقد استغفر إبراهيمُ لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه ؟ فاستغفروا للمشركين ، حتى نزلت الآية :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ »(١) حتى فرغ من الآية .

---

(١) فى الأصل (لولا تعير) وهو خطأ

(٢) سورة التوبة ١١٣

الباب الثامن والعشرون

في ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبي طالب وخديجة

● عن [عبد الله بن](١) ثعلبة بن صُعَير قال : لما توفى أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما شهر وخمسة أيام ، اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيتَه ، وأَقَلَّ الخروجَ ، ونالت منه قريش ، ما لم تكن تنال ولا تطمع [به](١) .

فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردتَ ، وما كنتَ صانعاً ، إذ كان أبو طالب حيًّا ، فاصنعه ، لا واللات ، لا يُوصل إليك حتى أموت .

وسبَّ ابنُ الغَيْطلة النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه فولّى يصيح : يا معشر قريش صَبَأَ أبو عتبة .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب ، فقال : ما فارقتُ دينَ عبد المطلب ، ولكن أمنع ابنَ أخي أن يُضَام ، حتى يمضى لما يريد .

فقالوا : قد أحسنتَ وأَجْمَلت ، ووصَلْت الرَّحم .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً كذلك ، يذهب ويأتى ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابُوا أبا لهب ، إذ(٢) جاء عُقْبة بن

---

(١) من طبقات ابن سعد ١/١٣١

(٢) ابن سعد : إلى أن جاء .

أبي مُعَيط وأبو جهل ، إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك ، أينَ مُدْخل أبيك ؟

فقال له أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه .

قال : فخرج أبو لهب إليهما ، فقال : قد سألتُه فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم ، أنه فى النار !

فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب ، دخل النار

فقال أبو لهب : والله لا بَرِحْتُ(٢) لك عدوًّا أبداً ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

فاشتد عليه ، وسائرُ قريش .

● عن محمد بن جبير بن مُطْعم قال : لما توفى أبو طالب ، تناولت(٣) قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

---

(١) الأصل : لا رحت . وهو تحريف . والتصويب من طبقات ابن سعد : ١/١٣١

(٢) قوله « تناولت الخ » كذا فى الأصل ، يريد أن قريشاً نالت من رسول الله من الأذى ما لم تكن تقدر عليه فى حياة أبي طالب فكان الأجدر أن يعبر المؤلف بـ « نالت » التى هى بمعنى « آذت » لأن « تناولت » لا تدل على هذا المعنى .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه إلى الطائف

● عن محمد بن جبير بن مطعم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد موت أبى طالب ، إلى الطائف . ومعه زيد بن حارثة ، وذلك فى ليال [بَقِين](١) من شوال سنة عشر .

قال محمد بن عمر ، بغير هذا الإسناد : فأقام بالطائف عشرة أيام .

وقال غيره : شهراً . لا يَدَع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمه .

فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، اخرج من بلدنا والْحَقْ بمَحَابِّك من الأرض .

وأغْرَوْا به سفهاءهم ، فجعلوا يرجمونه بالحجارة ، حتى إن رجليه لتَدْميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجاجا .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وهو محزون .

فلما نزل نخلةَ ، قام يصلى من الليل ، فانصرف(٢) إليه سبعة نفر من الجن ، أهل نَصِيبِين ، فاستمعوا ، فأقام بنخلة أياما ، ثم أراد الدخول .

فقال له زيد : وكيف تدخل عليهم ، وهم قد أخرجوك ؟ فأخرجَ رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى : أدخلُ فى جوارك ؟ قال : نعم .

---

(١) من ابن سعد .

(٢) ابن سعد : فصرف .

• وقال محمد بن كعب القُرظى : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثَقِيف ، هم سادة ثقيف وأشرافهم يومئذ ، وهم إخوة ثلاثة ، عَبْد يا لَيل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو ابن عمير .

فجلس إليهم ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وكلمهم بما جاء له ، من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

فقال أحدهم : هو يَمْرُط[1] ثيابَ الكعبة ، إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أمَا وجد الله رسولا يرسله غيرك !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، إن كنت رسولا كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام .

وإن كنت تكْذب على الله ، ما ينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خَير ثقيف[2] .

[وقال لهم : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عنى .

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئرهم[3] ذلك عليه . فلم يفعلوا] .

---

(١) يمرط . أى : ينزعه ويرمى به .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام .

(٣) يذئرهم عليه : يثيرهم ويجرئهم .

وقال عبيد بن الأبرص :

[وَلَقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا]

وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبُّونه ويصيحون به ، حتى اجتمعت عليه الناس ، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة][1] وهما فيه ، ورجَع عنه من سفهاء ثقيف ، مَن كان يتبعه .

فعمد إلى حُبْلةٍ[2] من عنب ، فجلس فى ظلها ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقِى من سفهاء ثقيف .

فلما اطمأن قال ، فيما ذكر لى : « اللهم إنى أشكو إليك ضَعْفَ قوّتى ، وقلّةَ حيلتى ، وهوانى على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعَفين ، وأنت ربى ، إلى من تَكلنى ؟ ! إلى بعيد يتجهَّمنى أو إلى عدو ملّكته أمرى[3] ، إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبَالى ، ولكن عافيتك هى أوسَعُ لى .

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبَك ، أو تَحُلَّ علىّ سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأى ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، ما لقِى ، دعَوا غلاماً لهما نصرانيا يقال له « عَدّاس » فقالا له :

خذ قِطْفاً من هذا العنب ، فضعه فى ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له : يأكل منه .

ففعل ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

(٢) قال فى القاموس : الحبلة بالضم : الكرم ، أو أصل من أصوله .

(٣) رواية المواهب ١/٣٠٤ : « إلى عدو بعيد يتجهمنى ، أم إلى صديق قريب ملكته أمرى » ومعنى يتجهمنى : يلقانى بالغلظة والوجه الكريه .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : « بسم الله » ثم أكل .

فنظر عَدّاس إلى وجهه . ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد(١) .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت ، وما دينك ؟

قال : أنا نصرانى(٢) ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية (٣) الرجل الصالح «يونس ابن مَتَّى ؟ » .

قال له : وما يدريك ، ما يونس بن مَتَّى ؟

قال : ذاك أخى كان نبيًّا وأنا نبىٌّ .

فأكبَّ عدّاسٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبَّل رأسه ويديه ورجليه .

قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمَّا غلامُك ، فقد أفسدَه عليك .

فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عداس ، مالك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ !

قال : يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل ! لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى .

---

(١) فى ابن هشام : هذه البلاد .
(٢) الأصل : أنا يتيم أبى . وهو تحريف .
(٣) الأصل : من ذرية . وهو تحريف .

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أُخِفتُ في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيتُ في الله ، وما يؤذَى أحد ، ولقد أتَتْ عليَّ ثلاثون مِن بَيْن يوم وليلة ، ومالِي طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبطُ بلال » .

قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

ومعناه : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج فاراً[1] من مكة ومعه بلال ، إنما كان مع بلال من الطعام ، ما يُحمل تحت إبطه .

---

(١) قوله : فاراً الخ تعبير غير صحيح ، وغير لائق بالجناب النبوى ، وخروجه لم يكن للفرار بل لنشر الدعوة ، وهو صلى الله عليه وسلم أعظم قدراً وأعلى مقاماً من أن يوصف بالفرار وهو الذى امتلأ قلبه شجاعة وقوة بالله . فلا يليق أن نطلق أمثال هذه الكلمات على مقامه الرفيع .

الباب الثلاثون

فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لما رجع من الطائف

لمَّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الطائف أرسل إلى الأخْنَس ابن شَرِيق . فقال : هل أنت مُجِيرى حتى أبلِّغ رسالة ربى ؟

فقال الأخنس : إن الحليف لا يجير على الصَّرِيح .

فقال للرسول : إيت سُهَيل بن عمرو فقل له :

إن محمداً يقول لك هل أنت مُجِيرى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى ؟ فأتاه .

فقال له ذلك [، فقال :](١) إن بنى عامر بن لؤى ، لا تجير على بنى كعب .

قال : فرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال :

إيت المُطْعِم بن عَدىّ . فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مُجيرى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى ؟

قال : نعم ، فليَدْخل .

فرجع إليه فأخبره .

وأصبح المطعم بن عدى قد لبس سلاحه ، هو وبنوه ، وبنو أخيه ، فدخل المسجد .

---

(١) من تاريخ الطبرى .

فلما رآه أبو جهل قال : أمجيرٌ أم تابع ؟

قال : بل مجير .

قال : أجَرْنا من أجرتَ .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهى إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مُطيفون به .

● عن محمد جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو كان المطعم بن عَدى حيًّا ، فكلَّمنى فى هؤلاء النَّتْنَى ، يعنى أسارى بدر ، لأَطْلَقْتهم له » .

الباب الحادي والثلاثون

في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في المواسم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفُ في المواسم على القبائل فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً .

فكان يمشي خلفَه أبو لهب ويقول : لا تطيعوه .

وأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كِنْدةَ في منازلهم فلم يقبلوا منه .

وأتى بني حَنيفة في منازلهم ، فردُّوا عليه أقبحَ رَدٍّ .

وأتى عامرَ بن صَعْصعة .

وكان لا يدَعُ من العرب من له اسمٌ وشرَف إلا دعاه وعرَض عليه ما عنده .

● وقال جابر بن عبد الله : مكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين ، يتَّبع الناسَ في منازلهم بعكاظ ، ومِجَنَّة وفي المواسم يقول : من يؤويني من ينصرني ؟

● عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف ويقول : ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلامَ ربي .

فصـــل

ربما عَرَض للمحد أو قليل الإيمان فقال : ما وَجْه احتياج الرسول أن يدخل فى خفارة كافر ، وأن يقول فى المواسم : من يؤوينى ؟

فلو كان أمره حقًّا كان مُرْسِلُه ينصره .

فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئاً إلا لحكمة .

فإذا خفيت حكمةُ فِعْله عنا ، وجب علينا التسليم له .

وما جرى للرسول ، إنما صدَر عن الحكيم الذى أقام قوانينَ الكلِّيات ، وأدار الأفلاك ، وأجرى المياه وأرسل الرياح ، بتدبير مُحْكَمٍ ، لا خلل فيه .

فإذا رأينا رسوله يشدُّ الحَجَر من الجوع ، ويُقْهَرُ ويُؤْذَى ، علمنا أن تحت ذلك حِكَمًا ، إن تلمَّحْنا بعضها ، لاحت من خلال سُجُف البلاء حكمتان :

إحداهما : اختبار المبتَلَى ليَسْكن قلبُه إلى الرضاء بالبلاء ، فيؤدِّى القلبُ ما كلِّف من ذلك .

والثانية : بثُّ الشبهة فى خِلَال الحجج، لِيُثَابَ المجتهد فى دفع الشُّبَه(١).

---

(١) إن الابتلاء سنة لا تبدل فى حياة كل الأنبياء ، وهو لا يحتاج إلى هذا التكلف فى التأويل ، فهو قانون ثابت .

الباب الثاني والثلاثون

فى ذكر ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأنصار سنة إحدى عشرة من النبوة

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم يَعْرِض نفسَه على القبائل كما كان يصنع فى كل موسم .

فبَيْنا هو عند العَقَبة لقى رهطاً من الخزرج ، فقال : من أنتم ؟

قالوا : من الخزرج .

قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

وكان قدماؤهم ، يسمعون أنه سيظهر نبى من بنى غالب .

عن ابن جُميع(١) قال : لما حضرت أوسَ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر الوفاةُ ، قالوا له :

قد كنا نأمرك بالتزويج فى شبابك فتأبى .

وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين ، وليس لك غير مالك .

---

(١) الخبر مروى عن جابر بن جدان بن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين ابن السموأل بن عاديا ، وقد نقله ابن كثير عن الخرائطى فى سيرته ١/ ٣٣٩ . وقد اختصره ابن الجوزى .

فقال : لن يهلك هالك ترَكَ مثلَ مالك . وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ لِلهِ دَعْوَةً يفُوزُ بهَا أَهْلُ السَّعادَةِ وَالبِرِّ
إِذَا بُعِثَ المبعوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمزَمَ والحِجْرِ
هُنَالِكَ فَابغُوا نَصْرَهُ بِبِلَادِكُمْ بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

وكان أولئك الذين عرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون من اليهود ، أنه قد أظلّ زمانُ نبي .

فلما كلّمهم قال بعضهم لبعض : والله إنه لَلنَّبِيُّ الذى تَعِدكم يهودُ ، فلا يسبقُنَّكُمْ إليه .

فأجابوه ، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا .

وكانوا ستة نفر : أسعد بن زُرَارة ، وعوف بن عَفْراء ، ورافع بن مالك ، وقُطْبة بنى عامر [، وعُقْبة بن عامر](١) وجابر بن عبد الله ابن رِئاب .

فلما قدموا المدينةَ على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم .

فلما كان من العام المقبل ، قدم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقَبة ، منهم الستة الذين تقدم ذِكرهم ، سوى جابر ، ومُعاذ بن عَفْراء ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعُبَادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، وعباس ابن عبادة ، وعُوَيم بن ساعدة ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان(٢) .

فبايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من المواهب وابن هشام .

(٢) قال الزرقانى : ياؤه مخففة عند أهل الحجاز ، مشددة عند غيرهم .

● قال عُبَادة بن الصامت : بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقَبة ، ونحن اثنا عشر رجلا ، أنا أحدُهم .

فبايعناه بيعةَ النساء ، على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادَنا ، ولا نأتى ببهتان ، نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف . وذلك قبل أن تُفْرَض الحرب(١) .

فإن وفيتم بذلك ، فلكم الجنة ، وإن غشيتم شيئاً ، فأمرُكم إلى الله ، فإن شاء غفر ، وإن شاء عذَّب .

فلما انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معهم ، مُصْعَبَ ابن عُمَير إلى المدينة ، يفقِّه أهلها ، ويقرئهم القرآن .

فأسلم خَلْقٌ كثير .

---

(١) قال الزرقانى : والذى دلت عليه الأحاديث أن البيعة ثلاث : العقبة ، وكانت قبل فرض الحرب ، والثانية بعد الحرب على عدم الفرار ، والثالثة على نظير بيعة النساء .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدى عن رجاله : كان المَسْرَى ليلة السبت ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى السنة الثانية عشرة من المبعث ، قبلَ الهجرة ، بثمانية عشر شهراً .

وَرَوَى أيضاً عن أشياخ له قالوا : أُسْرِىَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة ، من ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة .

وهذا قول ابن عباس وعائشة .

• وسمعتُ شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول :

قال قوم : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة .

وقال آخرون : قبل الهجرة بستة أشهر .

فمن قال لِسَنة ، فيكون ذلك فى ربيع الأول .

ومن قال لثمانية أشهر ، فيكون ذلك فى رجب .

ومن قال لستة أشهر ، فيكون ذلك فى رمضان .

قلت : وقد كان فى ليلة سبع وعشرين من رجب .

• عن أنس بن مالك أن مالك بن صَعْصَعة حدّثه ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

بينما أنا فى الحطِيم ، وربما قال قتادة : فى الحِجْرِ ، مضطجع ، إذ أتانى آتٍ ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة .

قال : فأتانى فقَدَّ ، وسمعت قتادة يقول : فشقَّ ما بين هذه إلى هذه .

قال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعنى به ؟

قال : من ثغرة نَحْره إلى شعرته . وقد سمعته يقول : من قَصّه إلى شعرته .

قال : فاستخرج قلبى . قال : فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبى ، ثم حُشِىَ ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة ، دونَ البغل ، وفوق الحمار ، أبيض .

قال الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟ .

قال : نعم ، يضع خطوَه عند أقصى طرفه .

قال : فحملت عليه . قال : فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا .

فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أوَ قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونِعْمَ المجىء جاء .

قال : ففتح ، فلما خلُصت ، إذا فيها آدم .

قال : هذا أبوكَ آدم ، فسلِّم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل: ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أوَ قد أُرسل إليه ؟ [قال : نعم] .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجىء جاء : قال : ففتح .

فلما خلصت إذا بيحيي وعيسى ، وهما ابنا الخالة .

قال : هذا يحيي وعيسى ، فسلِّم عليهما .

فسلَّمت فردَّا السلام ، ثم قالا : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلِّم عليه .

قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل(١) : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، إذا إدريس عليه السلام ، قال : هذا إدريس ، فسلِّم عليه .

قال : فسلَّمت عليه ، فردَّ السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

---

(١) الأصل : « قال » وهو خطأ وما أثبته من البخاري .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون ، فسلِّم عليه .

فسلَّمت عليه ، فرد السلام وقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟
قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء .

فلما خلصت ، إذا موسى عليه السلام .

قيل : هذا موسى ، فسلِّم عليه .

فسلَّمت عليه ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح .

فلما تجاوزتُ بكى .

فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : غلام بُعِثَ بعدى ، يدخل الجنة من أمته ، أكثرُ مما يدخل من أمتى !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فاستفتح :

فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد .

قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم :

قيل : مرحباً به ، ونعم المجيء جاء . قال : ففتح .

فلما خلصت إذا إبراهيم ، فقال : هذا إبراهيم ، فسلِّم عليه .

فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

قال : ثم رُفعت لى سِدْرة المنتهى ، فإذا نَبِقها مثل قِلاَل هَجَر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة .

قال : وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران .

[فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال :](١) .

أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور .

قال قَتادة : وحدثنا الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيتَ المعمور ، يدخله كلَّ يوم ، سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون فيه .

ثم رجع إلى حديث أنس . قال :

ثم أُتِيتُ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل .

قال : فأخذتُ اللبن ، قال : هذه الفطرة ، أنت عليها وأمتُك .

قال : ثم فرضت علىّ خمسون صلاة كل يوم .

قال : فرجعت ، فمررت على موسى فقال : بما أُمرت ؟

قلت : أُمرتُ بخمسين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة ، وإنى قد خبرت(٢) الناس قبلَك ، وعالجت بنى إسرائيل ، أشدَّ المعالجة ، فارجع إلى ربك ، فسَلْه التخفيف لأمتك .

---

(١) من صحيح البخارى . (٢) البخارى : وإنى والله قد جربت الناس قبلك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشراً .

فرجعت إلى موسى قال : بم أُمرت ؟

قلت : بأربعين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت ، فوضع عنى عشراً آخر .

فرجعت إلى موسى فقال : بم أُمرت ؟

قلت : أُمرت بثلاثين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع اثلاثين صلاة كل يوم .

وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسَله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فوضع عنى عشراً آخر .

فرجعت إلى موسى ، قال : بم أُمرت ؟

قلت : أُمرت بعشرين صلاة كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم :

وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، فارجع إلى ربك فسَله التخفيف .

قال : فرجعت ، فَأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم .

قال : إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم :

قال : إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة .

فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك .

قال : قلت : قد سألت ربى حتى استحييت ، ولكنى أرضى وأسلّم .

فلما نفذت(١) نادى منادٍ : قد أمضيتُ فريضتى ، وخففت عن عبادى .

• عن جابر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى [قمت فى الحِجْر فجلا الله لى بيتَ المقدس(٢)] .

فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

أخرجاها .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لما كان ليلة أسرى بى ، فأصبحت بمكة ، فَظِعْتُ بأمرى(٣) ، وعرفت أن الناس مكذّبىّ .

قال : فقعدت معتزلاً حزيناً .

فمرّ به أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟

قال : إنى أسرى بى الليلة .

---

(١) البخارى : فلما جاوزت .

(٢) سقطت من الأصل وأثبتها من البخارى . (٣) مسند أحمد : أمرى .

قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس .

قال : ثم أصبحتَ بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .

قال : فلم يُرِه أنه مكذِّبُه مخافةَ أن يَجْحده الحديثَ إن دعا قومَه إليه .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ قومك ، أتحدثهم ما حدثتنى ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم .

قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى .

حتى انتقضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما .

فقال : حدِّث قومَك بما حدثتنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أُسرى بى الليلة .

قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس :

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم .

قال : فمِنْ بَيْن مصفِّق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً ، للكذب ،

ثم قالوا : أو تستطيع أن تَنْعت لنا المسجدَ ؟

وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فما زلت أنعت حتى التبس علىَّ[1] بعضُ النعت . قال :

فجِىء بالمسجد ، وأنا أنظر حتى وضع دون دار عُقيل أو عقال .

فنعتُّه وأنا أنظر إليه .

فقال القوم : أمَّا النعت ، فقد والله ، أصاب .

وقد رَوى حديثَ المعراج والإسراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الأصل : إلى . وما أثبته من المسند .

جماعة ، منهم : ابن مسعود ، وعلى ، وأبو ذر ، وأبىّ ، وحذيفة ، وأبو سعيد ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وأم هانئ .

وقد ذكرنا فى حديث أنس بن مالك ، من رواية شريك عنه ، وفى رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أنه قال : « رجعت إلى ربى فحطّ عنى خمساً ولم أزل أراجع بين ربى وبين موسى ، ويحط عنى خمساً خمساً » .

وهذا من أفراد مسلم .

والأول أصح ، لأنه قد اتفق البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك .

ومن حديث أنس عن نفسه ، أنه حط عشراً .

فهذه الرواية التى فيها « فحطَّ خمساً خمساً » غلط من الراوى .

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أُسرى بى أتانى جبريل بالبراق مُسَرجاً ملجماً ، فذهبت لأركبه ، فاستصعب علىّ .

فقال جبريل : أبمحمد تفعل هذا ؟ والله ما ركبك نبى أكرم منه على الله تعالى .

فارفضَّ البراقُ عرَقاً .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فى العقبة الثانية فى سنة ثلاث عشرة من النبوة

● عن كعب بن مالك قال : خرجنا فى حجاج قومنا حتى قدمنا مكة ، وواعَدْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم العَقَبة من أواسط أيام التشريق .

وكان معنا عبد الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر ، وكنا نكتم من معنا مِن قومنا من المشركين أمرَ نا ، فكلمناه وقلنا :

يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه ، أن تكون حَطباً للنار غداً . ثم دعوناه[١] إلى الإسلام وأخبرناه[١] بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَسْلَمَ ، وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا

فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِين تَسَلُّلَ القَطا .

حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقبة ، ونحن سبعون رجلا ، ومعهم

---

(١) الأصل : دعوته وأخبرته. وهو تحريف .

امرأتان ، نُسَيْبة(١) بنت كعب ، أم عُمارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدِى .

فاجتمعنا فى الشِّعب ، ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وهو على دين قومه يومئذ ، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمرَ ابن أخيه ويتوثق له .

فلما جلس [قال : يا معشر الخزرج ، قال : وكانت العرب إنما يُسمون](٢) ، هذا الحىَّ من الأنصار الخزرج ، أوسها وخزرجها : إن محمداً منَّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عزٍّ من قومه ومَنَعة فى بلده ، وقد أبَى إلا الانقطاع إليكم .

فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك .

وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه وخاذلوه ، فمن الآن فدَعُوه فى عزٍّ ومنعة من قومه .

فقلنا : قد سمعنا ما قلت .

فتكلَّمْ يا رسول الله ، وخُذْ لنفسك وربك ما أحببت .

فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى الإسلام . ثم قال :

---

(١) نسيبة هى امرأة زيد بن عاصم من النساء المثاليات التى ضربت الرقم القياسى الأعلى فى البطولة ، فقد كان لها الموقف المشرف فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد .

شهدت بيعة العقبة الثانية وبيعة الرضوان كما شهدت يوم اليمامة وباشرت القتال بنفسها وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلمة الكذاب فقطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحا ثم عاشت بعد ذلك دهراً .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من ابن هشام .

أبايعكم على أن تمنعونى ، مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده ثم قال : والذى بعثك بالحق نبيًّا ، لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا(١).

فَبايِعنَا يا رسول الله، فنحن أهل الحرب وأهل الحَلْقة(٢) ورثناها كابراً عن كابر .

فاعترض القومَ أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال :

يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها ، يعنى العهود .

فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك ، وتَدَعنا .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بل الدمَ الدمَ والهَدْم الهدم .

أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

وقال : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم(٣) .

فأخرجوا اثنى عشر نقيبا ، تسعةً من الخزرج ، وثلاثةً من الأوس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مَعْبد فى حديثه عن أبيه كعب قال :

كان أولَ مَن ضَرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم : البَراء ابن مَعْرور ، ثم تتابع الناس(٤) :

---

(١) أزرنا : نساءنا . والعرب تكنى عن المرأة بالإزار ، وتكنى أيضاً بالإزار عن النفس :

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) ابن هشام : ليكونوا على قومهم بما فيهم .

(٤) ابن هشام : ثم بايع بعد القوم .

فلما بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، خرج الشيطان من رأس العقبة بأبعد[١] صوت سمعته قط : يا أهل الجَبَاجب . والجباجب : المنازل .

هل لـكم فى مُذَمَّم والصُّباة[٢] معه ، قد أجمعوا على حربكم :

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا أَزَبُّ العقَبة ، أىْ عدو الله ، أمَا والله لأَفْرُغَنَّ لك .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجعوا إلى رحالـكم .

فقال له العباس بن عُبادة : والذى بعثك بالحق ، إن شئتَ لنميلنّ غداً على أهلِ منًى بأسيافنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لم أومَرْ بذلك .

فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدَتْ علينا جِلَّةُ قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا :

يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنـكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا ، أن تَنْشَبَ الحربُ بيننا وبينهم منـكم .

قال : فانبعث مَنْ هنالك من مشركى قومنا ، يحلفون بالله ، ما كان من هذا شىء وما علمنا .

وقد صَدَقوا ، لم يعلموا ما كان منا . قال : فبعضنا ينظر إلى بعض .

● عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الموسم :

---

(١) ابن هشام : بأنفذ .

(٢) الصباة : جمع صابىء . وتروى : والصباه .

من يؤوينى ؟ .

حتى بعثنا الله من يثرب ، فآويناه وصدقناه ، ثم قلنا :

حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ !

فرحل منا سبعون ، حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدنا شِعب العقبة ، فاجتمعنا عنده فقلنا : يا رسول الله علام نبايعك ؟

فقال : تبايعونى على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله ، لا تخافون لومةَ لائم ، وعلى أن تنصرونى ، فتمنعونى إذا قدمْتُ عليكم ، مما تَمْنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم ، ولكم الجنة .

فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زُرَارة ، وهو من أصغرهم وقال :

رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب أكبادَ الإبل ، إلا ونحن نعلم أنه رسولُ الله ، وأن إخراجه اليوم ، مفارقةُ العرب كافةً ، وقتلُ خياركم ، وأن تَعَضّكم السيوفُ . فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك ، وأجرُكم على الله .

وإما أنتم قوم ، تخافون من أنفسكم جُبْنَةً(١) فتَبَيّنوا(٢) فهو أعذرُ لكم عند الله .

فقالوا : أمِطْ عنايا أسعد ، فوالله لا نَدعُ هذه البيعة أبداً ولا نَسْلُبها أبداً . فقمنا فبايعناه ، فأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة(٣) .

---

(١) جبنة : جبناً .

(٢) المسند : فبينوا . أى : كونوا على بصيرة وروية من أمركم .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، باختلاف يسير ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة . ولم يخرجاه .

وقال الحافظ ابن كثير فى سيرته : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

الباب الخامس والثلاثون

فى علم قريش ما جرى للأنصار ، وما تشاوروا أن يفعلوا فى ذلك

قال كعب بن مالك : لما تفرّق الناس من منًى وتنطَّس(١) القومُ الخبرَ ، وجدوه قد كان .

فخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعدَ بن عبادة فى أَذَاخِرِ ، والمنذرَ ابن عمرو .

فأما المنذر ، فأعجز القومَ .

وأخذوا سعدا ، فربطوا يديه إلى عنقه ، ثم أقبلوا به إلى مكة .

فجاء جبير بن مطعم والحارث بن أمية . فقالا :

قد كان يُجِيز تجارتنا . فخلَّصاه .

قال ابن إسحاق : وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة ، فخرجوا أرسالا(٢) ، وأقام ينتظر أن يُؤْذَن له ، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين إلا [من] أُخذ وفتن(٣) سوى أبى بكر وعلىّ .

وكان أبو بكر يستأذنه فى الخروج فيقول : لا تَعْجَل .

---

(١) تنطس القوم الخبر : أكثروا البحث عنه .

(٢) أرسالا . أى : جماعات جماعات .

(٣) ابن إسحاق : إلا من حبس أو فتن .

فلما علم المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا داراً تَمنع ، علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج إليهم .

فاجتمعوا فى دار الندوة ، يتشاورون فى أمره .

ودار النَّدوة ، هى دار قُصَى بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها .

فدخلوا يتشاورون ما يصنعون .

قال ابن إسحاق : وحدثنى [من لا أتّهم من أصحابنا ، عن عبد الله](١) ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال :

لما اجتمعوا لذلك ، اعترضهم إبليس ، فى هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار .

فقالوا : من الشيخ ؟

قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذى اتَّعَدْتم له ، فحضر معكم ، وعسى أن لا يَعْدمكم منه رَأْيٌ ونصح .

فقالوا : ادخل . فدخل معهم وقد اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان .

وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه ، فأجمِعو فيه رأياً .

فقال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ، لخرج أمرُه من وراء الباب إلى أصحابه ، فوثبوا ، فانتزعوه من أيديكم .

---

(١) سقطت من الأصل وأثبتها من ابن هشام .

فقال قائل : نخرجه من بين أظهرنا .

فقال النجدى : والله ما هذا برأيٍ . ألم تروا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟

ولو فعلتم ذلك ما أمنت[1] أن يحل على حيٍّ من العرب فيتغلب عليهم بقوله حتى يبايعوه ثم يسير بهم إليكم .

فقال أبو جهل : والله ، إن لى فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعدُ .

قالوا : ما هو ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جَلْدًا نَسِيباً وسيطاً[2] .

ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمِدون ، فيضربونه ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح .

فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرّق دمه فى القبائل كلها ، فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعَقْل[3] فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدى : القولُ ما قال هذا الرجل ، لا أرى لكم غيره .

فتفرق القوم على ذلك .

فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال :

لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك ، الذى كنت تبيت عليه .

فلما كانت العَتمةُ ، اجتمعوا على بابه ، ثم ترصَّدوه متى ينام ، فَيَثِبُون عليه .

---

(١) ابن هشام : ما أمنتم .　　(٢) وسيطا : شريفا .

(٣) العقل : الدية .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب :

نَمْ عَلَى فراشى ، وتَسجَّ[1] ببُرْدى الحضْرَمى الأخضر ، فإنه لا يَخْلص[2] إليك شىء تكرهه منهم .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ينام فى برده ذلك .

● عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ (الأنفال ٣٠) »[3] .

قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم :

إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق .

وقال بعضهم : بل اقتلوه .

وقال بعضهم بل : أخرجوه .

فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك .

فبات علىٌّ[4] عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة .

وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار .

وبات المشركون ، يحرسون عليًّا ، يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما أصبحوا ، ثاروا إليه ، فلما رأوه عليًّا ، ردَّ الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك ؟

---

(١) تسج : تغط . (٢) لا يخاص : لا يصل .

(٣) ليثبتوك : أى ليجرحوك جراحة لا تقوم معها اه من المختار من الصحاح .

(٤) وبذلك كان على أول فدائى فى الإسلام وأشجع الصحابة أجمع .

قال : لا أدرى .

فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، اختلط عليهم ، فصعدوا فى الجبل .

فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا ، لم يكن نسج العنكبوت .

فمكث فيه ثلاث ليال .

● وقال محمد بن كعب القرظى : اجتمعوا على بابه .

فخرج ، وأخذ حفنةً من تراب ، فنثرها على رءوسهم فلم يروه وقرأ : « وجعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيديهم سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِم سَدًّا فأغشيناهم فهم لا يُبْصِرون (سورة يس الآية ٩) » ثم انصرف حيث أراد .

فأتاهم آتٍ ، ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا .

قال : والله قد خرج عليكم محمد .

فجعلوا يطَّلعون ، فيرون عليًّا عليه السلام ، عليه بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : هذا محمد عليه بُرْده . فأقام إلى الصباح .

قال على : فقمت عن الفراش فرأونى .

● قال الواقدى عن أشياخه : إن الذين كانوا ينتظرونه : أبو جهل ، والحكم بن أبى العاص ، وعُقبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضر بن الحارث ، وأمية ابن خلَف ، وابن الغَيْطلة ، وزَمعة بن الأسود ، وطعمة بن عدى ، وأبو لهب ، وأُبَىّ بن خَلَف ، ونبيه ومنبّه ، ابنا الحجاج .



أبوابُ هجرتِه صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ إلى المدينةِ



الباب الأول

فى ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار

● عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : بَيْنا نحن جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى حَرِّ الظهيرة قال قائل لأبى بكر .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنِّعاً فى ساعة لم يكن يأتينا فيها .

قال أبو بكر : فداء له ، أبى وأمى ، ما جاء به فى هذه الساعة ، إلا أمرٌ .

قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنَ ، فأذِن له .

فدخل فقال لأبى بكر : أَخْرِج مَنْ عندك .

فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك يا رسول الله .

قال : فإنى قد أُذن لى فى الخروج .

فقال أبو بكر : الصُّحْبَةَ ، بأبى أنت ، يا رسول الله .

قال : نعم .

قال : فخُذ إحدى راحلتىَّ هاتين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحبَّ الجهاز ، ووضعنا لهما سُفْرة فى جراب .

فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به فم الجراب ، فبذلك سمِّيت ذات النطاقين .

قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، بغارٍ فى جبل ثَوْر فمكثنا (١) فيه ثلاثَ ليال .

يبيت عندهما عبدُ الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ (٢) لَقِنٌ (٣).

فيُدْلِج (٤) مِن عندهما بسَحَر ، فيصبح مع قريش كبائتٍ .

فلا يسمع أمراً يُكَادان به ، إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك ، حين يختلط الظلام .

ويرعَى عليهما عامرُ بن فُهيرة ، مَوْلى أبى بكر ، مِنْحَةً من غَنَم ، فيُرِيحها (٥) عليهما ، حتى تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رِسْل وهو

---

(١) البخارى : فمكثنا .

(٢) ثَقِفٌ ، أى : حاذق ، خفيف فَطِن .

قال فى الصحاح : ثَقُفَ الرجل ثقفاً وثقافة ، أى صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ مثل ضَخُمَ فهو ضَخْمٌ ، ومنه : المثاقفة وثَقِف أيضاً ثَقَفاً مثل تَعِبَ تَعَباً لغة فى ثَقُفَ ، أى صار حاذِقاً فَطِناً فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ مثال حَذِرٍ وحَذُرٍ ومثله فى القاموس إلا أنه زاد ثَقَفاً بفتح الحروف كلها ويتمشى هذا الوزن إذا كان الفعل (ثَقُفَ) من الباب الرابع كفرح ، والخلاصة أن ثقف إن كان من الباب الخامس كضخم يضخم فالوصف منه ثَقْفٌ مثل ضَخْم وإن كان من الباب الرابع مثل فرح يفرح فالوصف منه ثَقِف مثل حَذِر وفَرِح .

(٣) قال فى الصحاح : لَقِنٌ : سريع الفهم . والاسم : اللَّقانه ، وفى القاموس : اللَّقْن واللَّقَانة واللَّقَانية : سرعة الفهم . لَقِن كفرح فهو لَقِنٌ وألْقَنَ : حفظ بالعجلة . اهـ .

(٤) فيدلج : أى يعود ليلا من عندهما وقت السحر .

(٥) أى : فيذهب إليهما بالغنم ليلا .

لبن مِنْحتهما ، حتى يَنْعق بها عامر بن فُهَيرة بغلَس(١) ، يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر [رجلا](٢) من بنى الدِّيل، وهو على دين كفار قريش فأمّناه ، ودفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما(٣) .

● وقد روينا عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر لمّا أراد أن يخرج ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى جبل ثور .

● وروى الواقدى عن أشياخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمنزل أبى بكر إلى الليل ، ثم خرجا إلى الغار .

وكان خروجهما وقد بقى من صفر ثلاث ليال .

---

(١) أى : ظلام الليل .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من صحيح البخارى .

(٣) الحديث جزء من رواية البخارى فى صحيحه ٢ / ١٩١

البابُ الثانى

فى ذكر ما جرى فى الغار

● عن أنس أن أبا بكر حدّثه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا .

فقال : يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين ، الله ثالثهما !

أخرجاه فى الصحيحين .

● عن أنس قال : لما كانت ليلةُ الغار قال أبو بكر : يا رسولَ الله دَعْنى أدخل قَبْلك ، فإن كان فيه [شىء] كان بى قَبْلك . قال : ادخل .

فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى جُحراً ، قال بثوبه ، فشقَّهُ ، ثم ألقمه الجحر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع . قال : فبقى جحر فوضع عَقِبَه عليه .

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أين ثوبك يا أبا بكر ؟

فأخبره بالذى صنع ، فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه فقال :

اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة .

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجيب لك .

● عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لَليلة من أبى بكر ويوم ، خير من آل عمر .

هل لك بأن أحدثك بليلته ويومه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين حدِّثني .

قال : أمَّا ليلته ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً من أهل مكة خرج ليلا ، فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشي مرة أمامه ، ومرة خَلْفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن شماله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا مِن فعلك .

فقال : يارسول الله ، أذكر الرَّصَد ، فأكون أمامك ، وأذكر الطلَب ، فأكون خَلْفك ، ومن عن يمينك ، وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال : فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه ، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حمله على كاهله(١) وجعل يشتد به حتى أتى به الغار فأنزله .

ثم قال : والذي بعثك بالحق ، لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء ، نزل بي قبلَك ، ففعل ، ولم ير شيئاً ، فحمله وأدخله .

وكان في الغار خرق ، فيه حيات وأفاع .

فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء فيؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فألقمه قدَمه .

فجَعَلْن يضربنه ويلسعنه — الحيات والأفاعي — وجعلت دموعه تنحدر .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

---

(١) كاهله . أي : ظهره ، قال في المصباح : الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلى ، وفيه ست فقرات . اهـ . المراد منه .

فأنزل الله سكينته ، أى طمأنينته لأبى بكر :

فهذه ليلته .

● وقال الواقدى عن أشياخه : طلبت قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الطلَب ، حتى انتهت إلى باب الغار .

قالت : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم . فانصرفوا .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لم نَدْر بالحال ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يُغَنِّى غناء العرب والناس يتبعونه ، يسمعون صوته ولا يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

وسيأتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى .

البابُ الثالث

فى ذكر ما جرى له فى طريقه إلى المدينة

● قال أبو الحسن بن البراء : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة الخميس لغرة شهر ربيع الأول .

● وذكر محمد بن سعد ، أنه خرج من الغار ليلة الاثنين ، لأربع خلَوْن من ربيع الأول .

قلت : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثاً .

وخرج معه أبو بكر وعامر بن فُهَيرة ، ودليلهم عبد الله بن أُرَيقط الليثى ، وكان على دين قومه ، فأخذ بهم طريقَ السواحل .

● عن البَرَاء بن عازب قال : اشترى أبو بكر مِن عازبٍ سرجاً[1]، فقال : مُرِ البَرَاءَ ، فليَحْمله إلى منزلى .

قال : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعتَ ، حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه ؟

قال أبو بكر : خرجنا فأَدْلَجْنَا[2] فأَحْثَثْنا[3] يومَنا وليلتنا حتى أَظْهَرْنَا[4] وقام قائمُ الظهيرة .

---

(١) البخارى ٢/١٥٣ رحلا . (٢) أى : سرنا الليل كله .

(٣) البخارى : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا . ومعنى (أحثثنا) أسرعنا وجدينا فى السير . (٤) أى : دخلنا فى وقت الظهر .

فضربتُ ببصرى، هل أرى ظلاً آوِى إليه ، فإذا أنا بصخرة ، فأهويت إليها ، فإذا هو بقية ظلّها .

فسوّيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرشت له فروةً وقلت :

اضطجع يا رسول الله . فاضطجع .

ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطَّلَب، فإذا أنا براعى غنم .

فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش . فسماه فعرفته .

فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم .

قلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم .

فأمرتُه ، فاعتقل شاةً منها ، ثم أمرته فنفض ضرعَها من الغبار .

ثم أمرته فنفض كفَّه من الغبار ، ومعى إداوة على فمها خرقة .

فحلب لى كُثْبَة(١) من اللبن فصببت على القَدَح (٢) حتى بَرد أسفله .

ثم أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : اشرب يا رسول الله .

فشرب حتى رضيت . ثم قلت : قد آن الرحيل .

فارتحلْنا والقومُ يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم ، إلا سُرَاقة بن مالك ابن جُعْشُم على فرس له .

فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلبُ قد لحِقنا .

فقال : لا تحزن إن الله معنا(٣) .

حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قِيدُ(٤) رمح أو رمحين أو ثلاثة .

---

(١) الكثبة : ملء القدح . (٢) البخارى : فصببت على اللبن .

(٣) إلى هنا رواية البخارى فى صحيحه فى مناقب أبى بكر ٢ / ١٥٣ مع اختلاف . (٤) قيد : أى مقدار طول رمح الخ .

قلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكيت .

قال : لم تبكى ؟

قلت : أمَا والله ، ما على نفسى أبكى ، ولـكن أبكى عليك .

فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم اكفناه بما شئت .

فساخت(١) قوائم فرسه إلى بطنها ، فى أرض صلد .

فوثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أن هذا عملك ، فادع الله عز وجل ، أن ينجينى مما أنا فيه ، فوالله لأعمينّ(٢) على مَنْ ورائى من الطلب .

وهذه كنانتى ، فخذ منها سهماً ، فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لى فيها .

ودعا له ، فانطلق ورجع إلى أصحابه .

• عن عبد الرحمن بن مالك المُدْلجىّ [أن أباه أخبره أنه](٣) سمع سُرَاقَةَ يقول : جاءنا رُسُل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ديةَ كلِّ واحد منهما لمن قتله(٤) أو أسَره .

فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال :

يا سراقة ، إنى رأيت آنفاً أَسْودةً(٥) بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه .

---

(١) ساخت . أى : دخلت فى الأرض وغابت .

(٢) أصل العمه : التحير والتردد . والمراد هنا : لأخفين طريقك وأمرك على من ورائى ممن يطلبك .

(٣) من البخارى .

(٤) البخارى : من قتله . وما هنا أوضح .

(٥) الأسودة : يكنى بها عن الشخص . أى : أشباحاً .

قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا [يبتغون ضالةً لهم][1] ثم لبثتُ فى المجلس ساعة .

ثم قمت ، فدخلت ، فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ .

وأخذت رمحى ، فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بُزجِّه[2] الأرضَ ، وخفَضْت عاليه ، حتى أتيت فرسى ، فركبتها ، فرفعتُها تقرِّب بى ، حتى دنوت منهم .

فعثرت بى فرسى ، فخرَرْت[3] عنها ، فقمت .

فأهْوَيت يدى إلى كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلامَ فاستقسمتُ بها : أضرهم ، أم لا ؟

فخرج الذى أكره .

فركبتُ فرسى وعصيت الأزلام .

حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخَتْ يدَا فرسى فى الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرَرْتُ عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت ولم تكد[4] تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ[5] ساطع فى السماء مثل الدخان .

فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره فناديتهم الأمان[6] .

---

(١) من صحيح البخارى . (٢) الزج : الحديدة فى طرف الرمح .

(٣) فخررت . أى : سقطت ووقعت . (٤) البخارى : فلم تكد .

(٥) البخارى : عثان ساطع . و « العثان » كالدخان ، وزناً ومعنى .

(٦) البخارى بالأمان .

فوقفوا ، فركبت فرسى ، حتى جئتهم .

ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحَبْس عنهم ، أَنْ سيظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديةَ .

وأخبرتهم أخبارَ ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يَرْزآنى ولم يَسْألانى [شيئاً[١]] إلا أن قال : أَخْفِ عنا .

فسألته أن يكتب لى كتابَ أَمْن .

فأمر ، عامرَ بن فُهَيرة ، فكتب فى رقعة من أَدَم .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

قال الزهرى : وأخبرنى عروة بن الزبير ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقى الزبيرَ فى رَكْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر ثيابَ بياض .

---

(١) ليست فى البخارى وابن إسحاق .

(٢) هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه فى باب الهجرة .

الباب الرابع

فى ذكر حديث أم معبد

عن أبى مَعْبد[١] الخزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر من مكة إلى المدينة ، هو ، وأبو بكر ، وعامر بن فُهيرة ، ودليلهم ، عبد الله بن أُرَيقط ، فمرّوا بخيمتى أم مَعْبد الخزاعية .

وكانت امرأة جَلْدة بَرْزة[٢] تحتبى ، وتقعد بفناء الخيمة ، ثم تسقى وتطعم .

فسألوها تمراً ولحماً يشترونه ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا القوم مُرْملون[٣] مُسْنِتون[٤] ، فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم[٥] القِرَى .

---

(١) فى دلائل أبى نعيم : عن حبيش بن خالد . وفى شرح المواهب : عن أخى أم معبد حبيش صاحب رسول الله .

(٢) الجلدة : القوية . برزة . أى : جليلة عفيفة ، مسنة تبرز للرجال وتتحدث إليهم

(٣) مرملون . أى : فقراء ليس عندهم زاد قال فى الصحاح : يقال أرمل القوم : إذا نفد زادهم ، وعام أرمل ، أى : قليل المطر .

(٤) مسنتون . أى : مجدبون عيشتهم ضيقة ، قال فى المختار من الصحاح : أسنت القوم : إذا أجدبوا . والسَّنِتُ ككتف : القليل الخير . وزاد فى القاموس . وأرض سَنِتَة ومسنتة : لم تنبت وعام سنيت ومسنت : جدب .

(٥) أعوزكم القرى : أى ما احتجتم إلى طلبه .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كِسْر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد !

فقالت : هذه شاة خَلَّفها الجَهْد[١] عن الغنم .

قال : هل بها من لبن ؟

قالت : هى أَجْهَدُ[٢] مِن ذلك .

قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟

قالت : نعم بأبى أنت وأمى ، إن كان رأيت بها حَلَبا[٣] .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشاة ، فمسح ضرعها[٤] وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها فى شاتها .

قالت : فتفاجَّت[٥] ودَرَّت[٦] ، واجترَّت[٧] .

فدعا بإناء يُرْبض الرهطَ[٨] فحلب فيه ثَجًّا[٩] حتى علاه الثُّمال[١٠] .

---

(١) خلفها الجهد ، أى : أخرها عن الذهاب مع الغنم إلى المرعى شدة هزالها وضعفها من قلة الغذاء .

(٢) أجهد . أى : أضعف .

(٣) حلبا ، أى لبنا . (٤) ضرعها ، أى : ثديها .

(٥) تفاجت . أى : فرجت وباعدت ما بين رجليها لتحلب كما يستفاد من أساس البلاغة والصحاح .

(٦) « درت » أى : كثر لبنها .

(٧) اجترت : اخرجت ما فى معدتها وصارت تأكله ثانيا .

(٨) يربض الرهط . أى: يسع ما يكفى الجماعة من اللبن كما يستفاد من القاموس والصحاح . (٩) ثجا : كثير السيلان والانصباب .

(١٠) قال فى الصحاح : الثمال الرغوة .

فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم، وشربوا جميعاً عللاً[١] بعد نهل حتى أراضوا[٢] .

ثم حلب فيه ثانية عَوْداً على بَدْء فغادره[٣] عندها ثم ارتحلوا عنها .

فقلَّ ما لبث أن جاء زوجها أبو مَعْبد يسوق أعنزاً حُيَّلا عجافا[٤] يتساوَكْنَ[٥] هُزْلاً، مخُّهن قليل ، لا نِقْيَ[٦] بهن .

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لكم هذا ، والشاة عازبة[٧] ولا حَلُوبة فى البيت ؟

قالت : لا والله ، إلا إنه مرَّ بنا رجل مُبَارَك ، كان من حديثه كيت وكيت .

قال : والله إنى لأراه صاحبَ قريش الذى تطلب . صفيه لى يا أم معبد .

قالت: رأيت رجلا ظاهرَ الوضاءة[٨] متبلِّج[٩] الوجه ، حسن الخَلْق ،

---

(١) عللا بعد نهل . أى : تكرر شربهم قال فى المختار من الصحاح : العلل ، الشرب الثانى ، والنهل الشرب الأول .

(٢) أراضوا . أى : ارتووا واتسعوا وانبسطوا . كما يستفاد من القاموس .

(٣) غادره . أى : ترك الإناء .

(٤) اعنزا حيلا عجافا . أى شياها غير حوامل وضعافا .

(٥) يتساوكن . أى : تضطرب أعناقهن من شدة الهزال والضعف .

(٦) لا نقى بهن . أى : لا مخ فى عظامهن . قال فى الصحاح : النقى : مخ العظم وشحم العين من السمن .

(٧) عازبة . أى : بعيدة وغائبة .

(٨) الوضاءة : الحسن .

(٩) متبلج . أى : مضىء مشرق .

لم تَعِبْه ثُجْلة(١) ولم تُزْر به صُعْلة(٢) ، قَسِيمٌ وسيم(٣) ، فى عينيه دَعَج(٤) ، وفى أشفاره ، وطَف(٥) ، وفى صوته صَحَل(٦) ، أَحْوَر(٧) أكحل(٨) أزجُّ أقرن(٩) ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سَطَع(١٠) ، وفى لحيته كثافة .

إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء(١١) كأن منطقه . خرزاتُ نظْمٍ يتحدَّرْن ، حلو المَنْطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذَر(١٢) . أَجْهَر الناس وأجمله مِن بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربْعَة لا تَشْنَؤه(١٣) عَيْن من طُول ، ولا تقتحمه(١٤) عين من قِصر ، غُصْنٌ بين

---

(١) قال فى الصحاح : الثجلة بالضم : عظم البطن .

(٢) أى : لم يعبه صغر فى رأسه قال فى الصحاح : الصعلة : الصغير الرأس من الرجال والنعام . ورجل صعل وامرأة صعلاء .

(٣) قسيم وسيم . أى حسن الوجه وجميل .

(٤) دعج . أى شديد سواد العين مع سعتها .

(٥) الأشفار : حروف وأطراف الأجفان التى ينبت عليها الشعر .
والوطف : كثرة شعر العين والحاجبين كما فى الصحاح والقاموس .

(٦) صحل : يقال فى صوته صحل . أى بحوحة . اهـ صحاح .

(٧) أحور . أى شديد بياض العين فى شدة سوادها . اهـ . صحاح .

(٨) أكحل . وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد خلقة . اهـ مصباح .

(٩) الزجج : دقة فى الحاجبين وطول . والأقرن : بين القرن . وهو المقرون الحاجبين . (١٠) وفى عنقه سطع . أى : طول . اهـ صحاح .

(١١) البهاء : الحسن . اهـ . صحاح .

(١٢) قوله : فصل ، أى : فاصل بين الحق والباطل . وقوله : لا نزر ولا هذر . قال فى القاموس: أى : ليس بقليل فيدل على عى (عجز) ولا بكثير فاسد اهـ . والهذر : التكلم بما لا ينبغى . اهـ مصباح .

(١٣) تشنؤه : تبغضه من فرط طوله .

(١٤) لا تقتحمه . أى : لا تحتقره . اهـ . قاموس .

غُصْنين ، فهو أبْهَى(١) الثلاثة منظراً وأحسنهم قدًّا(٢) ، له رفقاء يحُفّون به(٣) ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا(٤) لأمره ، مَحْفُود مَحْشُود(٥) ، لا عابس ولا مُفْنِد(٦) .

قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذُكر له من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافيته لالتمستُ أنْ أصْحبه ، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلا .

وأصبح صوتٌ بمكة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلا بِالبِرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَ قُصَىٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَازَى وَسُودَدِ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُمُ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهُ رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... بِدِرَّتِهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

---

(١) أبهى . أى : أحسنهم .
(٢) قداً . أى : قامة جسمه . اهـ صحاح .
(٣) يحفون به . أى : أطافوا به واستداروا . اهـ . صحاح .
(٤) تبادروا . أى : تسارعوا وتسابقوا إلى تنفيذ أوامره .
(٥) محفود . أى : مخدوم . محشود . أى : يحفون (يسرعون) لخدمته . اهـ . صحاح .
(٦) قوله : لا عابس . يعنى : ليس كالح الوجه . ولا مفند ، ليس فيه ضعف الرأى من الهرم .

فأصبح القوم قد فقدوا نبيهم ، وأجدوا على خيمتى أم معبد .

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِى إِلَيْهِ وَيَغْتَدِى

تَرَحَّلَ عَنْ قَومٍ فَزَالَتْ(١) عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَــدَّدِ

وَهَلْ يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وَهُدَاةٌ يَقْتَدُونَ(٢) بِمُهْتَدِى

نَبِيٌّ يَرَى مَالَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ

وَإِنْ قَالَ فِى يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ فَتَصْدِيقُهَا فِى ضَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ(٣)

لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَــدِّهِ بِصُحْبَتِهِ ، مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

وَيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصَــدِ

البرزة الكبيرة . والمُرْملون : الذين نفد زادهم . والمُسْنتون من السَّنة وهى الجدْب . وكِسْر الخيمة جانبها . والجهد : المشقة . وتفاجَّت : فتحت ما بين رجليها لتحلب . ويُرْبض الرهط : يثقلهم فيربضوا(٤) . والثمال : الرغوة . والعَلَل : مرة بعد أخرى . وأراضوا : أى رووا . والحُيَّل : اللاتى لَسْن بحوامل . والعازب : البعيد فى المرعى . والتبلُّج : المشرق . والثجْلَة : عظم البطن واسترخاء أسفله . والصُّعْلة : صغر الرأس . والوسيم : الحسن ، وكذلك القسيم . والدَّعج : سواد العين . والوطف : الطول . والصَّحَل : كالبحَّة . والأحور : الشديدُ سوادِ أصول الأهداب خلقةً . والسَّطَع : الطول .

---

(١) فى شرح المواهب : فضلت عقولهم . (٢) شرح المواهب : يهتدون .

(٣) شرح المواهب : فى اليوم أو فى ضحى الغد .

(٤) المواهب : حتى يربضوا .

وقولها : « إذا تكلم سما » أى علا برأسه ويده . وقولها : لا تقتحمه عين : أى تحتقره . والمُفْنِد : الهرِم . والصريح : الخالص . والضرة : لحم الضرع .

• عن أم معبد قالت : طلع علينا أربعةٌ على راحلتين ، فنزلوا بى . فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة أريد أن أذبحها له فإذا هى ذات(١) دَرٍّ ، فأدنيتها(٢) منه فلمس ضرعها ثم قال : لا تذبحيها . فأرسلتها . وجئت بأخرى ، فذبحتها وطبختها لهم ، فأكل هو وأصحابه . فتغدى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأصحابه ، وزودتهم منها ، ما وسعت سُفْرتهم ، وبقى عندنا لحمها أو أكثره . وبقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ، حتى كان عام الرمادة، زمن عمر ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة . قالت : وكنا نحلبها صَبُوحا وغَبُوقا ، وما فى الأرض قليل ولا كثير .

---

(١) أى : ذات لبن .

(٢) فأدنيتها ، أى : قربتها .

الباب الخامس

فى تورية أبى بكر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقهم إلى المدينة

● عن أنس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب وأبو بكر رَدِيفه .

وكان أبو بكر يُعْرَف فى الطريق ، لاختلافه إلى الشام .

وكان يمر بالقوم فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر ؟

فيقول : هادٍ يهدينى إلى الطريق .

فلما دنَوْا من المدينة ، بعث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار ، إلى أبى أمامة أصحابه ، فخرجوا إليهما فقالوا : ادخلا آمِنَيْن مُطَاعَيْن . [فدخلا](١) .

قال أنس : فما رأيت يوما قط ، أنورَ ولا أحسنَ ، من يوم دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، المدينة .

وشهدت وفاته ، فما رأيت يوماً قط ، أظلَم ولا أقبح ، من اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من مسند أحمد .

الباب السادس

فى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة
بُرَيدة الأسلمى ، وتفاؤله باسمه وخدمة بريدة إياه

● عن عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطيَّر ، وكان يتفاءل ، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل ، فيمن يأخذ نبيَّ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيرده عليهم ، حين توجه إلى المدينة .

فركب بُرَيدة فى سبعين راكباً من أهل بيته من بنى سَهْم ، فتلقى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ فقال : أنا بُرْيدة :

فالتفت إلى أبى بكر الصِّديق فقال : يا أبا بكر بَرَد أمرنا وصلح .

ثم قال : ممن أنت ؟ قال : مِنْ أَسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : سلِمْنا .

قال : ممن ؟ قال : من بنى سهم .

قال : خرج سهمُك [يا أبا بكر](١) .

فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟

---

(١) من شرح المواهب ، نقلا عن البيهقى .

قال : أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله .

فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فأسلم بُريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً .

فلما أصبح ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء .

فحلّ عمامته ، ثم شدّها فى رمح ، ثم مشى بين يديه . فقال : يا نبى الله تنْزِل علىّ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن ناقتى هذه مأمورة .

فقال بُريدة : الحمد لله الذى أسلمتْ بنو سَهْم ، طائعين غير مُكْرَهين .

الباب السابع

فى ذكر تلقى أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله إليها

• عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع المسلمون بالمدينة بمَخْرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة .

وكانوا يَغْدون كل غَدَاة إلى الحَرَّة(١) ينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة .

فأقبلوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم .

فلما أوَوْا إلى بيوتهم ، أوْفَى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ(٢) من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه .

فبَصُر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مُبْيِضِين(٣) يزولُ بهم السرابُ .

فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته :

يا معشر العرب ، هذا جَدُّكم الذى تنتظرونه .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقَّوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظَهْر الحَرَّة ، فعَدَل بهم ذات اليمين ، حتى نَزَل بهم فى بنى عمرو بن عوف .

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً .

---

(١) أرض ذات حجارة سود ، كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد .

(٢) الأطم : الحصن .

(٣) مبيضين : عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزبير وطلحة .

وقال ابن التين : يحتمل أن معناه مستعجلين . قال ابن فارس : يقال بائص ، أى مستعجل . شرح المواهب ١/٣٥٠ .

البابُ الثامن

فى ذكر اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

● قال الزُّهرى : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين . لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

● وروى حَنَش الصنعانى عن ابن عباس ، قال :

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، ونُبِّئَ يوم الاثنين ، ورَفَع الحَجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقُبِض يوم الاثنين ، صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع

في ذكر المكان الذى نزل به حين دخل المدينة

● عن أبى بكر الصديق قال : مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى قَدِمْنا المدينة ، فتلقاه الناس ، فخرجوا فى الطرق وعلى الأباعر .

واشتد الخدم والصبيان فى الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسول الله ، جاء محمد .

قال : وتنازع القوم ، أيهم ينزل عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلُ الليلة على بنى النجار ، أخوال عبد المطلب ، لأكرمهم بذلك .

فلما أصبح ، غدا حيث أُمِر .

قلت : بيان الخؤولة ، أن هاشماً تزوج امرأةً من بنى عدى بن النجار ، فولدت له عبد المطلب .

وقد ذكرنا فى حديث عائشة آنفاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فى بنى عمرو بن عوف ، ،هم أهل قُباء(١) .

● قال ابن إسحاق : فنزل على كلثوم بن الهَدْم ، أخى بنى عمرو بن عوف.

---

(١) قال فى القاموس . قباء بضم القاف ويذكر ويقصر . موضع قرب المدينة المنورة ، وموضع بين مكة والبصرة وبالقصر اسم بلد بفرغانة .

وفى المصباح : وقباء : موضع بقرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الجنوب نحو ميلين وهو بضم القاف ، يقصر ويمد ، ويصرف ولا يصرف .

وقيل : نزل على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزَباً ، لا أهل له .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدهم ، ثم خرج عنهم يوم الجمعة .

وقيل : مكث فيهم بضعة عشر يوماً :

ثم ركب ناقته وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلُها إلى النزول عندهم وقالوا :

هلمَّ يا رسول الله ، إلى العَدد والعُدَّة .

فيقول لهم : خلوا زمامها فإنها مأمورة .

حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب المسجد ، وهو يومئذ مرْبد ، فلم ينزل عنها .

فوثبت ، فسارت غير بعيد ، ثم رجعت إلى مَبْركها الأول ، فبركت فيه ووضعت جِرَانها(١) .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب ، رَحْلَه .

فنزل على أبى أيوب ، فأقام عنده ، حتى بنى مسجده ومساكنه .

● وقال الواقدى عن أشياخه : لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقام ببنى عمرو بن عوف .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفاعَ النهار ، دعا براحلته ، وركب والناس معه عن يمينه ويساره .

---

(١) أى : وضعت عنقها على الأرض .

فاعترضتْه الأنصار، لا يمرُّ بدار إلا قالوا : هلمَّ يانبى الله، إلى القوة والمنعة .

فيقول لهم خيراً، ويقول : إنها مأمورة .

فبركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاء أبو أيوب ، فحطّ رحلَه ، وأدخله منزلَه .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المرء مع رَحْله » .

وجاء أسعدُ بن زُرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، فكانت عنده .

وما كان من ليلة ، إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثةُ والأربعة ، يتناوبون ، حتى تحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب .

وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زيدَ بن حارثة ، وأبا رافع ، إلى مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين .

فقدِما بفاطمة ، وأم كلثوم ، ابنتيه ، وسَوْدة ، زوجته ، وأسامة ابن زيد(١) .

وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم ، بعيال أبى بكر ، فيهم عائشة .

فلما قدموا المدينة ، أنزلهم فى بيت جارية بن النعمان .

● قال محمد بن حبيب الهاشمى : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزل قباء ، على كلثوم ، وكان يتحدث فى منزل سعد بن خيثمة ، وسُمِّى منزلَ العزاب .

وركب من قباء يوم الجمعة ، يؤم المدينة فجَمَّع(٢) فى بنى سالم .

وكانت أول جمعة ، جمعها فى الإسلام .

---

(١) زاد فى المواهب : « وأم أيمن وولدها أيمن » كما فى رواية الطبرانى .

(٢) أى : صلى الجمعة .

الباب العاشر

في ذكر فرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم

● عن أنس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، لعبت الحبشة بحرابها ، فرحاً بذلك .

● عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بجوار من الأنصار ، وهن يتغنَّين يَقُلْن :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَحَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله يعلم أنى أحبكن » .

● عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

الباب الحادي عشر

في ذكر لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن سَلاَم حين دخل المدينة

• عن عبد الله بن سَلاَم ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل[1] الناس ، وكنت فيمن أتى .

فلما رأيت وجهه ، عرفت أنه غير وجه كذاب ، فسمعته يقول :

أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصِلُوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصَلوا بالليل والناس نِيَام ، تدخلوا الجنة بسَلام .

(١) انجفل القوم : انقلعوا (يعني : أسرعوا) فمضوا .

الباب الثانى عشر

فى فضل المدينة

● عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة ». أخرجاه .

وفى أفراد مسلم ، من حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يثبت أحدٌ على لأْوَائها وشدتها ، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليمُتْ ، فإن مات بالمدينة ، شفعت له يوم القيامة » .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صيام شهر رمضان بالمدينة ، كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة بما سواها » .

● عن أبى ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« غبار المدينة ، شفاء من الجذام[1] » .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المدينة قُبَّة الإسلام ، وقلب الإيمان ، وما بين الحلال والحرام » .

---

(١) أخرجه رزين ، وهو لا يوثق به .

الباب الثالث عشر

فى ذكر بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

• عن عائشة قالت : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ركب راحلته وسار يمشى معه الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه رجال من المسلمين .

وكان مربداً للتمر لسهل وسُهيل غلامين يتيمين ، فى حجر أسعد ابن زرارة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به :

هذا ، المنزل إن شاء الله .

ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالمربد ، ليتخذه مسجداً ، فقالا :

بل نهبُه لك يا رسول الله .

ثم بناه مسجداً ، وطفق ينقل معهم اللبِن فى بنائه ويقول :

هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرِ   هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرِ

اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ   فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ

• عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [المدينة[1]] .

(١) من البخارى .

فنزل فى حَىٍّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف .

فأقام النبى صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار ، فجاءوا بالسيوف .

وكأنى أنظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وأبو بكر رِدفه ، ومَلأُ (١) بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب .

وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد .

فأرسل إلى بنى النجار(٢) فقال :

يا بنى النجار ، ثامنونى بحائطكم هذا .

قالوا : لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

قال أنس : فكان فيه ما أقول لكم ، كان فيه قبور المشركين وخِرَبٌ(٣) ، وفيه نخل .

فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين ، فنبشت ، ثم بالخرب ، فَسُوِّيَتْ وبالنخل فقطع .

فصفوا النخل ، قبلةَ المسجد ، وجعلوا عضادتيه حجارة .

وجعلوا ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون ، والنبى صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول :

---

(١) وملأ . أى : جماعة : (٢) البخارى : إلى ملأ بنى النجار .

(٣) الخرب بفتح المعجمة وكسر الراء جمع خربة ككلمة وكلم ، وجوز الخطابى أنه خرب بضم المهملة وسكون الراء وهى الخروق المستديرة فى الأرض .

اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرَ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ(١)

• عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد . وعمده الخشب من النخل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً .

وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه . في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً .

ثم غيَّره عثمان ، وزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة(٢) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

انفرد بإخراجه البخارى .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ١/٦٦

(٢) القصة : الجصة .

الباب الرابع عشر

فى فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

● عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ؛ ومسجدى ؛ والمسجد الأقصى ، وصلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام » .

● عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام » .

قال ابن عقيل : قوله : « صلاة فى مسجدى » إشارة إلى ما كان مسجداً فى زمانه ، لا إلى ما أدخل فى المسجد من الزيادة .

● عن أبى سعيد قال : تمارَى رجلان فى المسجد ، الذى أسس على التقوى من أول يوم .

فقال رجل : هو مسجد قباء . وقال الآخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو مسجدى » .

أخرجه مسلم .

الباب الخامس عشر

فى ذكر ما بين بيته ومنبره صلى الله عليه وسلم

● عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

أخرجاه .

● عن أبى هريرة وأبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ما بين حجرتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة .

وما بين المنبر ، وبيت عائشة ، روضة من رياض الجنة .

والترعة : الروضة على المكان المرتفع .

الباب السادس عشر

في ذكر بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل أزواجه

● عن محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبي الرجاء :

أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فأخبرني عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها ، في الشق الأيسر ، إذا قمتَ إلى الصلاة ، إلى وجه الإمام في وجه المنبر ، هذا أبعدُه .

ولما توفيت زينب بنت خزيمة ، أدخلَ أمَّ سلمة بيتها .

قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قريبة من المسجد وحوله .

فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً تحوَّل له حارثة عن منزله ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .

● قال ابن سعد : وأوصت سَوْدة بيتها لعائشة .

وباع أولياء صفية بنت حُيَيّ بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم .

واشترى معاوية من عائشة منزلها ، بمائة ألف وثمانين ألف ، وقيل : ثمانين ألف .

وشرط لها سكناها ، حياتَها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها حتى قسمته .

وقيل : بل اشتراه ابنُ الزبير من عائشة ، بعث إليها خمسة أجمال ، تحمل المال ، وشرط لها سكناها حياتها ، ففرّقت المال .

فقيل لها : لو خبأتِ منه درهماً ؟ فقالت : لو ذكَّرتمونى فعلتُ .

وتركت حفصة بيتها ، فورثه ابن عمر ، فلم يأخذ له ثمناً ، فأدخل فى المسجد .

● قال ابن سعد ، قال عبد الله بن يزيد(١) الهذلى :

رأيت منازلَ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ حين هدمها عمرُ بن عبد العزيز ، وهو أمير المدينة ، فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، وزادها فى المسجد .

كانت بيوتاً مبنية باللبِن ، ولها حُجَر من جريد ، عددْتُ تسعةَ أبيات بِحُجَرها ، ورأيت بيتَ أمِّ سلمه وحجرتها ، من لبن .

قال ابن شهاب : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَة الجندل ؛ بَنَتْ أمُّ سلمة حجرتها بلبن ، فلما قدم قال : ما هذا البناء .

فقالت : أردت أن أكفَّ أبصارَ الناس .

فقال : إن شرَّ ما ذهب فيه مالُ المرء المسلم(٢) البنيانُ .

وقال عطاء الخراسانى : أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل ، على أبوابها المسوح ، من شعر أسود .

فحضرتُ كتاب الوليد يُقرأ ؛ يأمر بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فما رأيت يوماً ، أكثر باكياً من ذلك اليوم ؟

فسمعت سعيد بن المسيَّب يقول يومئذ :

والله لوددْتُ أنهم تركوها على حالها ، حتى ينشأ أناس من أهل المدينة ، ويَقْدَم القادم ، فيكون ذلك مما يزهِّد الناس فى التكاثر والتفاخر ! !

---

(١) الأصل : زيد . والتصويب من ابن سعد . (٢) ابن سعد : مال المسلمين .

الباب السابع عشر

في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحبب الله إلى أصحابه المدينة

عن عائشة قالت : قَدِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ وهى وبيئة ، فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحمَّى يقول :

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أدْنَى(١) مِنْ شِرَاكِ(٢) نعْلِهِ

وكان بلال إذا أخذته الحمَّى يقول :

ألاَ ليْتَ شِعْرِى هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولِى إذْخَرٌ وجَليلُ(٣)

وَهَلْ أرِدَنْ يَوْماً مياه مَجَنَّةٍ وهَلْ يَبْدُونْ لى شامةٌ وطَفِيلُ(٤)

اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من مكة .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا قال :

اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكةَ أو أشد ، اللهم صحِّحْهَا ، وبارك لنا فى صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحْفة(٥) .

---

(١) أدنى : أقرب .

(٢) قال فى المصباح : وشراك النعل : سيرها الذى على ظهر القدم .

(٣) الإذخر : حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة . والجليل : نبت ضعيف .

(٤) مجنة : موضع على أميال من مكة ، كان به سوق فى الجاهلية . وشامة وطفيل : جبلان .

(٥) الجحفة : قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكه .

الباب الثامن عشر

فى صلاته إلى بيت المقدس وتحويل القبلة

• عن البراء قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوَ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، ثم صُرفنا إلى الكعبة .

الباب التاسع عشر

فى ذكر الوقت الذى حولت فيه

قال محمد بن حَبيب الهاشمى : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّ بشر بن البراء بن معرور فى بنى سَلَمَة ، وذلك فى يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ، فتغدى هو وأصحابه ، وجاءت الظهيرة فصلى بأصحابه ركعتين من الظهر إلى الشام .

ثم أمر أن يستقبل الكعبة ، ودارت الصفوف خلفه ، ثم أتم الصلاة فَسُمِّىَ مسجد القبلتين .

قال الواقدى : كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وقال السُّدِّى : حوِّلت على رأس ثمانية عشر شهراً .

الباب العشرون

فى نزول فرض رمضان

● عن أبى سعيد الخدرى قال : أُنزل فرضُ رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر قَبْل أن تُفْرضَ الزكاة فى الأموال .

الباب الحادى والعشرون

فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحْرس بالمدينة

● عن عائشة قالت أرِق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم قال : اللهم آتنى رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة . إذ سمعتُ صوتَ السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟

قال سعدُ بن أبى وقاص : أنا يا رسول ، أتيتُ أحرسك .

قالت عائشة : فنام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه .

وفى رواية عن عائشة : فنزلت : « وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »(١) .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُبَّة أَدَم وقال : « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمنى الله تعالى » .

---

(١) المائدة . آية ٦٧



ابوابُ معجزاتہٖ صلّی اللہ علیہ وسلم

كانت صورة نبينا صلى الله عليه وسلم وهيئته وسِمَته تدلُّ العقلاء على صِدْقه .

ولهذا قال عبد الله بن سَلَام : فلما رأيت وجهَه عرفت أنه ليس بوجه كذاب .

ومَنْ سمع كلامَه ورأى آدابه لم يَدْخله شك .

وكان فى صِغره يُعرف بالأمانة والصدق وجميل الأخلاق .

وقد قال قيصر فى حديث أبى سفيان : لم يكن ليَذَر الكَذِبَ على الناس ويكذب على الله تعالى .

وسنذكر أمهات معجزاته أبواباً إن شاء الله تعالى .

الباب الأول

فى ذكر معجزه الأكبر وهو القرآن العزيز

لمَّا غلب السِّحْرُ فى زمن موسى عليه السلام جاءهم بجنسه فى معجزاته ، ففَلَق البحر ، وألقى العصا .

ولمَّا غلب الطبُّ فى زمن عيسى عليه السلام جاءهم بجنسه ، فأحيا الموتى ، وأَبْرَأ الأكمه .

ولمَّا غلبت الفصاحة وقولُ الشعر والنظم والنثر فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم جاءهم بالقرآن .

وهو مُعْجِزٌ من أوجه :

أحدها : ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى الإيجاز والإطالة .

فتارةً يأتى بالقصة باللفظ الطويل ، ثم يعيدها باللفظ الوجيز ، فلا يُخلّ بمقصود الأولى .

والثانى : مفارقته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار .

وبهذين المعنيَيْن تحدث العرب ، فعجزوا وتحيَّروا وأقرُّوا بفضله ، حتى قال الوليد بن المغيرة : والله إن له لحلاوةً وإن عليه لطلاوة(١) .

• عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة ، اجتمع هو ونفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم ، وقد حضر الموسمُ ، فقال :

---

(١) قال فى الصحاح : الطلاوة : بتثليث الطاء : الحسن والقبول .

إن وفود العرب ستَقْدَم عليكم ، وقد سمعوا بصاحبكم هذا ، فأجْمِعُوا فيه رأياً ولا تختلفوا ، فيكذِّبَ بعضكم بعضاً ، ويردَّ قول بعضكم بعضاً .

قالوا : أنت فقُلْ ، وأقم لنا رأيا نقول به .

قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

فقالوا : نقول : كاهن .

فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان ، فما هو بزَمْزَمة الكاهن وسجعه .

فقالوا : نقول مجنون .

فقال : ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخَالجه ولا وسوسته .

فقالوا : نقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : نقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّار وسحرهم ، فما هو بنَفْثه ولا عَقْده .

قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لمُغْدق وإن فرعه لمثمر . فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر .

فقولوا : هو ساحر يفرّق بين المرء وزوجه وأخيه .

فتفرقوا عنه بذلك .

● وكان النضر بن الحارث بن كَلَدة يقول : يا معشر قريش ، لقد نزل بكم أمرٌ ما ابتُليتم بمثله ، والله ما هو بساحر ، ولا كاهن ، ولا شاعر ، ولا مجنون .

ولما حضر عتبةُ بن ربيعة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه : « حمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ »(١) إلى أن بلغ فقال : « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرَّحِم أن يَكُفَّ .

وقال لأصحابه : خِفْتُ أن يَنْزل بكم العذابُ .

قال المصنف رحمه الله : فلما تحيَّروا عند سماع القرآن وأدهشهم وسكتوا ، نودى عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله تعالى : « فَأْتوا بسورةٍ مِنْ مثله » .

ثم قال : « فإن لم تَفْعلوا ولن تَفْعلوا (٢)» .

ومعلوم أن النفوس الأبيَّة ، إذا قُرعت بمثل هذا ، استفرغت الوُسْع .

فلما عَدَلوا إلى المحاربة والقتال ، ورضوا بسَبْى الذرارى وأخْذ الأموال ، عُلِم عَجْزهم . وهم معدن البلاغة والفصاحة ، والقرآنُ من جنس كلامهم .

ولما أقدم مُقْدِمهم على معارضته نظر إلى السُوَر القصار فعارضها ، لأن تأليف الطوال ، تبين به الفصاحة الزائدة على الحد .

---

(١) سورة فصلت . الآيات من ١ إلى ١٣

(٢) سورة البقرة ٢٣ و ٢٤ .

فعارض سورة الفيل . فقال : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل ، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

وقال : يا ضفدع ، تأنيث ضفدعين ، نُقِّى كم تنقِّين ، أعلاك فى الماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الماء تكدِّرين ، ولا الشراب تمنعين .

قال : ومن العجائب شاة سوداء ، تحلب لبنا أبيض .

فظهرت فضائحهم بمثل هذا ، ولو سكتوا كان أصلح لهم .

وممن طُمِس على قلبه ، أبو العلاء المَعَرِّى ، فإنه جمع كلاما سماه : « الفصول والغايات » يعارض[1] بزعمه السور والآيات .

وقد رأيته ، فما رأيت أبردَ من ذلك الكلام ولا أسمجَ !

وقد جعله على حروف المُعْجم فى آخر كلماته ، فمن حرف الألف :

« كان النعال على عِصِىِّ الطَّلح ، يعارضون الركائب فى الموادج ، والظلماء تستغفر لهم ، فخَبَّ القمر وضياء الشمس ، وهنيئاً لتاركى النُّوق طلائح فى غيطان الفلاة ، يحوم عليها ابن داية ، ويطيف بها السرحان ، وسنان أوراك ، ترد الألبان لبنها أقعد من الغطاء »[1] .

وكله من هذا الجنس البارد .

---

(١) لا نوافق المؤلف رحمه الله على هذا الظن ، فإن كتاب « الفصول والغايات » لأبى العلاء الذى يتحدث عنه ملىء بشواهد الإيمان والتوحيد ، وليس فيه أدنى شبهة بمعارضة القرآن ، وقد نشره الأستاذ محمود حسن زناتى سنة ١٩٣٨ وأثبت فى مقدمته براءته من هذه التهمة .

(٢) لم يرد هذا النص فى « الفصول والغايات » المطبوع ، لأن أول حرف الألف مفقود من هذا الكتاب ، وفى هذا النص تحريف .

قال ابن عقيل : وحكى لى أبو محمد بن مسلم النحوى قال : كنا نتذاكر إعجازَ القرآن ، وكان ثَمَّ شيخ كبير الفضل ، فقال : ما فيه ما يَعْجز الفضلاء عنه .

ثم ترق إلى غرفة ومعه صحيفة ومحبرة ، ووعد أنه سيناديهم بعد ثلاثة أيام بما يَعْلمه ، مما يضاهى القرآن .

فلما انقضت الأيام الثلاثة ، صعد واحد ، فوجده مستندا يابسا ، وقد جفت يده على القلم .

* * *

قلت : وقد كان المرتضَى العَلَوى يقول بالصِّرْفة ، وأن الله تعالى صرف العرب عن الإتيان بمثله ، لا أنهم عجزوا .

قال ابن عقيل : الصَّرْفُ عن الإتيان بمثله ، دالٌّ على أن القدرة لهم حاصلة ، فإن كان فى الصَّرْف نوعُ إعجاز ، إلا أن كونَ القرآن فى نفسه ممتنعا على الإتيان بمثله لمعنًى نعود إليه ، أكبرُ فى الدلالة وأعلَمُ لفضيلة القرآن .

وما قولُ من قال بالصِّرْفة ، إلا بمثابة من قال : إن عيون الناظرين إلى عصى موسى ، تخيَّل لهم أنها حية وثعبان ، لا أنها فى نفسها انقلبت .

قال : والتحدِّى للمصروف عن الشىء ، لا يَحْسُن ، كما لا يُتحدَّى العَجَم بالعربية .

هذا قول ابن عقيل .

وأنا أقول : إنمَا يُصْرفون عن الشىء ، بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله .

فهل وُجِد لأحد منهم قَبْل الصِّرْفة ، منذ وجد العرب ، كلامٌ يقاربه مع اعتمادهم الفصاحة ؟

والثالث فى معجز القرآن : ما تضمن من أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التى عرفها أهل الكتاب ، مع كون الآتى بها أميًّا لا يكتب ولا يقرأ ، ولا عِلْم بمجالسة الأحبار ولا الكهان .

ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار ، لم يُدْرِك ما أخبر به القرآن .

والرابع : إخباره عن الغيوب المستقبلَة الدالة على صدقه قطعا ، لوقوعها على ما أخبر ، كقوله : « فتمنَّوُا الموت »(١) ثم قال « ولن يتمنوه أبَداً » .

وقوله : « فأْتُوا بسورة من مثله »(٢) [ثم قال] : « ولن تفعلوا » فما فعلوا .

وقوله : « قُلْ للذين كفروا سَتُغْلبون »(٣) .

وغُلبوا .

وقوله : « لتَدْخُلن المسجدَ الحرام إن شاء الله آمنين »(٤) ودخلوا .

وقوله فى أبى لهب : « سيَصْلَى ناراً ذات لَهَبٍ وامرأته »(٥) وهذا دليل على أنهما يموتان على الكفر ، وكذلك كان .

والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض .

---

(١) سورة البقرة ٩٤ (٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة آل عمران ١٢ (٤) سورة الفتح ٢٧

(٥) سورة المسد . الآية ٣ و ٤

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً » (النساء ٨٢) .

وقال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(١) .

قال ابن عقيل : حفظ جميعه وآياته وسوره ، التي لا يدخل عليها تبديل ، من حيث عجز الخلائق عن مثلها .

فكان القرآن حافظ نفسه ، من حيث عجز الخلائق عن مثله .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ، ما آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحى الله عز وجل إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

قال أبو الوفا ، علي بن عقيل : إذا أردت أن تَعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو مُلْقًى إليه ، فانظر إلى كلامه ، كيف يمتاز عن القرآن ، وتلمّحْ ما بَيْن الكلامين والأسلوبين ، ومعلوم أن كلام الإنسان يتشابه وما للنبي صلى الله عليه وسلم ، كلمةٌ تُشاكل نمَط القرآن .

قال ابن عقيل : ومن إعجاز القرآن أنه لا يمكن أحداً أن يَستخرج منه آيةً قد أخذ معناها من كلام قد سبق ، فإنه ما زال الناس يَكشف بعضهم عن بعض فيقال : المتنبي أخذ من البُحتري .

قال : وقد سئل علي بن عيسى فقيل له : لو كان هذا الكتاب العزيز يترجَم(٢) ما الذي كان ينبغي [أن] يترجم به ؟

---

(١) سورة الحجر ٩

(٢) يترجم : يوضع له عنوان يميزه ويدل عليه .

فقال : كان ينبغى أن يترجَم بآية منه ، لا بشىء من كلامنا .

قالوا : وما هذه الآية التى يترجم بها ؟

قال : قوله تعالى : « هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ »(١) .

قال ابن عقيل : ما أصاب ابنُ عيسى عندى ، لأنه إنما يترجم الكتاب تعريفا ، لئلا يختلط كتاب بكتاب .

فإذا كان هذا الكتاب ممتنع النظير ، سيوجد النظر فى نفسه لا يختلط به غيره ، فلماذا يترجم ؟ !

ولو جاز أن يترجم كما تترجم الكتب – مع تمييزه بإعجازه ، وعدم اختلاطه بغيره ، وليُعْلَمَ كلام من هو وتأليف من هو كعادة آيات الكتب – جاز أن يُكتب على جبهة الحيوانات ، كالفرس والبعير ، وعلى جبهة الآدمى : « هذه صنعة الله » !

فلمَّا لم يحسن ذلك ، للعلة التى بيَّنتها ، بطل أن الترجمة سائغة .

وأنا لا أسوِّغ له ترجمة .

ولو وجدنا هذا المصحف العزيز ، ملقًى فى برِّية ، ما جاء به أحد ، أخبرَنا بما فيه من الدليل أنه من عند الله .

فكيف وقد جاء به المعصوم مؤيداً بالمعجزات ؟ !

* * *

قال المصنف رحمه الله : وقد استخرجت معنيين عجيبين :

---

(١) سورة إبراهيم ٥٢

أحدها : أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحدٌ اليوم : أى دليل على صدق محمد وموسى ؟ فقيل له : محمد شُقَّ له القمر ، وموسى شق له البحر ، لقال : هذا محال .

فجعل الله سبحانه هذا القرآن معجزاً لمحمد صلى الله عليه وسلم يَبْقى أبداً ، ليظهر دليلُ صِدْقه بعد وفاته ، وجعلَه دليلا على صدق الأنبياء ، إذ هو مصدِّق لهم ومخبر حالهم .

والثانى : أنه أخبر أهلَ الكتاب بأن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ، وشهد لحاطب بالإيمان ، ولعائشة بالبراءة ، وهذه شهاداتٌ على غيبٍ .

فلو لم يكن فى التوراة والإنجيل صفته ، كان ذلك منفراً لهم عن الإيمان به ، ولو علم حاطب وعائشة من أنفسهما ، خلافَ ما شهد لهما به ، نفَرَا عن الإيمان .

الباب الثاني

في معجزه بشق القمر

قال ابن عباس : اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقا فشُقَّ لنا القمر فرقتين .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلتُ تؤمنون ؟ قالوا : نعم .

فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربَّه أن يعطيه ما قالوا .

فانشق القمر فرقتين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : يا فلان يا فلان ، اشهدوا .

وذلك بمكة قبل الهجرة .

قال مجاهد : انشق القمر ، فوقعت فرقة فوقَ الجبل ، وذهبت فرقة من وراء الجبل .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يُرى نصفه على قُعَيْقُعَان[1] ، والنصف الآخر على أبى قبيس .

• عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين حتى نظروا إليه .

---

(١) قعيقعان : بصيغة التصغير . جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب . سمى بذلك ، لأن جرهما كانت تجعل فيه سلاحها من الدرق والقسى والجعاب ، فكانت تقعقع . أى : تصوت .

قال ابن فارس : القعقعة . حكاية أصوات الترسة وغيرها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

أخرجاه .

وفى لفظ انشق القمر شقة فوق الجبل ، وشقة يسترها الجبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا .

• عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين ، حتى رأوا حِراء[١] بَيْنهما .

قال البخارى : عن ابن عباس : انشق القمر فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم .

أخرجاها .

• عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال قوم : هذا سحرٌ ، سحرهم ابنُ أبى كبشة ، فاسألوا الذين يَقْدم عليكم ، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق ، وإلا فهو سحر .

فقدم السُّفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، قد انشق القمر .

• عن ابن عمر فى قوله تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ »[٢] .

قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

---

(١) قال فى المصباح : وحراء ، وزان ، كتاب : جبل بمكة ، يذكر ويؤنث قاله الجوهرى . واقتصر فى الجمهرة على التأنيث وهو أى : (حراء) مقابل ثبير .

(٢) سورة القمر ـ الآية ١

الباب الثالث

في إظهار معجزاته في تكثير الطعام[1]

● عن جابر بن عبد الله قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .

وكانت عندى شويهة عنز جذعة سمينة فقلت :

لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأمرتُ امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شعير ، وصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصرافَ عن الخندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهاراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ، قال :

قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير ، فأحبُّ أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلى .

وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

فلما قلت له ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر .

---

(١) كان تكثير الطعام والماء ، بمعنى البركة فيهما أو الإمداد من عند الله ، إكراما من الله لرسوله وللمؤمنين معه ، وكانت الضرورة تقتضى ذلك .

قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخرجناها إليه .

قال : فبارك ، وسَمَّى ، ثم أكل . وتواردها الناسُ ، كلما فرغ قوم قاموا ، وجاء ناس حتى صَدَر(١) أهلُ الخندق عنها .

أخرجاه .

• عن جابر بن عبد الله قال : توفى عبد الله بن عمرو بن حرام ، يعنى أباه ، أو استشهد ، وعليه دَين فاستعنت برسول الله صلى الله عليه وسلم على غرمائه ، أن يَضَعُوا من دَيْنه شيئاً . فطلب إليهم ، فأبوْا .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فصَنِّف تمْرَك أصنافا ، العجوة على حِدَة ، وعذق [ابن] زيد على حِدة وأصنافه(٢) ثم ابعث إلىّ . ففعلت .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس فى أعلاه أو فى وسطه ثم قال : كِلْ للقوم . قال : فكِلْت لهم حتى أَوْفَيْتهم(٣) . وبقى تمرى ، كأنْ لم ينقص منه شىء .

انفرد بإخراجه البخارى(٤) .

---

(١) صدر أهل الخندق : يريد : أنهم تركوا الطعام كما هو وقد شبعوا جميعاً .

(٢) البخارى : فقال صنف تمرك كل شىء منه على حدته ، عذق ابن زيد على حدة واللين على حدة والعجوة على حدة ، ثم أحضرهم حتى آتيك .

(٣) أوفيتهم : أى أعطيت كل واحد حقه كاملا .

(٤) الحديث ذكره البخارى فى كتاب الاستقراض وأداء الديون ، مخالفا لهذه الرواية ، ويظهر أن للمؤلف رواها بالمعنى ، وللحديث بقية فى البخارى ١/٢٣٣٦

• عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبيه قال :

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأصاب الناس مَخْمصةٌ .

فاستأذن الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى نَحْر بعض ظَهْرهم ، وقالوا : يبلِّغنا الله به .

فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هَمَّ أن يأذن لهم فى نحر بعض ظهرهم ، قال :

يا رسول الله . كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غداً جياعا رِجالاً ؟ !

ولكن إن رأيت ـ يا رسول الله ـ أن ندعو الناس ببقايا أزوادهم ، نجمعها لهم ، ثم تدعو الله فيها بالبركة ، فإن الله تعالى سيبلّغنا بدعوتك . أو قال : سيبارك لنا فى دعوتك .

فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يَحْثُون بالحثوة من الطعام وفوق ذلك ، وكان أعلاهم ، من جاء بصاع من تمر .

فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ، فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم ، وأمرَهم أن يَحْثُوا .

فما بقى فى الجيش وعاء ، إلا مملوءة ، وبقى مثله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة .

• عن عمر بن الخطاب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فقلت : يا رسول الله خرج إلينا الروم ، وهم شباع ، ونحن جياع ، وأرادت الأنصار أن ينحروا نواضحهم .

فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس :

مَنْ كان عندَه فَضْلُ زادٍ فليأتنا .

فحَزَرَنا جميعَ ما جاءوا به ، فوجدوه سبعاً وعشرين صاعا .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فدعا فيه ثم قال :

أيها الناس خذوا ولا تنتهبوا .

فأخذوه فى الجُرب والغرائِر ، حتى جعل الرجل يقدُّ قميصه فيأخذ فيه ، حتى صَدروا ، وإنه نحو ما كانوا يحزرون .

• عن أبى إياس قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعضَ ظهرنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجمعنا مزاودنا ، فبسط له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع .

فتطاولتُ لأحزره ، فإذا هو كربضة العنز[١] ونحن أربع عشرة مائة .

قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جُربنا .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء [قالت : نعم][٢] .

فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها ، فلفَّت الخبز ببعضه ، ثم دسَّته تحت ثوبى ، وردَّتنى[٣] ببعضَه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كربضة العنز . أى : مقدار مساحة ما تأوى إليه من الأرض .

(٢) من البخارى ، باب علامات النبوة . (٣) البخارى : ولاثتنى ببعضه .

قال : فذهبت به ، فوجدت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟

فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ فقلت : نعم .

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه : قوموا :

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما يطعمهم .

فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة ، حتى لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو طلحة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمِّى[1] يا أم سليم ، ما عندك . فأتت بذلك الخبز .

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّة لها فآدَمَتْه .

ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله أن يقول :

ثم قال : ائذن لعشرة . فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .

فأكل القوم ، وشبعوا ، والقوم ثمانون رجلا .

---

(١) هلمى . أى : أحضرى .

أخرجاه(١) .

● عن أنس بن مالك قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله .

قال فصنعت أمى ، أم سليم حَيْسا(٢) ، فجعلته فى تَوْر(٣) فقالت :

يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقل : بعثت بهذا إليك أمى ، وهى تقرئك السلام وتقول لك : إن هذا لك منا قليل .

قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

إن أمى تقرئك السلام ، وتقول لك : إن هذا لك منا قليل . فقال : ضعه .

ثم قال : اذهب فادْعُ فلاناً وفلاناً ، أو من لقيت . وسمَّى رجالا .

قال : فدعوت من سمى ومن لقيت .

قال : قلت لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة .

فقال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، هاتِ التَّوْر .

فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحجرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى باب الأطعمة من الصحيحين من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس .

(٢) قال فى المصباح : (الحيس) تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه سويق اهـ . ومثله فى الصحاح والقاموس .

(٣) التور : إناء من صفر أو حجارة ، ورواية البخارى : « فى برمة » .

ايتخلف عشرة عشرة ، ليأ كل كل إنسان مما يليه .

قال : فأ كلوا حتى شبعوا ، وخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أ كلوا كلهم .

ثم قال : يا أنس ارفع .

فما أدرى حين وُضعت [كان(١)] أ كثَرَ أم حين رُفِعت ؟ !

● عن عبد الرحمن بن أبى بكر أنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : هل مع أحد منكم طعام ؟

فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعُجِن .

ثم جاء رجل مشرك مُشعانٌّ (٢) طويل ، بغنم يسوقها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبيعاً أم عطية ؟ أو قال : هِبَة ؟

قال : بل بيع .

فاشترى منه شاةً فصُنعت .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يُشْوَى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة ، إلا قد حَزَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَزَّةً من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه [إياه](٣) وإن كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين .

---

(١) من المواهب .

(٢) المشعان : الثائر الرأس .

(٣) من المواهب .

قال : فأكلنا أجمعون ، وشبعنا ، وفضل فى القصعتين(١) ، فحملناه على بعير . أو كما قال .

أخرجاه .

• عن على رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بنى عبد المطلب ، ثم دعا بُعس(٢) فشربوا حتى رووا ، وبقى الشراب كأنه لم يُمسّ أوله بشرب ، فقال :

يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعثت إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، وقد رأيتم منى هذه الآية ، فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ؟

قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقمت إليه ، وكنت أصغر القوم .

قال : فقال : اجلس . ثم قال : ثلاث مرات ، كلُّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس .

حتى إذا كانت الثالثة ، ضرب بيده على يدى .

• عن سَمُرة بن جُندب قال : بيْنا نحن عند النبىِّ صلى الله عليه وسلم أُتِىَ بقصعة فيها ثُريد . قال : فأكل ، وأكل القوم ، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظُّهر ، يأكل كل قوم ، ثم يجىء قوم فيتعاقبونه .

قال : قال له رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعام ؟

قال : أمَّا من الأرض فلا [إلا] أن تكون كانت تُمدُّ من السماء .

• عن أبى أيوب الأنصارى قالَ : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر طعاما ، قدر ما يكفيهما ، فأتيتهما به .

---

(١) رواية للمواهب : ففاضت القصعتان .

(٢) قال فى الصحاح : (العس) القدح العظيم والرفد ، أكبر منه ، وجمعه عساس اهـ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب ، فادع لى ثلاثين من أشراف الأنصار .

قال : فشقّ ذلك علىّ ، ما عندى ما أزيده .

قال : وكأنى تثاقلت .

فقال : اذهب فادعُ لى ثلاثين من أشراف الأنصار .

فدعوتهم فجاءوا فقال : اطعَموا .

فأكلوا حتى صدَروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا .

ثم قال : اذهب فادع لى تسعين من الأنصار .

قال : فأنا أخْوفُ بالتسعين والستين منِّى بالثلاثين .

قال : فدعوتهم ، فأكلوا حتى صَدَرُوا ، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا .

قال : فأكل من طعامى ذلك مائةٌ وثمانون رجلا ، كلهم من الأنصار .

• عن أبى هريرة قال : نزل بالنبى صلى الله عليه وسلم ضيف ، فالتمس له شيئاً يطعمه ، فلم يجد له شيئاً ، ثم وجد لقمة ، فجزّأها أجزاء ، ثم أتاه بها فقال : سَمِّ وكل .

فأكل وفضلت فضلة .

فقال الرجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنك لرجل صالح .

الباب الرابع

فى ذكر معجزه فى تكثير السمن

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لى شاة فجمعت من سمنها ما ملأت به عُكَّة(١) ، فقالت : يا زيبة ، امضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العكة يأتدم بها .

فمضت بها إليه فقالت : يا رسول الله ، إن أم سُلَيم ، أرسلت إليك بهذه العكة لتأْتَدم بها . فقال : خذوها ففرعوها وردوها عليها .

فانصرفت بها ، وأمُّ سُلَيم غائبة عن المنزل ، فعلقتها على وتد .

فلما رجعت أم سُلَيم ، رأت العكة مملوءة سمناً تَقْطر .

فقالت : يا زيبة ، ألم أتقدم إليك بحَمْل العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقينى فاسأليه .

فمضت فقالت : يارسول الله ، كنت وجَّهت إليك بعكة سَمْن لتأتدم بها .

قال : قد وصلَتْ .

---

(١) قال فى الصحاح (العكة) بالضم : آنية السمن . قال ابن السكيت : يقال لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكة . والجمع العكك والعكاك . ا هـ .

قلت : والشكوة وعاء من أدم للماء واللبن . والجمع شكوات وشكاء . ا هـ . من هامش الصحاح .

قالت : والذى بعثك بالهدى ودين الحق ، لقد وجدتها مملوءة سمناً تقطر .

قال : أفتعجبين ، أنْ أَطْعَمك الله كما أطعمت نبيَّه ؟ اذهبى فكُلِى واطعمى .

فانصرفتُ ففرغت منها فى عكة لنا ، وأبقيت ما تأدَّمنا به شهراً أو شهرين .

• عن جابر أن أم مالك الفِهْرية ، كانت تهدى فى عكة لها سمناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فَبَيْنا بنوها يسألونها الإدامَ وليس عندها شىء ، عمدت إلى عُكَّتها التى كانت تُهدِى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت فيها سمناً ، فما زال يأدم لها أُدْمَ بيتها حتى عصَرَتْه .

فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أعصَرْتِيه ؟ قالت : نعم .

قال : لو تركتيه ما زال ذلك لك مقيما .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الخامس

فى معجزه فى تكثير التمر

● عن أبى هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بتمرات ، فقلت : ادع الله لى فيهن بالبركة .

قال : فصفَّهن بين يديه ، ثم دعا وقال لى : اجعلهن فى مِزْودك ، وأدخل يدك ولا تنثره .

قال : فحملتُ منه كذا وكذا وسقاً فى سبيل الله ، وآكل وأطعم ، وكان لا يفارق حِقْوى(١) ، فلما قتل عثمان ، انقطع حقوى فسقط .

● عن أبى هريرة قال : أُصبتُ بثلاث : موت النبى صلى الله عليه وسلم وكنت صُويحبه وخويدمه ، ومَقْتل عثمان ، وبالمِزْود .

قالوا : وما المزود ؟

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابت الناس مَخْمصة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة هل من شىء ؟

قلت : نعم شىء من تمر فى مزود . قال : فَأْتِنى به .

فأتيته به ، فأدخل يده ، فأخرج قبضةً فبسطها ثم قال : ادع لى عشرة . فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .

ثم أدخل يده ، فأخرج قبضةً فبسطها ، ثم قال : ادع لى عشرة .

---

(١) الحقو : موضع شد الإزار .

فدعوت له عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا .

فما زال يصنع ذلك ، حتى أطعم الجيش كله وشبعوا .

ثم قال لى : خذ ما جئتَ به ، وأدخل يدك ، واقتصر ولا تكبّه .

قال أبو هريرة : فقبضت على أكثر ما جئت به .

أكلت منه حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطعمت .

وحياة أبى بكر ، وأطعمت .

وحياة عمر ، وأطعمت .

وحياة عثمان ، وأطعمت .

فلما قتل عثمان ، انتُهب بيتى ، فذهب المزود .

• عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة وأصابهم عَوَز[1] من الطعام ، فقال : يا أبا هريرة ، عندك شىء ؟

قلت : نعم شىء من تمر فى مِزْود لى . قال جِئْ به .

فجئت به على النطع فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فإذا هو واحد وعشرون تمرة ، ثم قال : بسم الله .

فجعل يضع كل تمرة ويسمِّى ، حتى أتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه .

فقال : ادعِ فلاناً وأصحابه .

فدعوت فلاناً وأصحابه ، فأكلوا وشبعوا وخرجوا .

ثم قال : ادعِ فلاناً وأصحابه . فأكلوا وشبعوا وخرجوا .

وفضل تمر ، فقال لى : اقعد . فقعدت ، فقال : كل . فأكلت وأكل .

---

(١) عوز . أى : احتياج وافتقار .

وفضل تمر فأدخله فى المزود فقال :

يا أبا هريرة ، إذا أردت شيئاً ، فأدخل يدك ، ولا تَـكفأْ ، فيكفأ عليك .

قال : فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدى فأخذت ، ولقد جهزت منه خمسين وسَقًا فى سبيل الله ، وكان معلقاً خلف رحلى ، فوقع زمن عثمان ، فذهب .

● عن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : بعثتنى أمى عَمْرة بنت رواحة ، فأعطتنى تمراً فى ثوبى فقالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك وخالك ، عبد الله بن رواحة بغدائهما .

فانطلقت بذلك ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى .

فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟

قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثت به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة ، يتغدّيان به .

قال : هاتيه . قالت : فصببته فى كفَّىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأهما .

وأمر بثوب ، فبسط ، ثم دحى التمر عليه ، ثم قال لإنسان :

اصرخ فى أهل الخندق : هلموا إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر عنه أهل الخندق ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

الباب السادس

فى معجزته فى تكثير الماء

• عن عِمْران بن حُصَين قال : كنا فى سفَر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا أسْرَيْنا حتى إذا كنا فى آخر الليل ، وقَعنا وقعةً ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حَرُّ الشمس .

فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ، كان يسمِّيهم أبو رجاء ، ونسِيهم عوف ، ثم عمر بن الخطاب الرابع .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يُوقَظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأنا لا ندرى ما يَحْدث له فى نومه .

فلما استيقظ عمر ، ورأى ما أصاب الناسَ ، وكان رجلا أجوف جليداً ، قال : فكبَّر ورفع صوته بالتكبير ، حتى استيقظ بصوته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوْا إليه الذى أصابهم ، فقال : لا ضَيْر ، أو لا تضير ، ارتحِلوا .

فارتحلوا فسار غيرَ بعيد ، ثم نزل فدعا بالوَضوء(١) فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس .

فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع القوم ، قال : ما منعك يا فلان ، أن تصلى مع القوم ؟

---

(١) أى : بالماء .

فقال : يا رسول الله ، أصابتني جنابة ولا ماء .

قال : عليك بالصَّعيد .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكا إليه الناسُ العطش . فنزل . فدعا فلاناً ، كان يسمِّيه أبو رجاء ، ونسيه عَوف ، ودعا عليًّا فقال : اذهبا فابغيا(١) لنا الماء .

قال : فانطلقا فلقيا امرأة بين مَزَادتين(٢) أو سَطِيحَتَيْن(٣) من ماء على بعير ، فقالا لها : أين الماء ؟ فقالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ، ونفرُنا خُلوف .

فقالا لها : انطلقي إذن . قالت : إلى أين ؟

قالا : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : هذا الذى يقال له الصابئ ؟ قالا : هو الذى تَعْنين ، فانطلقي .

فجاءا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدَّثاه الحديث ، فاستنزلوها عن بعيرها(٤) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء ، فأفرغ منه من أفواه المزادتين أو السطيحتين ، وأَوْكأ(٥) أفواههما ، وأطلق العَزَالِي(٦) ، ونودى فى الناس :

أن اسقوا ، واستقوا .

---

(١) فابغيا . أى : اطلبا . (٢) المزادة : القربة المتخذة للماء .

(٣) السطيحة : تشبه المزادة ، أو وعاء من جلدين سطح أحدهما على الآخر .

(٤) أى اطلبوا منها النزول ، وقد استجازوا أخذ مائها لأنها كانت حربية ، أو لضرورة العطش .

(٥) أوكأ . أى : ربط أفواه القربتين برباطهما .

(٦) العزالى : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية .

فسقَى من شاء واستقى من شاء ، وكان آخر ذلك أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناءً من ماء ، فقال : اذهب فأفرغه عليك .

قال : وهى قائمة تنظر ما يُفعَل بمائها .

قال : وايم الله ، لقد أُقلِع عنها وإنه ليخيَّل إلينا ، أنها أشدُّ مِلئةً منها حين ابتدأ فيها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجمعوا لها .

فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسَويقة ، حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً ، وجعلوه فى ثوب ، وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعلمين والله ما رَزِئْنا(١) من مائك شيئاً ، ولـكن الله عز وجل هو الذى سقانا » .

قال : فأتت أهلها وقد احتبست عنهم ، فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟

قالت : العجب ! لقينى رجلان ، فذهبا بى إلى هذا الذى يقال له الصابئ ، ففعل بمائى كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحَرُ مَنْ بَيْن هذه وهذه .

وقالت بإصبعيها السبابة والوسطى فرفعتهما إلى السماء . تعنى السماء والأرض . أو إنه لرسول الله حقاً .

قال : فـكان المسلمون يُغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرْمَ(٢) الذى هى منه ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم يَدَعونـكم عَمْداً ، فهل لـكم فى الإسلام ؟

---

(١) رزئنا : نقصنا .

(٢) الصرم : القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين . ا هـ . المصباح .

فأطاعوها فدخلوا فى الإسلام .
أخرجاه(١) .

• عن البراء قال : انتهينا إلى الحُدَيبية وهى بئر قد نُزحت ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فنزع منها دلواً ، فتمضمض النبى صلى الله عليه وسلم منه ، ثم مجّه فيه ودعا . قال : فروَينا وأَرْوَينا .

• عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه .

حتى إذا كانوا بذى الحُلَيفة ، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهَدْى وأَشْعره ، وأَحْرم بالعُمرة ، فسار يَعْدِل بهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمَد(٢) قليل الماء يتبرّضه الناس تبرُّضاً(٣) فلم يُلْبثه الناسُ أن نزحوه .

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطشَ فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه .

قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّى ، حتى صدَروا عنه .

• عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير .

فأتينا على ركّى زمّة ، يعنى قليلة الماء فنزل فيها ستة ، أنا سادسهم فأُدليت إلينا دلو ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة الركَى ، فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها .

فرُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغمس يده فيها وقال ما شاء الله أن يقول .

---

(١) البخارى فى التيمم وعلامات النبوة . ومسلم فى الصلاة من حديث عوف ، حدثنا أبو رجاء .
(٢) الثمد : الماء القليل .
(٣) يتبرضه الناس : يأخذونه قليلا قليلا . والبرض : الشىء القليل .

فعادت إلينا الدلو بماء فيها .

قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق .

قال : ثم ساحت ، حتى جرت نهراً .

• عن زياد بن الحارث الصُّدائى قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفدٌ من قومى بإسلامهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعَنا ماؤها فاجتمعنا إليه .

فإذا كان الصيف ، قلّ ماؤها ، فتفرقنا على مياه حولنا .

وإنا لا نستطيع أن نتفرق اليوم ، كلُّ من حولنا لنا عدُو .

فادع الله أن يسعنا ماؤها .

فدعا بسبع حصيات ، ففرقهن فى يده ، ودعا ثم قال :

إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .

فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

• عن أبى إياس قال : جاء رجل بإداوة فيها نقطة من ماء ، فأفرغها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدح ، فتوضأنا كلنا نُدَغفِقُه دَغْفَقَةً(١) أربع عشرة مائة .

ثم جاء بعدُ ، ثمانيةٌ ، فقالوا . هل من طَهُور ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد فرَغ الوَضوء .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إنكم تسيرون عشيَّتكم وليلتكم ، وتأتون الماء غداً ، إن شاء الله .

---

(١) دغفق الماء . إذا دفقه وصبه صباً كثيراً واسعاً .

فانطلق الناسُ لا يَلْوى أحد على أحد .

فبَيْنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابْهارَّ الليل(١) وأنا إلى جَنْبه .

فنعس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فمال عن راحلته .

فأتيت فدَعَمْته قبل أن أوقظه(٢) حتى اعتدل على راحلته .

ثم سار حتى تهوَّر الليلُ ، فمال عن راحلته فَدَعَمْتُهُ من غير أن أوقظه حتى اعتدل .

ثم سار حتى كان من آخر السَّحَر ، مال مَيْلةً أشد من [الميلَتَيْن](٣) الأولبين حتى كاد يَنْجفل(٤) ، فأتيته فدعَمْته .

فرفع رأسه فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة .

قال : متى كان هذا مسيرُك منّى ؟

قلت : ما زال هذا مسيرى منذ الليلة .

قال : حفظك [الله] بما حفظتَ به نَبيَّه .

ثم قال : هل تَرانا نَخْفَى على الناس ؟ ثم قال : هل ترى من أحد ؟

قلت : هذا راكب . ثم قلت : هذا راكب آخر ، حتى اجتمعنا ، فكنا سبعة رَكْب .

---

(١) ابهار : بالوحدة وتشديد الراء : ابيض . وقيل : انتصف أو ذهب معظمه ، إذ بهرة كل شيء أكثره . وفى القاموس : ابهار الليل : انتصف ، أو تراكمت ظلمته او ذهب عامته وبقى نحو ثلثه .

(٢) الرواية كما فى صحيح مسلم : من غير أن أوقظه .

(٣) من صحيح مسلم . (٤) ينجفل أى : يزول عن راحلته .

فمالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق فوضع رأسه [ثم] قال : احفظ علينا صلاتنا(١) .

فكان أول من استيقظ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والشمسُ في ظَهْره فقُمْنا فَزِعين ، ثم قال : اركبوا .

فركبنا فسِرْنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل فدعا بمِيضأة كانت معى فيها شيء من ماء ، فتوضأ منها(٢) وبقى فيها شيء من ماء .

ثم قال لأبى قتادة : احفظ علينا مِيضأتك فسيكون لها نبأ .

ثم أذّن بلال بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، ثم صلى الغداة ، فصنع كما [كان] يصنع كل يوم ، وركب وركبنا معه .

فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارةُ ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا ؟ فقال(٣) : أمَا لكم فىَّ أسوة ؟ ثم قال :

أما إنه ليس التفريط فى النوم ، إنما التفريط على من لم يصلِّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها .

فانتهينا إلى الناس وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكنا عطشاً .

فقال : لا هُلْك عليكم .

ثم قال : أطْلقوا لى غُمَرِى(٤) . ودعا بالميضأة(٥) .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم .

---

(١) صحيح مسلم . احفظوا . (٢) زاد فى مسلم وضوءاً دون وضوء .

(٣) صحيح مسلم : ثم قال . (٤) الغمر : القدح الصغير .

(٥) قال فى المصباح : والميضأة : بكسر الميم مهموز ويمد ويقصر : المطهرة يتوضأ منها (يعنى كالإبريق ونحوه) وزاد فى القاموس : الموضع يتوضأ فيه ومنه .

فلم يعْدُ أن رأى الناس ماءً في الميضأة ، فتكابُّوا(١) عليها .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أحسنوا الْمَلأَ كلُّكم سَيَرْوَى .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبُّ وأسقيهم ، حتى ما بقي غيري وغيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم صبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : اشرب .

قلت . لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : إن ساقي القوم آخرهم شُرْباً .

فشربتُ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الناس [الماءَ] جامِّين رِوَاءً(٢) .

---

(١) مسلم : تكابوا . قلت : أي : ازدحموا .

(٢) جامين : نشاطاً مستريحين . هذا والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الصلاة في قضاء الفائتة ، واستحباب تعجيله ، شرح النووي على مسلم٥/٨٣

الباب السابع

في ذكر نبع الماء[1]

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

• عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان بالزَّوراء فَأُتِيَ بإناء فيه ماء لا يَغْمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضأوا .

فوضع كفه في الماء ، فجعل الماء يَنْبع من بين أصابعه ، وأطراف أصابعه ، حتى توضأ القوم .

فقلت لأنس . كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة .

أخرجاه .

• عن عبد الله قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اطلبوا من معه ماء ، ففعلنا .

---

(١) قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ورويت من طرق كثيرة يفيد مجموعها ، العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوى .

ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه .

وذكر المزني صاحب الشافعي ، أن هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى ، لأن الحجر مألوف منه خروج الماء ، ولا كذلك البدن .

فَأُتِيَ بماء ، فصبه فى إناء ، ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه .

ثم قال : حَيَّ على الطهور المبارك والبركة من الله .

فملأتُ بطنى منه ، واستقى الناس(١) .

أخرجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال . يا رسول الله ليس فى العسكر ماء .

قال : هل عندك شىء ؟

قال : نعم . قال : فأتنى به .

قال : فأتاه بإناء فيه شىء من ماء قليل .

قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه فى فم الإناء ، وفتح أصابعه ، فانفجرت من أصابعه عيون ، وأمر بلال فقال : نادِ فى الناس الْوَضوء المبارك .

• عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفَر ، فلم يجدوا ماء فَأُتِيَ بتَوْر(١) من ماء .

فوضع النبى صلى الله عليه وسلم فيه يده ، وفرَّج بين أصابعه ، قال :

فرأيت الماء يتفجر من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) استقى الناس . أى شربوا .

(٢) قال فى القاموس : التور : إناء يشرب فيه . زاد فى المصباح (تذكره العرب) والجمع أتوار .

فقال : حَيَّ على الْوَضوء ، والبرَكة من الله تعالى .

قال الأعمش : فأخبرنى سالم بن أبى الجَعْد قال : قلت لجابر بن عبد الله : كم كان الناس يومئذ ؟ قال : كنا ألفا وخمس مائة .

أخرجه البخارى .

عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوة(١) ، فتوضأ منها ، ثم أقبل على الناس نحوه فقال : مالكم ؟

قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ما يتوضأ به ، ولا نشرب إلا ما فى ركوتك .

فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، كأمثال العيون .

قال : فشربنا وتوضأنا .

فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟

قال : لو كنا مائة [ألف] لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

أخرجاه .

عن جابر قال : أتينا العسكر فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يا جابر : ناد ، توضأوا . فقال : ألا وَضُوء ألا وضوء .

فقلت : يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قَطْرة .

---

(١) قال فى المصباح : الركوة معروفة وهى دلو صغيرة والجمع ركاء . مثل كاب وكلاب اهـ . يعنى : السطل أو الجردل الصغير على التعبير العامى .

وكان رجل من الأنصار يُبْرِد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الماء فى أشْجَاب له ، فقال لى : انطلق إليه .

فانطلقت ، فلم أجد إلا قطرة فى عزلاء شَجْبٍ(١) لو أنى أفرغه لشربه يابسه .

فقال : اذهب فأتنى به . فأخذه بيده .

فجعل يتكلم بشىء ما أدرى ما هو ، ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه وقال :

يا جابر ، ناد بجَفْنَة(٢) . فقلت : يا جفنةَ الرَّكبِ . فأُتِيتُ بها تُحْمَل .

فوضعها بين يديه ، فقال بيده فى الجفنة ، فبسطها وفرّق بين أصابعى ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال : يا جابر صُبَّ علىّ ، وقل بسم الله . فصببت عليه ، وقلت : بسم الله .

فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، ثم فارق الجفنة ودارت حتى امتلأتْ فقال : يا جابر ، ناد : من كان له حاجةٌ بماء .

فأتى الناس فسقوا ، حتى رووا .

ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه من الجفنة(٣) .

---

(١) العزلاء : فم القربة الأسفل ، أو مصب الماء من الزاوية . والشجب : عود يعلق عليه القرب والثياب والأوانى بالماء .

(٢) قال فى القاموس : الجفنة : القصعة . ومثله فى الصحاح . والجمع : جفان وجفنات بفتح الجيم والفاء والنون .

(٣) أخرجه مسلم فى غزوة بواط مفصلا مخالفا لما هنا .

الباب الثامن

فى معجزه فى تكثير اللبن

عن أبى هريرة قال : والله إنى كنت لأعتمد على كبدى بالأرض(١) من الجوع ، ولقد قعدت على طريقهم الذى يخرجون منه .

فمرّ أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته ، إلا لِيَسْتَتْبَعنِى(٢) ، فلم يفعل .

فمرّ عمر ، فسألته فلم يفعل .

فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فعرف ما بوجهى وما فى نفسى ، فقال : يا أبا هريرة . فقلت : لبّيك يا رسول الله . قال الحقْ . فاتبعته ، فاستأذنت فأذن لى ، فوجد لبنا فى قدح فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟

فقالوا : أهداه فلان ، أو آل فلان(٣) .

قال : أبا هرّ . قلت لبّيك يا رسول الله .قال : انطلق إلى أهل الصُّفّة .

قال : وأهلُ الصُّفة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلى أهل ولا مال .

إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هديةٌ أصاب منها ، وبعث إليهم منها .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى « لأعتمد بكبدى على الأرض » وفى أبى نعيم : على كبدى من الجوع .

(٢) أى ليطلب منى أن أذهب معه إلى بيته . (٣) أبو نعيم : فلان أو فلانة .

وإذا جاءته الصدقة ، أرسل بها إليهم ، ولم يُصِبْ منها .

قال : فأحْزنني[١] ذلك : وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربةً أتقوّى بها بقيةَ يومي وليلتي . فقلت : أنا الرسول[٢] إذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم ، فما يبقى لي من هذا اللبن .

ولم يكن بدٌّ من طاعة الله وطاعة رسوله ، فانطلقت ، فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا ، فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : أبا هِرّ ، خذ فأعطهم .

فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم .

فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ القدح .

وأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد القدح ، حتى أتيت على آخرهم .

ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ القدح ، فوضعه في يده وبقي فيه فضلة .

ثم رفع رأسه ، فنظر وتبسم وقال : أبا هِرّ .

قلت : لبيك يا رسول الله .

قال : بقيتُ أنا وأنت . فقلت : صدقت يا رسول الله .

قال : اقعد واشرب . قال : فقعدت فشربت .

ثم قال لي : اشرب . فشربت .

---

(١) أبو نعيم : فساءني ذلك .

(٢) أبو نعيم : أنا والرسول فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم . وفي الخصائص . وإني لرسول .

فما زال يقول اشربْ وأشربُ حتى قلت :

لا والذى بعثك بالحق ، ما أجد لها فىَّ مسلكا .

قال : ناولنى القدح . فرددت إليه القدح ، فشرب الفضلة .

● عن نافع ـ وكانت له صُحْبة ـ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، وكنا زُهَاء أربع مائة رجل ، فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء ، فشقَّ ذلك على أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله ، العطش .

قال : فجاءت شُوَيهة لها قرنان ، فقامت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها ، فشرب حتى رَوِىَ وسقى أصحابه حتى رَوُوا .

ثم قال : يا نافع ، املكها الليلة وما أراك تملكها .

قال : فأخذتُهَا فوتدت لها وتداً ، ثم ربطتها بحبل .

ثم قمت فى بعض الليل فلم أر الشاة ، ورأيت الحبل مطروحا .

فجئت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته من قبل أن يسألنى .

فقال لى : يا نافع ، ذهب بها الذى جاء بها .

(١) رواه أبو نعيم فى الدلائل برواية مفصلة انظر الدلائل ٣٦٥ — ٣٦٦

الباب التاسع

فى ظهور معجزته بمجىء الشجر إليه[١]

● عن يَعْلى بن مُرَّة الثقفى قال : بَيْنَا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض ، حتى غشيَتْه ، ثم رجعت إلى مكانها .

فلما استيقظ ، ذكرت ذلك له فقال : هى شجرة استأذنت ربها عز وجل ، فى أن تسلِّم عَلَىَّ ، فأذن لها[٢] .

● عن يعلى بن مرة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الجبانة[٣] حتى أبرَزْنا .

قال : ويحك ، انظر هل ترى من شىء يوارينى ؟

قلت : ما أرى شيئاً يواريك ، إلا شجرة ، ما أراها تواريك .

---

(١) ليس هناك فى رواية تلك الأخبار مصادمة للعقل أو جنوح إلى الخرافة ، فهى أمور ممكنة لقدرة الله عز وجل والقصد بها إكرام رسوله ، لكنها ليست ذات شأن بالنسبة لدعوة الإسلام وإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى ليست متواترة ، ولا يلزم الإيمان بها إلا بعد ثبوت صحة النقل .

(٢) رواه البغوى فى شرح السنة . والطبرانى وأحمد والبيهقى .

(٣) قال فى المصباح : الجبانة : مثقل الباء وثبوت الهاء أكثر من حذفها ، هى : المصلى (بتشديد اللام) فى الصحراء .

وربما أطلقت على المقبرة لأن المصلى – غالباً – تكون فى المقبرة .

قال : فما قُرْبها ؟ قلت : شجرة مثلها ، أو قريباً منها .

قال : فاذهب إليهما فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ، أن تجتمعا بإذن الله تعالى .

قال : فاجتمعتا . فبرز لحاجته ، ثم رجع فقال :

اذهب إليهما فقل لهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما أن ترجع كل واحدة منكما إلى مكانها ، فرجعت .

● عن جابر بن عبد الله قال : سِرْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أَفْيَحَ(١) ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ، فاتبعته بإداوة(٢) من ماء : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ير شيئاً يستتر به :

وإذا شجرتان بشاطىء الوادى .

فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداها .

فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادى معى بإذن الله تعالى .

فانقادت معه ، كالبعير المَخْشوش(٣) الذى يصانع قائدَه .

حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال :

انقادى عَلَىَّ بإذن الله تعالى . فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف(٤) مما بينهما ، لأم بينهما فقال : التئما بإذن الله تعالى علىّ . فالتأمتا .

---

(١) أفيح . أى : واسع .

(٢) قال فى المصباح : الإداوة (بكسر الهمزة) المطهرة وجمعها : أداوى بفتح الواو . اهـ . قلت : معناه فى لغتنا الدارجة : الإبريق ونحوه .

(٣) المخشوش : الذى وضع له الخشاش وهو عود يجعل فى فم البعير لينقاد بسهولة .

(٤) إذا كان بالمنصف . يعنى : وسط الشجرتين .

قال جابر : فخرجت أُحْضِر[١] مخافة أن يحسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرْبي فيبتعد ، فجلست فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق[٢] .

● عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا حتى نزلنا موضعا ليس فيه شجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر اتبعني بماء . فاتبعته حتى انتهينا إلى موضع فيه شجر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، إيت هاتين الشجرتين فقل لهما :

إن رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لـكما انضمّا .

فأقبلتا تَخُدّان الأرضَ خدًّا حتى انضمّتا .

فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

يا جابر إيتهما ، فقل لهما : يعودان إلى موضعهما

● عن ابن بُرَيْدَة عن أبيه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أسلمتُ فأرِني شيئاً أزْدَدْ به يقيناً .

قال : فما الذي تُريد ؟ قال : ادع تلك الشجرة فلتأتك .

قال : اذهب فادعُها .

فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فمالت على جانب من جوانبها فقَطعت عروقَها ، ثم مالت على الجنب[٣]

---

(١) أحضر : أعدو وأجرى . (٢) رواه مسلم .

(٣) أبو نعيم : الجانب .

الآخر فقطعت عروقها ، حتى أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : السلام عليك يا رسول الله .

فقال الأعرابى : حسبي حسبي .

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ارجعى .

فرجعت ، فجلست على عروقها(١) .

• عن ابن عمر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأقبل أعرابى فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين تريد ؟

قال : إلى أهلي . قال : فهل لك فى خير ؟ قال : وما هو ؟

قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال : ومن يشهد [على] ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة .

فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى بشاطىء الوادى ، فأقبلت تخدُّ الأرضَ خدًّا ، حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً أنه كما قال . ثم رجعت إلى منبتها .

ورجع الأعرابى إلى قومه وقال : إن اتبعونى أتيتُك بهم ، وإلا رجعت فكنت معك(٢) .

• عن ابن عباس ، قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بم أعرف أنك رسول الله ؟

---

(١) رواه البزار فى مسنده وأبو نعيم فى الدلائل ، ونقله فى الشفاء .
(٢) رواه الحاكم فى مستدركه بإسناد جيد .

قال : أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْق من هذه النخلة فجاء ، تشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم .

فدعاه فجعل ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض ثم جعل يَنْقزُ(١) حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : عُدْ . فعاد إلى مكانه .

قال : أشهد أنك رسول الله . وآمن(٢) .

● عن أبى عبيدة بن عبد الله قال لى مسروق : أخبرنى أبوك أن شجرة أنذرت النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالجن .

* * *

فإن قال أهل الإلحاد : هذا سحر .

قلنا : السحر خيال وشعبذة لا حقيقة . قال الله تعالى :

« يُخَيَّل إليهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنها تسعى »(٣) .

قال ابن عقيل : لو كان السحر قَلْباً للأعيان ، لساوى الإعجازَ ، وتعذر علينا العلمُ بصدق الصادق ، لأن الله سبحانه لم يجعل لنا طريقاً إلى العلم إلا كون المُعْجِز دالاً على الصدق بكونه معجزاً عنه .

فتى قلنا : إن الساحر يَقْلب الأعيان ، كما نقول فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، لم تَبْق ميزة ، وانسدَّ الطريقُ إلى حصول التحقيق .

قال : فإن قال قائل : فأىُّ ثقة تبقى لنا بالمدرَكات مع قوله : « وما قَتَلوه

---

(١) ينقز : يثب .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وكذا رواه البخارى فى التاريخ ، وأبو يعلى ، وابن حبان والبيهقى .

(٣) سورة طه ٦٦

وما صَلَبُوه ولـكن شُبِّه لهم »(١) . وقد أخبر عز وجل أن المقتول غيره ؟

فالجواب : أن القادر سَلَب حينئذ المداركَ ، حسبَ الأصلح ، على ما اقتضت الحـكمة صيانته ، وتعجيز الـكفار عما عزموا عليه .

ولو عُدمت الثقة بالمدارك ، جاز عدم الثقة بحلاوة العسل ، لما يتطرّق من الغرض من المطاعم والأمزجة ، فَيُدْرَك في حالٍ مُرًّا .

فإن قال قائل : فما فائدة وقوع ما يجانس المعجزةَ من السِّحر والـكهانة وغير ذلك ؟

فالجواب : أن المراد ، التـكليف ، لتخليص المعجزة من الشعبذة ، ليَحْظَى الفارقُ بثواب الاجتهاد .

وما يزال السحرة يطعن بعضهم في بعض ، والرسلُ متساعدون .

---

(١) سورة النساء ١٥٧

البابُ العاشر

في تحرك الجبل لأجله
وسكونه لأمره

● عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حِرَاء ، فتحرك الجبلُ ، فضربه برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبيٌّ ، أو صِدِّيق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطَلْحَة ، والزُّبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن أسمى التاسع لَسَمَّيْتُ .

فأكثروا عليه : أخبِرْنا . فقال : أنا .

الباب الحادى عشر

فى ذكر شكوى البهائم إليه

وذل المستصعب منها له

• عن [عبد الله بن[١]] جعفر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جمل .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حنّ وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذِفْراه[٢] ، فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟

فجاء فتًى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله .

قال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملّكك الله عز وجل ، إنه شكا إلىّ أنك تجيعه وتُدْئبه[٣] .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن يَعْلى بن مرة قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ جاء جمل نخبت[٤] حتى ضرب بجرانه بين يديه ،

---

(١) من المواهب ، وفى الأصل : عن ابن جعفر .

(٢) ذفراه . مثنى « ذفر » وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه .

(٣) تدئبه : تتعبه .

(٤) قوله : نخبت . هكذا فى الأصل ولعل الصواب (أخبت) أى : خشع وتواضع ولم تذكر المعاجم (خبت) ثلاثيا بالمعنى المراد هنا .

ثم ذرفت عيناه ، فقال : ويحك ، انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأنا .

فخرجت ألتمس صاحبَه ، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه .

فقال : ما شأن جملك هذا ؟

قال : لا أدرى والله ما شأنه ، عملْنا عليه حتى عجز عن السقاية .

فائتمرنا البارحة ، أن ننحره ، ونقسم لحمه .

قال : فلا تفعل ، هَبْه لى أو بِعْنيه . قال : بل هو لك يا رسول الله .

قال : فوسمه بميسم الصدقة ، ثم بعث [به] إليه .

● عن أنس قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون(١) عليه ، وإن الجمل استصعب عليهم ، فمنعهم ظهره ، فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا إليه ، استصعابه ، وقالوا : قد عطش الزرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا .

فقاموا ، فدخلوا الحائط والجمل فى ناحيته .

فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه .

فقالت الأنصارية(٢) : إنه يا نبى الله ، قد صار مثل الكلب ، وإنا نخاف عليك صولتَه .

فقال : ليس علىّ منه بأس .

فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته ، أذلَّ ما كان حتى أدخله فى العمل .

---

(١) يسنون : يسقون . (٢) للمواهب : الأنصار .

فقال له أصحابه : يا نبي الله ، هذا بهيمة لا يعقل ، يسجد لك ، ونحن نعقل ، فنحن أحق أن نسجد لك .

قال : لا يصلح : لبشَرٍ أن يسجد لبشر ، ولو صلح أن يسجد بشرٌ لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها[1] .

● عن جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من سفر .

حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان الأنصار ، وإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدّ عليه .

قال : فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ، حتى أتى الحائط ، فرغا البعير وجاء واضعاً شَفْره[2] إلى الأرض حتى برك بين يديه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هاتوا خطاما » فخطمه . ودفعه إلى صاحبه .

قال : ثم التفت إلى الناس فقال :

إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله ، إلا عاصى الجن والإنس .

● عن جابر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فإذا جمل بادٍ ، حتى إذا كان بين السماطين ، خرَّ ساجداً .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للناس : من صاحب الجمل ؟

---

(١) رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد . ورواته ثقات مشهورون كما قاله المنذرى .

(٢) الأصل مشرفة . وهو تصحيف . وما أثبته عن أحمد .

فإذا فِتية من الأنصار قالوا : هذا لنا يا رسول الله .

قال : فما شأنه ؟ قالوا سَنَيْنا عليه منذ عشرين سنة ، وكانت به شحمة ، فأردنا أن ننحره ، فنقسمه بين غلماننا فانفلت منا .

قال : تبيعونه ؟ قالوا : لا ، بل هو لك يا رسول الله .

قال : أمَا لا ، فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .

فقال المسلمون عند ذلك : يا رسول الله ، نحن أحق بالسجود لك من البهائم .

قال : لا ينبغي أن يُسْجَد لشيء ، ولو كان ذلك ، كان النساء أحق أن يسجدن لأزواجهن .

وفي رواية أخرى أنه قال : إن بعيركم هذا يشكوكم ، يزعم أنكم استعملتموه شابًّا ، حتى إذا كبر أردتم نحره[١] .

---

(١) هذا الحديث ضعيف السند ، وكذلك أكثر أحاديث هذا الباب .

الباب الثانى عشر

فى ذكر معجزته التى ظهرت فى المركوب

• عن أنس قال : فزع أهل المدينة ليلةً ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل الصوت على فرس عُرْيٍ لأبى طلحة ، ورجع وهو يقول : لن تراعوا(١) .

قال أنس : وكان الفرس يُبَطَّأُ ، فما سُبق بعد ذلك .

• عن جابر قال : كنت أسير على جمل فأعْيَا ، فأردت أن أُسَيِّبَهُ . فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه برجله ، ودعا له فسار سيراً لم يَسِرْ مثلَه(٢) .

أخرجاها .

---

(١) أى : لا تخافوا .   (٢) كان هذا فى غزوة ذات الرقاع .

الباب الثالث عشر

فى رميه فى وجوه المشركين
بكفّ من تراب فملأ أعينهم

• عن أنس قال انهزم المسلمون بِحُنَيْنٍ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دُلدُل .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : دُلدُل ، البَدِى . فألزقت بطنها بالأرض .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من تراب ، فرمى بها فى وجوههم وقال : حَم لا يُنْصَرُون .

فانهزمَ القومُ ، وما رمَيْنا بسهم ولا طعنًا برمح .

وفى رواية : فما خلق الله منهم . إنساناً ، إلا ملأ عينه ترابا .

وسنذكر طرق هذا الحديث فى غزاة حنين ، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع عشر

في إشارته إلى الأصنام فوقعت

• عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم [مكة يوم الفتح][1] وحولَ الكعبة ستون ، وثلاثمائة صنم ، فجعل يطعنها بعودٍ في يده ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً[2] » .

أخرجاه .

• عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » . جاء الحقُّ ، وما يبدئُ الباطلُ وما يعيد . فجعلت تستاقى من غير أن يمسَّها .

---

(١) من البخاري .

(٢) سورة الإسراء : ٨١

الباب الخامس عشر

في إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغائبات

قال المصنف رحمه الله : قد سبق ذكر أشياء منها : أنه أخبر بأن الأَرَضة[1] أكلت ما في الصحيفة التي كتبها المشركون بالبراءة من بني هاشم من ظلم وجَوْر .

● عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لَتَفْتَحَنَّ عصابةٌ من المسلمين كنزَ آل كسرى الذي في القصر الأبيض .

● عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

والذي نفس محمد بيده ، لَتُنْفِقُنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

● عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا هلك كسرى ، فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده .

وايم الله لَتُنْفِقُنَّ كنوزهما في سبيل الله[2] » .

أخرجاهما في الصحيحين .

---

(١) قال في المصباح : الأرضة : دويبة (دودة) تأكل الخشب ، يقال : أرضت الخشبة بالبناء للمفعول ، فهي مأروضة . وجمع (الأرضة) أرض . مثل : قصبة وقصب ، وقصبات .

(٢) سقط هذا الخبر من ت .

قال المصنف رحمه الله : وربما أشكل هذا الحديث وقال قائل :

فقد مَلَكَ بعد كسرى وقيصر جماعة سُمُّوا بهذا الاسم ، فإن كلَّ ملِك كان لفارس ، يسمى كسرى ، وكل ملك كان للروم ، يسمى قيصر .

فالجواب : أنه ما مَلَكَ مَن كان لِمُلْكه طائل ولا ثبوت ، وما زال مُلْكهم متزلزلا حتى انمحق .

• عن أنس قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فتراءينا الهلال ، وكنت حديدَ البصر فرأيته ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه ، وأنا مستلقٍ على فراشي .

ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال :

إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيُرينا مصارعهم بالأمس يقول : هذا مَصْرع فلان غداً ، إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً ، إن شاء الله .

قال : فجعلوا يُصْرعون عليها .

قال : قلت : والذى بعثك بالحق ما أخطأوا تيك ، كانوا يصرعون عليها .

انفرد بإخراجه مسلم .

• عن أبى هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر .

فقال لرجل ممن يدَّعى الإسلام : هذا من أهل النار .

فلما حضرنا القتال ، قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة .

فقيل : يا رسول الله ، الرجلُ الذى قلتَ إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إلى النار .

فكاد بعض القوم أن يرتاب .

فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراح شديد .

فلما كان من الليل ، لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال :

الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله :

ثم أمر بلالا فنادى في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

أخرجاه ، من حديث سهل بن سعد .

● عن أبي حُميد الساعِدي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ تبوكَ فقال : إنها ستهبُّ عليكم ريح شديدة ، فلا يقومن فيها رجل ، ومن له بعير فليوثق عقاله(١) .

قال أبو حميد : فعقلناها(٢) ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريح شديدة(٣) فقام فيها رجل ، فألقته في جبل طيء(٤) .

أخرجاه .

● عن ثوْبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فليوثق عقاله . أي : ليربطها برباط قوى لا ينفك .

(٢) فعقلناها . أي : ربطناها .

(٣) قال في المصباح : هبت الريح هبوباً . من باب قعد (الباب الأول) هاجت : وهب من نومه هباً من باب قتل (الباب الأول) أي : استيقظ . وهب السيف يهب من باب ضرب (الباب الثاني) هِبَّةً : اهتز ومضى . ومنه قيل : أتى امرأته هبَّة . أي : وقعة .

إن الله عز وجل زَوَى(١) لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن مُلك أمتى سيبلغ ما زُوى لى منها ، وإنى أعطيت الكنزين ، الأحمر والأبيض .

قال المصنف رحمه الله : هذا قاله وهو محسور(٢) ولا سلطان له على بلد ، فكان كما قال ، وقد بلغ ملكُ أمته ، من أول المشرق ، من بلاد الترك ، إلى آخر بلاد المغرب ، من بلاد البربر ، وبحر الأندلس .

● عن أبى سعيد الخدرى قال : أخبرنى أبو قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية .

انفرد بإخراجه مسلم .

● عن أبى ذر قال : جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا مضطجع فى المسجد ، فغمزنى برجله ، فاستويت جالساً فقال لى :

يا أبا ذر ، كيف تصنع إذا أُخرجتَ منها ؟

فقلت : أرجع إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى بيتى .

قال : فكيف تصنع ، إذا أُخرجت منهما ؟

فقلت : إذن آخذ سيفى ، أضرب به من يخرجنى . فقال : عفراً ! بل تقَاد معهم حيث قادوك ، وتُسَاق معهم حيث ساقوك ، ولو عبدٌ أسود .

---

(٤) زوى : جمع . قال فى الصحاح : وزويت الشىء : جمعته وقبضته . وفى الحديث « زُوِيَتْ لى الأرض ، فأريت مشارقها ومغاربها اهـ .
فيكون المعنى هنا : إن الله جمع لى أطراف الأرض فرأيت الخ .

(٢) محسور . أى : متعب حزين .

(٣) الباغيه : الظالمة المعتدية على السلطان الحق ، لأنها عدلت وانحرفت عن الصراط السوى .

قال أبو ذر : فلما نُفِيت إلى الربذة(١) أقمت الصلاة ، فتقدم رجل أسود كان على نعَمَ الصدقة ، فلما رآنى أخذ يرجع ليقدّمنى ، فقلت : كما أنت ، بل أنقاد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! !

● عن أبى هريرة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال :

من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثى ، ثم يقبضه إليه ؟ فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه منى أبداً .

قال : فبسطت ثوبى ، أو قال : نمِرَتى ، ثم حدّثنا ، فقبضته إلىّ ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه .

أخرجاه .

● عن عبد الله بن رافع أنه سمع عليا يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا والزبير ، والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة ، معها كتاب ، تأخذوه منها .

فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا ، حتى أتينا الروضَة ، فإذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجى الكتاب . قالت : ما معى من كتاب .

فقلنا : لتخرجِنّ الكتاب ، أو لتلقين(٢) الثياب . فأخرجت الكتاب .

فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :

من حاطب ابن بَلْتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأصل : البريدة . (٢) الرواية المشهورة (لتلقين) بالنون فى أوله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟

قال : لا تعجل عليَّ يا رسول الله ، إنى كنت امرأ مُلْصَقاً فى قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من كان من المهاجرين ، لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ، أن أتَّخِذَ فيهم يداً يَحْمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفراً ، ولا ارتدادا عن دينى ، ولا أَرْضى بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه قد صَدَقكم .

فقال عمر : دَعْنى أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك أن الله اطَّلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

أخرجاه .

• عن أبى بَكْرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وكان الحسن بن عَلِيٍّ يثِبُ على ظهره إذا سجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِم من سَفَر ، فلما كان قُرْب المدينة ، هاجت ريح تكاد تدفع الراكب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَبَّت هذه الريح ، لموت منافق مات بالمدينة » .

فقدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين ، مات ذلك اليوم .

• عن عديٍّ بن حاتم قال : بَيْنا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم ،

إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة(١) ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قَطْع السبيل .

فقال : يا عدى هل رأيت الحِيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها .

فقال : إنْ(٢) طالت بك حياةٌ لترينَّ الظعينة (٣) ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف [أحدا](٤) إلا الله .

قلت ، بينى و بين نفسى : فأين دُعَّار طيىء الذين قد سَعَّروا البلاد(٥) ؟!

وإن طالت بك حياة ، لتُفتحنَّ كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هُرْمز ؟ ! .

قال : كسرى بن هرمز .

وإن طالت بك حياة لترينَّ الرجل يُخْرِج مِلْء كفِّه ذهباً وفضة ، يطلب من يَقْبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه(٦) .

قال عدى : فرأيت الظَّعينة ترتحل من الحِيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز .

---

(١) الفاقة : الفقر . (٢) البخارى : « قال فإن » .

(٣) يعنى : أن المرأة تسافر من الحيرة الخ قال فى المختار من الصحاح الظعينة . أى : المرأة ما دامت فى الهودج على الإبل . ومثله فى القاموس والصحاح .

وفي المصباح : الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ، ثم سميت بهذا الاسم ، وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظمونة . اهـ .

(٤) من البخارى .

(٥) دعار طيىء : مفسدوهم الذين يقطعون الطريق . وسعروا البلاد : ملأوها شراً وفساداً ، وهو مستعار ، من استعار النار .

(٦) اختصر المؤلف الحديث فلم يذكر : وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان ... إلى نهايته .

وإن طالت بكم حياة لَتَرَوُنَّ ما قال أبو القاسم ، صلى الله عليه وسلم ، يُخْرج مِلْء كفه ! . أخرجاه .

• عن أبى موسى أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل يستفتح .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : افتح له وبَشِّره بالجنة .

فإذا هو أبو بكر رضى الله عنه .

ثم استفتح رجل آخر فقال : افتح له وبشره بالجنة .

فإذا عمر ، ففتحت له وبشرته بالجنة .

ثم استفتح رجل آخر ، وكان متكئاً فجلس ، فقال :

افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان .

ففتحت له وبشرته بالجنة ، فأخبرته بالذى قال : فقال : الله المستعان .

أخرجاه .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة ، حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشَّعْر(١) ، وحتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين [حمر الوجوه](٢) ذُلْف الأنوف(٣) كأن وجوههم المَجَانُّ(٤) المُطْرَقة(٥) .

---

(١) نعالهم الشعر : يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من الشعر . أو المراد : طول شعورهم حتى تصير أطرافها فى أرجلهم .

(٢) من البخارى . (٣) ذلف الأنوف : صغارها .

(٤) المجان : جمع « مجن » وهو : الترس . و « المطرقة » : التى ألبست الطراق ، وهى جلدة تلصق على قدر الدرقة .

(٥) انفرد به البخارى من هذا الوجه . ونحوه عن أحمد والجماعة ، إلا النسائى .

• عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما ، إذ جاءه ذو الخُوَيصرة ، وهو رجل من بنى تميم .

فقال يا رسول الله ، اعدل .

قال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! فقد خِبْتُ وخسرت إن لم أكن أعدِل .

فقال عمر : ائذن لى فيه ، فأضرِبَ عنقه .

فقال : دَعْه ، فإن له أصحاباً يَحْقِر أحدكم صلاتَه مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يُجاوِزُ حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

يُنْظَر إلى نَصْلَه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَر إلى رِصافه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظَر إلى نَضِيِّه ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قُذَذِه ، فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرثَ والدم .

آياتُهم رجل أسود ، إحدى عَضُديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البَضْعة تَدَرْدر(١) يخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس .

قال أبو سعيد : وَأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه .

وأمر بذلك الرجل فَالْتُمِسَ فأُتى به حتى نظرت إليه على نَعْت النبى صلى الله عليه وسلم الذى نَعته(٢) .

---

(١) تدرد : تتحرك وتذهب وتجىء .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى عدة مواضع من صحيحه ، ومسلم أيضاً ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى سعيد .

والرصاف : جمع رصفة ، وهى عَقَبة تُلْوَى على مَدْخَل النصل فى السهم .

والنَّضِىّ : القِدْح قبل أن ينحت . والقُذَذ : ريش السهم .

والمعنى : أنه مَرَق عاجلاً فلم يَعْلَق به دم .

• عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُتى بصفية يوم خيبر وأتى بزوجها وأخيها ، وكان قد أعطاهما الأمان على أن لا يكتما شيئاً ، فإن كتماه استحلّ دماءهما .

فأما أحدهما ، فصدّقه ولم يَكْتمه .

وأما كنانة ـ وهو زوج صفية ـ فكتمه مَسك الجمل ، وكان فيه حلى كثير ، فقال :

يا كنانة ، إنك قد أعطيتنى أن لا تكتمنى شيئاً ، فأين مسك الجمل ؟

فقال : ما كتمتك شيئاً .

فأتاه جبريل فأخبره بمكانه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اذهبوا ، فإنه فى مكان كذا وكذا .

فلما أُتِىَ به ، أمر بهما ، فضربت أعناقهما وقال لبلال : خذ بيد صفية .

فأخذ بيدها فمر بها بين القتيلتين ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى رؤى فى وجهه .

فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخيَّرها بين أن يعتقها ، فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم ، فيتخذها لنفسه .

فقالت : أختار الله ورسوله .

فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : انصرفوا عن أمكم .

حتى إذا كان على ستة أميال من خيبر ، مال يريد أن يُعرس بها ، فأبت ، فوجد عليها فى نفسه .

فلما كان بالصهباء ، مال إلى دومة هناك ، فطاوعته .

فقال : ما حملك على إبائك ؟

قالت : خشيت عليك ، قربَ يهود . فأعرُس بها .

وبات أبو أيوب ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يدور حول خبائه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوطء ، قال : من هذا ؟

قال : خالد بن زيد . قال : مالك ؟

فقال : ما نمت هذه الليلة ، مخافة هذه الجارية عليك .

فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع .

● عن عبد الله بن عباس قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا سفيان فى الطواف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا أبا سفيان ، أما كان بينك وبين هند كذا وكذا ؟

فقال أبو سفيان فى نفسه : أفشَتْ(١) علىَّ هند سِرِّى ، لأفعلنَّ بها ، ولأفعلن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طوافه ، لحق أبا سفيان فقال :

« يا أبا سفيان ، لا تظلم هنداً ، فإنها لم تُفْشِ إلىَّ من سرك شيئاً » .

فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله ، فمن أنبأك بما فى نفسى ؟ !

---

(١) أفشت . أى : أذاعت ونشرت .

• عن عاصم بن كليب قال : حدثنى أبى قال : حدثنى رجل من الأنصار قال :

خرجت مع أبى وأنا غلام ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقانا رجل فقال :

يا رسول الله ، فلانة تدعوك وأصحابك إلى طعام .

فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فقعدنا مقاعد الغلمان من آبائهم فجىء بالطعام .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، وضعوا أيديهم .

فنظر القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلوك أكلةً فكفوا أيديهم .

قال : فلاك الأكلة ، ثم لفظها ، وقال : لحمُ شاة ، أُخذت بغير إذن أهلها .

فقامت المرأة فقالت : يا رسول الله ، أردت أن أجمعك وأصحابك على طعام ، فبعثت إلى البقيع . فلم أجد شيئاً يباع ، فبعثتُ إلى أخى : أن ابعث إلىَّ شاتك .

فلم يكن أخى ، ثَمَّ ، فدفع أهلُه إلىَّ الشاةَ .

• عن أنس قال : نعىَ النبى صلى الله عليه وسلم أصحابَ مُوْتة على المنبر .

فبدأ بزيد ، ثم بجعفر ، ثم بابن رَوَاحة . ثم قال :

وأخذ اللواء خالد بن الوليد ، وهو سيف من سيوف الله تعالى .

• عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أرسل عائشة إلى امرأة فقالت :

ما رأيت طائلا . قال : لقد رأيت خالا بخدّها ، اقشعرّت منه ذؤابتك .

فقالت : ما دونك سِرٌّ ، ومن يستطيع أن يَكْتُمك !

• عن سليمان بن صُرَد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : نغزوهم ولا يغزونا .

قال أبو نعيم : فحقق الله ذلك ، فغزاهم ولم يُغْزَ بعد ذلك .

• عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين ، حتى يجاوز البحار ، وحتى تُخَاض البحار بالخيل فى سبيل الله » .

• عن عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوماً لعلىّ : مَنْ أشقَى الناس ؟

قال : الذى عقَر الناقة ، يا رسول الله . قال : صدقت .

فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله .

قال : « الذى يَضْرب على هذه » .

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى يا فوخه(١) .

فكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق :

أما والله ، لوددت أنه انبعث أشقاها فخضب هذه ، يعنى لحيته ، من هذه ، ووضع يده على مُقَدَّم رأسه .

---

(١) قال فى المصباح : اليافوخ : وسط الرأس ، ولا يقال (يافوخ) حتى يصلب ويشتد بعد الولادة . وفى القاموس : ضرب يا فوخه . وهو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

● عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا قبر أبى رغال، وهو أبو ثقيف .

وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدْفع عنه .

فلما خرج منه ، أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه .

وآية ذلك ، أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه . أصبتموه معه .

فابتدره الناسُ ، فاستخرجوا منه الغصن .

● عن ابن عمر قال : أَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء فى الليلة [التى] قتل فيها العَنْسى ليبشرنا ، فقال :

قُتل الأسودُ البارحة ، قتله رجل مبارك .

قيل : من ؟ قال : فيروز بان فيروز(١) .

● عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت فقال :

لا تبكى ، وأبشرى ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم :

ليموتنَّ رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين .

وليس من أولئك النفر أحدُ ، إلا وقد مات فى قرية أو جماعة ، وأنا الذى أموت بالفلاة(٢) ، والله ما كَذَبتَ ولا كُذِبتُ ، فأبصرى الطريق .

---

(١) عند ابن كثير : فيروز فيروز .

(٢) الفلاة : الأرض التى لا ماء فيها . والجمع (فلا) مثل (حصاة) و (حصى) اهـ . مصباح .

قالت : فقلت : إنه قد ذهب الحاج ، وتقطعت الطريق .

قالت : فكنت أشتد إلى الكثيب ، ثم أرجع إليه فأمرضه ، فإذا أنا برجال على رواحلهم ، فألحت[١] بثوبي ، فأسرعوا ، وقالوا : مالك ؟

قلت : رجل من المسلمين يموت .

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر .

قالوا : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم .

فَفَدَّوه بآبائهم وأمهاتهم ، فكفنه أحدهم ، ودفنوه .

● عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .

ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ، لَيُوجَدُ من مسيرة كذا وكذا .

● عن أبي نوفل قال : لما قتل ابنُ الزبير ، أرسل الحجاج إلى أمه أسماء فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ، أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً[٢] ، فأما الكذاب فرأيناه ، وأما المبير ، فلا إخالك إلا إياه .

انفرد بإخراجه مسلم . والكذاب هو المختار بن عبيد .

---

(١) فألحت بثوبي . أي : أشرت بثوبي إلى الرجال وهو تعبير مجازي كما في أساس البلاغة .

(٢) مبير . أي : ظالم سفاك للدماء ، ومفسد في الأرض .

• عن أبى هارون العبدى قال : كنا إذا دخلنا على أبى سعيد الخدرى قال : مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه سيأتيكم رجالٌ من أقطار الأرض ، ليتفقهوا ، فإذا أتوكم ، فاستوصوا بهم خيراً .

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَسْمعون ويُسْمع منكم ، ويُسْمع ممن يَسْمع منكم .

• عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها كل جمعة ، وإنها قالت يوم بدر :

أتأذن لى ، فأخرج معك ، أمرّض مرضاكم ، وأداوى جرحاكم ، لعل الله يُهْدى لى شهادة ؟

قال : قرّى ، فإن الله عز وجل يُهدى لك شهادة .

وكانت أعتقت جارية لها وغلاماً عن دُبُر(١) منها ، فطال عليهما ، فغمّاها فى قطيفة حتى ماتت ، وهربا .

فأتى عمر فقيل له : إن ورقة قتلها غلامها ، وجاريتها وهربا .

فقام عمر فى الناس فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يزور أمّ ورقة ويقول : انطلقوا نزورُ الشهيدة ! وأُتِىَ بهما ، فصُلِبَا .

• عن ابن عباس قال : لما أُسر العباس ، وطُلِبَ منه الفداء قال : ليس لى مال .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذى وضعته بمكة ،

---

(١) الدبر : الموت . يعنى ، قالت لهما : أنتما — بعد موتى — حرّان النوع من العتق يسميه الفقهاء بـ « التدبير » .

حين خرجتَ ، عند أم الفضل وليس معكما أحد ؟ وقلتَ : إن أصبت فى سفرى هذا ، فللفضل كذا ، وأنتم كذا ، ولعبد الله كذا ؟

قال : والذى بَعثك بالحق ، ما عَلم بهذا أحدٌ من الناس ، غيرى وغيرها ،[1] وإنى أعلم أنك رسول الله .

• وقد روى محمد بن إسحاق ، أن عمير بن وهب جلس مع صفوان ابن أمية بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وهو فى الحجر .

وكان عمير من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة .

وكان ابنه وهب بن عمير ، فى أسارى بدر فذكر أصحاب القليب ومصابهم .

فقال صفوان : والله ما فى العيش بعدهم من خير .

فقال له عمير : صدقت ، والله ، أما والله لولا دَيْنٌ علىّ ، ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضّيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ، ابنى أسير فى أيديهم .

فقال صفوان : فَعلَىّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى ، أسوتهم كأسوتهم .

قال عمير : فاكتم علىّ شأنى وشأنك . قال : أفعل .

ثم إن عميراً أمر بسيفه فشُحذ وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة .

فرآه عمر قد أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال :

هذا عدو الله ، عمير قد جاء ، ما جاء إلاّ لشر ، وهو الذى حَرّش بيننا ، وحزرَنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) فى الأصل (وغيرك) وهو تحريف لمخالفته لسياق الكلام

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير ، قد جاء متوشحاً سيفه .

قال : فأدخله عليّ :

فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلبَّبه بها .

وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون .

ثم دخل به عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه ، وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير .

فدنا ثم قال : أنعم صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئتُ فى فداء أسير لى فى أيديكم ، فأحسنوا إليه .

قال : فما بال السيف فى عنقك ؟

قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنَتْ شيئاً .

قال : اصدُقْنى فى الذى جئت له . قال : ما جئت إلا لذلك .

فقال : بل قعدتَ أنت وصفوان فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قريش ، ثم قلت :

لولا دينٌ علىّ ، ولى عيال ، لخرجت حتى أقتل محمداً .

فتحمَّل لك صفوانُ بن أمية بدَينك وعيالك ، على أن تقتلنى ، والله حائلٌ بينى وبينك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا نُكذِّبك ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقّهوا أخاكم فى دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره . ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً فى إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإنى أحب أن تأذن لى فأقدَم مكة فأدعوهم إلى الله ، وإلى دين الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك .

فأذن له ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه . فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

فلما قدم مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذى من خالفه ، فأسلم على يديه ناس .

* * *

قال المصنف : قال أبو الوفا بن عقيل : إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الإعلام بالغائبات والمستقبَلاَت ، فيه مخاطرة عظيمة ، لأن الأسود ومسيلمة ، فضحهما تخمينهما لخرج الخبر على خلاف ما أخبرا به .

ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَب » .

فلو أنه أَسْلَمَ ، كان فى هذا ما فيه ، وإنما طالع العواقب ، وذلك دليل على أنه كان شديد الثقة .

فالحمد لله الذى ثبته على ذلك ، وأنه بانٍ لا يخاف أن ينهدم بأمور توجب التهم ، وإنما هو صادر عن قادر على الإتمام .

الباب السادس عشر

فى إلانة الصخر له صلى الله عليه وسلم

● عن جابر قال : مكث النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ، لم يذوقوا طعاماً .

فقالوا : يا رسول الله . إن ههنا كُدْيَةً(١) من الجبل .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رشوها بالماء .

ثم أخذ المِعْول(٢) وقال : بسم الله . فضربها ثلاثاً ، فصارت كثيباً(٣) تنهال(٤) .

قال جابر : فحانت منى التفاتة ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد شَدَّ على بطنه حجراً .

أخرجاه .

---

(١) الصخرة العظيمة . قال فى القاموس : (الكدية) بالضم : شدة الدهر كالكادية . والأرض الغليظة والصفاة (أى : الصخرة الملساء) العظيمة ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين . اهـ . المراد منه .

وفى الصحاح والمصباح : الكدية : الأرض الصلبة ، والمعنى المراد المناسب هنا ما أثبتناه فى صدر الكلام .

(٢) المعول : الفأس .

(٣) كثيباً . أى : ككومة الرمل . قال فى القاموس : الكثيب : التل من الرمل .

(٤) تنهال . أى : تتفتت وتنصب ، لأنها صارت كالرمل الناعم الذى لا يتماسك .

• عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فعرضت لنا صخرة فى مكان من الخندق ، لا تأخذ فيها المعاول.

فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء فأخذ المعول وقال : بسم الله .

وضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا .

ثم قال : بسم الله . وضرب ضربة أخرى ، فكسر ثلث الحجر وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأنظر المدائن ، وأبصر قصورها البيض من مكانى هذا .

ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى ، فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأنظر إيوان صنعاء من مكانى هذا .

الباب السابع عشر

في ذكر حنين الجذع إليه صلى الله عليه وسلم

● عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة .

فقالت امرأة من الأنصار ، كان لها غلام نجار : يا رسول الله ، إن لى غلاماً نجاراً ، أفلا آمره ، يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال : بلى .

قال : فاتخذ له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، خطب على المنبر قال : فأنَّ الجذعُ الذى كان يقوم عليه كما يَئِنُّ الصبى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكَى لِمَا فَقَدَ من الذِّكْر(١) .

● عن الطفيل بن أُبى بن كعب ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يومَ الجمعة ، حتى يراك الناس وتُسْمعهم خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاثَ درجات .

فلما صنع المنبر ، ووضع فى موضعه ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر ، فمرَّ إليه ، خارَ الجذعُ حتى كاد أن ينشقَّ .

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسحه بيده ، حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

فلما هدم المسجد ، وغُيّر ، أخذ ذلك الجذعَ أُبَىُّ بن كعب .

فكان عنده فى داره ، حتى بَلِىَ وأكلته الأرضة ، وعاد رُفاتاً[١] .

• عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يُسند ظهره إليها .

فلما كثر الناس قال : ابنوا لى منبراً ، فبنوا له منبراً ، له عتبتان .

فلما قام على المنبر يخطب ، حَنَّت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أنس : وأنا فى المسجد ، فسمعت الخشبة تحنُّ حنين الواله[٢] ، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت[٣] .

فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكى ، ثم قال :

يا عباد الله الخشبةُ تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه ، لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه[٤] !

• عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فلما اتخذ المنبر ، تحول إليه ، فحنَّ الجذع ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فمسحه .

أخرجه البخارى .

• عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع ، فأتاه رجل رومى فقال : اصنع لى منبراً أخطب عليه .

---

(١) رواه أحمد ، ومثله عن الشافعى .

(٢) الواله : الذى ذهب عقله وتحير من شدة الفرح والحب والحزن . كما يستفاد من المصباح والصحاح .

(٣) رواه أحمد . (٤) روى هذه الزيادة البغوى .

فصنع له منبره هذا الذى ترون .

فلما قام عليه يخطب ، حنّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها .

فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضمّه إليه ، فسكت ، فأمر به أن يُدْفَن ويحفر له .

● عن ابن بُريدة عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خطب ، قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فَأُتِىَ بجذع نخلة فحفر له ، وأقيم إلى جنبه .

فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب وطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه .

فبصر به رجل كان ورد المدينة ، فقال لمن يليه من الناس :

لو أعلم أن محمداً يَحْمَدنى فى شىء يرْفُق به ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام .

فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ايتونى به . فأُتِىَ به ، فأمره أن يصنع له هذه المراقى ، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك راحةً .

فلما فارق النبى صلى الله عليه وسلم الجذعَ ، وعمد إلى الذى صُنع له ، جَزِع الجذع ، فحنّ كما تحن الناقة ، حين فارقه النبى صلى الله عليه وسلم .

فسمع بريدة عن أبيه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع الجذع ، رجع إليه ، فوضع يده عليه وقال :

اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه ، فتكون كما كنت ، وإن شئت فأغرسك فى الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فيَحْسُن نبتك ، وتُثمر ، فيأكل أولياء الله من ثمرتك ، فعلتُ » .

وزعم أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : نعم قد فعلت .
مرتين .

فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أحبّ أن أغرسه في الجنة .

● عن أُبيّ بن كعب ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع وكان عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع .

فقال رجال من أصحابه : ألا نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ؟ قال : نعم .

فصنع له ثلاث درجات ، فقام عليها كما كان يقوم .

فأصغى إليه الجذع فقال له : اسكن . ثم التفت فقال :

إن تشأ أغرسك في الجنة ، فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أن أعيدك رطبا كما كنت .

فاختار الآخرة على الدنيا .

فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، دُفع إلى أُبيّ ، فلم يزل عنده إلى أن أكلته الأرضة .

* * *

قال ابن عقيل : لا ينبغي أن يُتعجّب من حنين الجذع ، ومجيء الأشجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مَنْ جَعل في المغناطيس خاصيةً تجذب الحديد إليه ، يجوز أن يجعل في الرسول خاصية تجذب إليه .

الباب الثامن عشر

في تسبيح الحصى في يده صلى الله عليه وسلم

● عن أبى ذر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فى مكان ، هو وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فتناول النبى صلى الله عليه وسلم سبع حَصَيَات فسبَّحْن ، حتى سمعت لهن حَنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسْن .

ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكر فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل . ثم وضعهن فخرسْن .

ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر حتى سُمِعَ لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن فَخَرسْنَ .

ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسبَّحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسْن .

الباب التاسع عشر

في ستره عمن قصد أذاه من المشركين

● عن ابن عباس قال : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر .

فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بَذِيَّة ، فلو قمتَ لا تؤذيك .

قال : إنها لن تراني .

فجاءت فقالت : يا أبا بكر ، صاحبُك هَجَاني بشِعره . قال : لا ، ما يقول الشعر . قالت : أنت عندي مصدَّق ، وانصرفت .

فقال يا رسول الله ، إنها لم ترك ؟

قال : لا ، لم يزل ملَكٌ يسترني منها بجناحه .

امرأة أبي لهب ، هي أم جميل بنت حرب ، أخت أبي سفيان .

الباب العشرون

فى دفع من أراد أذاه من الإنس

● عن جابر بن عبد الله قال : غزَوْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل نَجْد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قفلتُ معه ، فأدركَتْه القافلة فى وادٍ كثير العِضاه[1] .

فنزل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرة ، فعلّق بها سيفه .

قال جابر : فنِمْنا نومة .

ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا ، فجئناه ، فإذا أعرابى عنده جالس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظتُ ، وهو فى يده صَلْتاً[2] .

فقال لى : من يمنعك منّى ؟ قلت : الله . هو ذا جالس .

ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرجاه .

● عن جابر بن عبد الله قال[3] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) العضاه : شجر عظيم له شوك .
(٢) صلتاً : مجرداً من غمده ، بمعنى مصلت .
(٣) كذا ولعلها : أن رسول الله الخ .

لما رجع من غزاة بنى محارب ، جاءه رجل يقال له غورث بن الحارث ، حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من يمنعك منِّى ؟ قال : الله . فسَقط السيف من يده .

فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك منى ؟

قال : كن خير آخذ .

قال : أتشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله .

• عن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفِّر محمد وجهه فيكم بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم .

فقال : واللات والعزى ، إنْ رأيته يفعل ذاك ، لأطأنَّ على رقبته ، ولأعفرنّ وجهه فى التراب .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، زعم ليَطأ عنقه قال :

فما فجأهم منه ، إلا وهو يَنكص على عقبيه ، ويتقى بيديه .

فقالوا له : مالك ؟ قال : إن بينى وبينه لخندقاً من نار ، وهَولاً وأجنحة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى ، لاختطفته الملائكة عضواً عضواً .

انفرد بإخراجه مسلم .

• حكى الواقدى عن أشياخه قال : جاءت الظهر يوم الفتح .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذِّن بالظهر فوق الكعبة ، وقريش فوق الجبال ، وقد فرّ وجوههم وتغيبوا .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال عكرمة[1] بن أبى جهل : لعمرى لقد رفع لك ذِكرك ، أما الصلاة فنصلى ، ووالله ما نحب مَن قَتل الأحبة .

وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم .

وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ! ليتنى متُّ قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة !

وقال الحكم بن أبى العاص : هذا واللات ، الحادث الجلل[2] ، يصيح عبد بنى جُمَح ، ينهق على بَنِيَّة أبى طلحة .

وقال سهيل بن عمرو : إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره .

وقال أبو سفيان بن حرب : أما أنا ، فلا أقول شيئاً ، ولو قلت شيئاً ، لأخبَرَتْه هذه الحصاة .

فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف عليهم فقال : أما أنت يا فلان ، فقلت كذا ، وأنت يا فلان ، فقلت كذا .

فقال أبو سفيان : أما أنا يا رسول الله فما قلتُ شيئاً .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● عن عكرمة قال : قال شيبة بن عثمان : لما غزا النبى صلى الله عليه وسلم حُنَيناً : فذكرت أبى وعمى قتلهما علىٌّ وحمزة ، فقلت : اليوم أُدْرِك ثأرى من محمد .

فجئته مِن خَلْفه ، فدنوت منه ودنوت حتى لم يَبْق إلا أن أسوره بالسيف سورة ، رُفع إلىَّ شُوَاظ من نار كأنه البرق ، فنكصت القهقرى .

---

(١) فى الأصل « يقول » ، والصواب (قال عكرمة .. الخ) لأن المقرر فى قواعد النحو أن يكون جواب (لما) فعلا ماضياً . (٢) فى الأصل « الجليل » وهو تحريف

فالتفت إلىَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : تعال يا شيبة .

فوضع يده على صدرى ، واستخرج الله الشيطانَ من قلبى .

فرفعت إليه بصرى ، وهو أحبُّ إلىَّ من سمعى وبصرى .

● عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أن رجلا من بنى مخزوم ، قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده فِهْر(١) يرمى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أتاه وهو ساجد ، رفع يده وفيها الفهر ، ليدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيبست يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : جَبُنْتَ عن الرجل ؟

قال : لا ، ولكن هذا فى يدى لا أستطيع أُرسلَه .

فتعجبوا من ذلك ، ووجدوا أصابعه قد يبست على الفهر .

فعالجوا أصابعه حتى خلصوها وقالوا : هذا شىء يراد .

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا فى حديث الحكم قالوا له : ما رأينا أعجزَ منك فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : لا تلومونا ، لقد تواعدنا له .

فلما دنونا منه ، سمعنا صوتاً خلْفنا ، ظننَّا أنه ما بقى بتهامة جبال إلا ألقيت .

ثم تواعدنا ليلة أخرى فرأيت الصَّفا والمروة ، التقتا فحالتا بيننا وبينه .

---

(١) الفهر : الحجر الصغير قدر ما يملأ الكف .

الباب الحادى والعشرون

فى كيفية هلاك بعض من آذاه

عن أنس قال : كان رجل نصرانى(١) فأسلم ، وكان يقرأ البقرة وآل عمران .

وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، وكان يقول :

ما يدرى محمد إلا ما كتبت له .

فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا :

هذا فعلُ محمد وأصحابه ، لمّا هرب منهم ، نبشوا عن صاحبنا . فألقوه .

فحفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض . فقالوا :

هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا على صاحبنا .

فحفروا له ، وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبحوا وقد لفظته الأرض .

فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه .

قال المفسرون قوله تعالى : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ » بيّن أنهم قوم كانوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، والمستهزئون يطوفون بالبيت فمر بهم الوليد بن المغيرة .

---

(١) الأصل : كان رجلا نصرانياً . وهو تحريف ، والحديث أخرجه البخارى وأحمد .

فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله . قال : قد كُفيت .
وأومأ إلى ساقه فمرّ برجل يريش نَبلاً ، فتعلقت شظية من نبله بإزاره ، فمنعه الكِبْر أن يُطَامِن لينزعها ، فمرض فمات .

ومرّ العاص بن وائل ، فقال جبريل : كيف تجد هذا ؟
قال : بئس عبد الله . فأشار إلى أخمص قدمه ، فمات .

ومر الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله .
فأشار إلى بطنه فمات حَبَناً(١) .

ومر الحارث بن قيس فقال : كيف تجد هذا ؟ قال : بئس عبد الله .
فأومأ إلى رأسه فانتفخ رأسه فمات .

قال عكرمة : هلك المستهزئون قبل بدر .

قال ابن السائب : هلكوا في يوم وليلة .

---

(١) الحبن : داء يصيب البطن .

الباب الثانى والعشرون

فى دفع من قصد أذاه من الشياطين

● عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عايه وسلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلّت علىّ البارحة ، فقطع علىّ صلاتى ، فأمكننى الله منه فذَعْته ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه كلكم أجمعون ، فذكرت دعوة أخى سليمان « رَبِّ هبْ لى مُلْكاً لا ينبغى لأحدٍ مِنْ بَعْدِى » . قال : فرددته خاسئاً .

ومعنى فذَعْته : خنقته . .

عن أبى التَّياح قال : قلت لعبد الرحمن بن خُنَيش : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادَتْه الشياطين ؟

قال : تحدَّرت عليه الشياطين تلك الليلة من الجبال والأودية ، يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فجاءه جبريل فقال : يا محمد ، قل . فقال : ما أقول ؟ قال :

قل : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خَلَق وَذَرَأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يَعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق [إلا طارقاً] يطرق بخير يا رحمن .

قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى .

الباب الثالث والعشرون

في بيان أنه كان له شيطان

● عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ، فغِرْت عليه ، فجاء فعرف ما أصنع فقال : مالك يا عائشة أغِرْتِ ؟

قالت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك .

قال : أفأخذك شيطانك ؟ ! قلت : أومعى شيطان ؟ قال : نعم .

قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ !

قال : نعم ، ولكن ربى أعاننى عليه فأسلم .

انفرد بإخراجه البخارى .

وأكثر الرواة يقولون : « أسلمَ » بفتح الميم ، إلا سفيان بن عُيَينة قال : فأسلمُ بضمها ، وليس بصحيح ، لأنه فى بعض الألفاظ قال : « فلا يأمرنى إلا بخير » .

● عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فُضِّلت على آدم بخَصْلَتين : كان شيطانى كافراً فأعاننى الله عليه فأسلم ، وكن أزواجى عوناً لى .

وكان شيطان آدم كافراً ، وكانت زوجته عوناً عليه .

الباب الرابع والعشرون

فى دفع أذى الهوام عنه

● عن أبى أمامة قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفَّيه يلبسهما ، فلبس إحداهما ، ثم جاء غراب فاحتمل الأخرى ، فرمى بها فخرجت منه حيَّة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يلبس خُفَّيه حتى ينفضهما .

الباب الخامس والعشرون

فى إعادته عين بعض أصحابه وقد خرجت فاستقامت

● عن الهيثم بن عديّ عن أبيه قال : أصيبت عين أبى قتادة بن النعمان الظُّفرى يوم أحد ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهى فى يده فقال :

ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت رددتها ودعوت الله لك ، فلم تفقد منها شيئاً .

قال : يا رسول الله ، إن الجنة لجزاء جزيل ، وعطاء جليل ، ولكنى رجل مُبْتلًى بحب النساء ، إن يقلن أعور ، فلا يُرِدْنَنِى ، ولكن تردها لى ، وتسأل الله لى الجنة .

فقال : أفعل يا أبا قتادة . ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا الله له بالجنة .

قال : فدخل ابنهُ على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟ فقال :

أَنَا ابْنُ الَّذِى سَالَتْ عَلَى الْخَدِّ عَيْنُهُ ... فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَحْسَنِ حَالِهَا ... وَيَاحُسْنَ مَا عَيْنٍ وَيَا طِيبَ ما يَدِّ

فقال عمر : بمثل هذا ، فليتوسل إلينا المتوسلون .

ثم قال :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَاقَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

الباب السادس والعشرون

في كلام الجدار بحضرته

● عن أبي أسيد [الساعدي] البَدْري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : يا أبا الفضل ، لا تَرِمْ[١] منزلك غداً أنت وبنوك ، فإن لي فيكم حاجة .

فانتظروه فجاء فقال : السلام عليكم .

قالوا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

قال : كيف أصبحتم ؟ قالوا : بخير . قالوا : كيف أصبحت يا رسول الله ؟

قال : بخير ، أحمد الله .

فقال : تقاربوا ، ليزحَفْ بعضُكم إلى بعض . ثلاثاً .

فلما أَمْكَنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : هذا العباس عمِّي ، وصِنْو[٢] أبي ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم استرهم من النار كستْري إياهم بملاءتي هذه .

قال : فأمَّنت أُسْكُفَّة[٣] الباب وحوائط البيت . آمين ثلاثاً[٤] .

---

(١) لا ترم . أي الزم منزلك ولا تفارقه .

(٢) الصنو : المثل . (٣) أسكفة الباب : عتبته .

(٤) الحديث رواه البيهقي وابن ماجه في سننه ، عن عبدالله بن عثمان الوقاصي ، قال عنه ابن معين : لا أعرفه وقال أبو حاتم : يروى أحاديث مشبهة .

الباب السابع والعشرون

فى تكليم الظبية(١) له

• عن أبى سعيد الخدرى قال : مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله ، خَلِّنى حتى أذهب فأرضع خِشفى(٢) ثم أرجع فتربطنى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« صَيْدُ قومٍ وربيطة قوم » فأخذ عليها ، فحلفت له ، فخلَّها .

فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت ، وقد نفضت ما فى ضرعها .

فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أتى خباء أصحابها . فاستوهبها منهم ، فوهبوها له ، فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• عن ابن عباس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى بعض شأنه ، فإذا هو بظبية فى رحل قوم ، فنادته : يا رسول الله . فوقف وقال : ما شأنك ؟

---

(١) روى حديث الظبية البيهقى من طرق من حديث أبى سعيد ، وضعفه جماعة من الأئمة . وذكره القاضى عياض فى الشفاء بلا سند عن أم سلمة . ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل .

قال السخاوى : حديث الغزالة اشتهر على الألسنة وفى المدائح النبوية وليس له ـ كما قال ابن كثير ـ أصل ، ومن نسبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كذب .

(٢) قال فى المصباح : الخشف (بكسر الخاء) ولد الغزال . يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف . مثل حمل وحمول .

قالت : إن لى خِشْفين وهما جياع ، فأطلقنى لأنطلق فأرويهما ، وأرجع إليك فتشدّنى .

قال : أتفعلين ؟ قالت : نعم ، وإلا يعذبنى الله عذاب العَشّار[1] .

فخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه ، فما لبث أن جاءت وضرعها فارغ من اللبن .

فرقّ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستوهبها من الرجل ، فوهبها له فأطلقها .

● عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحراء ، فإذا مناد ينادى : يا رسول الله . فالتفت فلم ير شيئاً . ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت : يارسول الله ، أدنُمنى . فدنا منها فقال : هل لك من حاجة ؟

قالت : نعم ، إن لى خِشْفين فى ذلك الجبل ، فَحُلّنى حتى أذهب فأرضعهما ، ثم أرجع إليك قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشّار ، إن لم أفعل .

فأطلقها ، فذهبت فأرضعت خشفيها ، ثم رجعت ، فأوثقها النبى صلى الله عليه وسلم .

وانتبه الأعرابى فقال : ألك حاجة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، تطلق هذه . فأطلقها ، فذهبت تعدو وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

---

(١) العشار : المكاس . يعنى [الذى يأخذ الضرائب على أموال الناس وعلى تجارتهم] .

الباب الثامن والعشرون

فى كلام الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

• عن ابن عمر أن أعرابياً صاد ضَبًّا ، فجعله فى كُمِّه ، يريد أن يجيء إلى أهله فيذبحه ويشويه ، ويأكله ، فإذا هو بجماعة فقال : ما هذه الجماعة ؟

قالوا : على رجل يذكر أنه نبي ، وهو محمد بن عبد الله .

فجاء حتى شقّ الناس ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

واللات والعزى ، ما سلّمتُ على ذى مُهجْة أبغض إلىّ منك(١) ، ولولا أن يُسمِّينى قومى العَجُول ، لعجلْت عليك فقتلتك فسَرَرْت بقتلك الأسودَ والأبيض ، وأرحتُ بنى هاشم وغيرهم ، إذ تسبُّ آلهتنا .

فعرفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أخا بنى سليم : ما حملك على الذى قلتَ ، ولم تكرمنى فى مجلسى ؟

قال : وثَكَلَتْنى أيضاً اللات والعزى(٢) ، لا آمنت بك ، حتى يؤمن بك هذا الضب . فطرح الضب بين يديه .

فقال عمر : ايذن لى أضرب عنقه .

فقال : أما علمتَ أن الحليم كاد يكون نبيا !

---

(١) فى شرح المواهب عند الدارقطنى : فأتاه فقال : يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك .

(٢) كذا بالأصل . والرواية عند ابن كثير البداية ١٩٤/٦ : وتكلمنى أيضاً – استخفافا بالرسول – واللات والعزى الخ . ولعلها أصوب مما هنا .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضب فقال له : يا ضب .

قال : لبَّيك وسَعْديك . بلسان عربى مبين يُفْهم القوم جميعاً .

فقال له : يا ضب من تعبد ؟

قال : الذى فى السماء عرشُه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته ، وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدّقك ، وخاب من كذبك .

قال الأعرابى : لا أبتغى أثراً بعد عين ! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بشَعْرى وبَشَرى ، وسرِّى وعلانيتى .

والله لقد أتيتك ، وما على وجه الأرض أحد هو أبغضُ إلىَّ منك ، ولَأَنْتَ الآن ، أحب إلى من سمعى وبصرى ، ووالدى ، وولدى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك بى .

• عن ابن عباس قال : خرج أعرابى من بنى سُلَيم يتبدَّى فى البرِّية ، فإذا هو بضب ، فاصطاده ، ثم جعله فى كمه ، ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فناداه :

يا محمد ، أنت الساحر ، ولولا أنى أخاف أن قومى يسمونى العَجُولْ لضربتك بسيفى هذا .

فوثب له عمر ليبطش به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

اجلس أبا حفص ، فقد كاد الحليم يكون نبيا .

ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأعرابى ، فقال له :

أسلم تَسلم من النار .

فقال : واللات والعزى ، لا أومن حتى يؤمن بك هذا الضب .

ثم رمى الضبَّ من كمه . فولّى الضب هارباً .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الضب أقبل . فأقبل .

فقال له : من أنا ؟ قال : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

ثم أنشأ الضب يقول :

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ صَادِقٌ ... فَبُورِكْتَ مَهْدِيًّا وَبُورِكْتَ هَادِيَا

شَرَعْتَ لَنَا دِينَ الْحَنِيفَةِ بَعْدَ مَا ... عَبَدْنَا كَأَمْثَالِ الْحَمِيرِ الطَّوَاغِيَا

فَيَا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَيَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... إِلَى الْجِنِّ ثُمَّ الإِنْسِ لَبَّيْكَ دَاعِيَا

أَتَيْتَ بِبُرْهَانٍ مِنَ اللهِ وَاضِحٍ ... فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ الْقَوْلِ وَاعِيَا

فَبُورِكْتَ فِي الْأَحْوَالِ حَيًّا وَمَيِّتاً ... وَبُورِكْتَ مَوْلُوداً وَبُورِكْتَ نَاشِيَا

ثم سكت الضب ، فقال الأعرابي . واعجباً ! ضبٌّ اصطدته من البرّية ، ثم أتيت به في كمّي ، يكلم محمداً بهذا الكلام ، ويشهد له بهذه الشهادة ! !

أنا لا أطلب أثرا بعد عين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فأسلم وحسن إسلامه .

ثم التفت إلى أصحابه . فقال : علموا الأعرابي سورا من القرآن(١) .

---

(١) حديث الضب هذا مشهور على الألسنة ولكنه غريب ضعيف . قال المزى : لا يصح إسناداً ولا متنا . وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع .
انظر شرح المواهب ٤/١٤٨ — ١٤٩ .

فصل

فإن قال قائل : ما رويتم من المعجزات لم يُنْقل نقلَ التواتر .

قلنا : مجموع الوقائع يورث علماً ضروريا ، كشجاعة عليّ ، وجُود حاتم .

ثم عندنا ، القرآن الذى لا يُرْتاب فيه ، فمعجزه قائم أبداً ، ينادِى على منار التحدى : « فَأْتوا بسورة من مثله » .

ثم إذعان الملوك لنبينا صلى الله عليه وسلم مع فقره وضعفه ، وإقرار أهل الكتاب بصفته ، من أكبر الأدلة .

الباب التاسع والعشرون

فى إجابته اليهود على مسائل لا يعلمها إلا نبي

• عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدمه المدينة ، فقال : يا رسول الله ، إنى سائلك ثلاث خصال ، لا يعلمهن إلا نبي .

قال : سَلْ . قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة ؟ ومن أين يُشْبه الولدُ أباه وأمه ؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بهن جبريل آنفاً .

قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

قال : أمَّا أول أشراط الساعة : فنار تحشرهم إلى المشرق تخرج من المغرب .

وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت .

وأما شَبَه الولد أباه وأمه : فإذا سَبَق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع إليه الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إليها .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهْت ، وإنهم إن يعلموا بإسلامى يَبْهتونى عندك ، فأرسل إليهم فاسألهم عن أىِّ رجل ، ابنُ سلام فيكم ؟

فأرسل إليهم فقال : أىّ رجل ابنُ سلام فيكم ؟

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وعالمنا وابن عالمنا ، وأفقهنا وابن أفقهنا .

قال : أرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك !

قال : فخرج ابنُ سَلاَم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقالوا : شرُّنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا .

فقال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

انفرد بإخراجه البخارى .

• عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، نحن نسألك عن خمسة أشياء ، فإن أنت أنبأتنا بها ، عرفنا أنك نبي واتبعناك .

قال : فأخذ عليهن ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا :

والله على ما نقول وكيل .

قالوا : حدِّثنا عن علامة النبى .

قال : تنام عيناه ولا ينام قلبه .

قالوا : أخبرنا كيف تؤنِّث المرأة ، وكيف تُذكر ؟

قال : يلتقى الماءان ، فإن علا ماء المرأة ماءَ الرجل أنثت ، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذْكرَت .

قالوا : صدقت .

قالوا : ما حرَّم إسرائيل على نفسه ؟

قال : كان يشتكى عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه ، إلا ألبان الأبل ، فحرم لحومها . قالوا : صدقت .

قالوا : أخبرنا ما هو الرعد ؟

قال : ملك من الملائكة ، موكَّل بالسحاب ، بيده أو فى يده ، مخراق من نار ، يَزْجر به السحاب ويصرِّفه حيث أمره الله تعالى .

قالوا : فما هذا الصوت الذى يُسمع ؟ قال : صوته .

قالوا : صدقت .

إنما بقيت واحدة ، وهى التى إن أخبرتنا بها ، اتبعناك ، أنه ليس من نبى إلا يأتيه ملك بالخبر من السماء ، فمن يأتيك بالخبر من صاحبك ؟

قال : جبريل .

قالوا : جبريل ! ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال ، ذاك عدوُّنا من الملائكة ، لو قلت ميكائيل ، الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطار !

فأنزل الله تعالى : « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ـ الآية » (البقرة ٩٧) .

• عن عبد الله قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه . فقالت قريش : يا يهودى : إن هذا يزعم أنه نبى .

قال : لأسألنه عن شىء لا يعلمه إلا نبى .

قال : فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد ، مم يخلق الإنسان ؟

قال : يا يهودى من كلٍّ يُخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة .

فأما نطفة الرجل ، فنطفة غليظة ، منها العظم والعصب .

وأما نطفة المرأة ، فنطفة رقيقة ، منها الدم واللحم .

فقام اليهودى فقال : هكذا كان يقول مَنْ قَبْلك .

• عن ثَوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حَبْر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعة كاد يُصْرع منها ، فقال : لم تدفعنى ؟

فقلت : ألا تقول يا رسول الله !

فقال اليهودى : إنما أدعوه باسمه الذى سماه به أهله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى .

فقال اليهودى : جئت أسألك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ينفعك شىء إنْ حدثتك ؟

قال : أسمع بأذنى .

فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودٍ معه . فقال : سَلْ .

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الظلمة دون الجسر .

قال : فمَنْ أوَّل الناس إجازةً ؟ قال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودى : فما تُحْفتهم حين يدخلون الجنة ؟

قال : زيادة كبد النون .

قال : فما غذاؤهم فى أثرها .

قال : يُنْحر لهم ثور الجنة ، الذى كان يأكل من أطرافها .

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال: من عين فيها تسمَّى سَلْسبيلا .

قال : صدقتَ .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض ، إلا نبي أو رجل أو رجلان .

قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني ، جئت أسألك عن الولد .

قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا ، فعلاَ مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة ، أذكَرا بإذن الله ، وإذا علا مَنِيُّ المرأة مَنِيَّ الرجل ، أنَّثا بإذن الله .

فقال اليهودي : لقد صدقتَ ، وإنك لنبي . ثم انصرف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه ، ثم أتاني الله به .

انفرد بإخراجه مسلم .

الباب الثلاثون

في رؤيته الأشياء من وراء ظهره

● عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقْبل علينا بوجهه قبل أن يكبّر ، فيقول : تراصُّوا واعتدلوا ، فإنى أراكم من وراء ظهرى .

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبْلتى ها هنا ، فوالله ما يخفى علىّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إنى لأراكم من وراء ظهرى .

الحديثان فى الصحيحين .

● عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا الصفوف ، فإنى أراكم من خَلْف ظهرى .

الباب الحادى والثلاثون

فى أنه كان يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلمة ، كما يرى فى الضوء .

الباب الثانى والثلاثون

فى إجابة دعائه

● عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر :

أين على ابن أبي طالب ؟

فقيل : هو يشتكى عينيه .

قال : فأرسلوا إليه ، فَأُتِىَ به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ، ودعا له ، فبرئ ، كأن لم يكن به وجع .

أخرجاه .

● عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : كان أبى يَسْمُر مع علىّ ، وكان علىٌّ يلبس ثياب الصيف فى الشتاء ، وثياب الشتاء فى الصيف .

فقيل : لو سألتَه ، فسأله ، فقال :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلىّ ، وأنا أَرْمَدُ العين يومَ خيبر .

فقلت : يا رسول الله ، إنى أرمدُ العين . فتفل فى عينى وقال :

اللهم أذهب عنه الحرّ والبردَ . فما وجدتُ حَرّا ولا برداً ، منذ يومئذ .

● عن يَعْلى بن مُرّة قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق ، مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها ، فقالت :

يا رسول الله ، هذا أصابه داء يؤخذ فى النوم ، ما أدرى كم مرة .

قال : ناولينيه . فدفعته إليه . فجعله بينه وبين واسطة الرّحل ، ثم فغر فاه(١) فتفل فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله ياعبد الله ، اخسأ ياعدو الله » ثم ناولها إياه .

وقال : « القينا فى الرّجعة فى هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها فى ذلك المكان معها شياه ثلاث .

فقال : « ما فعل صبيُّك ؟ » قالت : والذى بعثك بالحق ، ما حسَسْنا منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترِزْ هذا الغنم .

قال : انزل فخذ منها واحدة ، ورُدَّ البقية(٢) .

● عن ابن عباس ، أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا رسول الله ، إن به لَمماً وإنه يأخذه عند طعامنا .

قال : فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا ، فثَعَّ ثَعَّة(٣) فخرج مِن فيه ، مثلُ الجَرْو الأسود . فسعى(٤) .

● عن أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سَنةٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام أعرابى فقال : يارسول الله ، هلك المالُ ، وجاع العيال ، فادعُ الله أن يسقينا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما فى السماء قَزَعَةٌ(٥) .

---

(١) فغر فاه . أى : فتح فمه . (٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) ثغ : قاء . وقيل : سعل .

(٤) تفرد به أحمد . وفيه فرقد السنجي وهو سيء الحفظ .

(٥) القزعة : القطعة من السحاب .

فثار السحابُ أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادَرُ على لحيته .

قال : فمُطِرْنا يومنا ومِن الغد وبعدَ الغد ، والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى .

فقام ذلك الأعرابى ، أو رجل غيره فقال :

يا رسول الله ، تهدَّم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا .

قال : فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى صارت المدينة فى مثل الجَوْبَة[1] حتى سال الوادى قناة شهراً .

قال : ولم يجئْ أحد ، إلا حدَّث بالجَوْد . أخرجاه [2].

● عن أنس بن مالك أنه سئل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدعاء ؟

قال : نعم ، بينا هو فى جمعة يخطب الناس ، فقيل له : يا رسول الله قحط المطر ، وأجْدَبت الأرضُ ، فادع الله عز وجل .

فرفع يديه ، حتى رأينا بياض إبطيه ، فاستسقى وما فى السماء سحابة .

فما قضينا الصلاة ، حتى إن الشاب القريب الدار ليُهمُّه الرجوعُ إلى أهله ، فدامت جمعة . فلما كانت الجمعة الأخرى ، قالوا :

يا رسول الله ، تهدَّمت البيوت ، واحتبس الرُّكبان ، وهلك المال .

فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال بيده هكذا ، ففرّق بين يديه : « اللهم حوالينا ولا علينا » . قال : فتكشَّطت عن المدينة .

---

(١) قال فى الصحاح : الجوبة : الفرجة فى السحاب وفى الجبال . وانجابت السحابة : انكشفت . والجوبة أيضاً : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى : صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة .

(٢) فى مواضع من كتاب الصلاة .

• عن عائشة بنت سعد أن أباها حدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وادياً دَهْساً لا ماء به ، وسبقه المشركون إلى القُلُب ، فنزلوا عليها ، وأصاب المسلمين العطش ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجمَ النفاقُ(١) .

وقال : بعض المنافقين : لو كان نبيًّا كما يزعم ، لاستسقى لقومه كما استسقى موسى .

فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : أو قالوها ! عسى أن يسقيكم . ثم بسط كفيه وقال :

« اللهم جَلِّلْنا سحاباً كثيفاً مُغْدَوْدقاً ، تضحك منه الأرجاء ، تُمْطِرنا منه رذاذاً قد قُطع ، سَجْلا نعاقاً(٢) ، يا ذا الجلال والإكرام » .

فما ردَّ يديه من ردائه ، حتى أظلتنا سحابة تتلون فى كل صفةٍ وصفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات السحاب .

قال : ثم أمطرنا الضروبَ التى قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفعم السيلُ الوادى ، فشرب الناس وارتووا .

• عن أنس قال : لما كان يوم الحُدَيْبية ، هبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثمانون رجلا من أهل مكة فى السلاح ، من قِبَل جبل التنعيم ، يريدون غِرَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليهم ، وأخذوا مالِ عنان فعفا عنهم ، ونزلت هذه الآية : « وَهُوَ الَّذِى كَفَّ

---

(١) نجم النفاق . معناه : ظهر واستعلن واضحاً .

(٢) الرذاذ : المطر الضعيف ، والسجل المطر الغزير . والنعاق المرتفع الصوت .

يَدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ »(١) .

• عن عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء ، فأتيته بقدح فيه ماء ، وكانت فيه شعرة فأخذتُها ، فقال : اللهم جمِّله .

قال : فرأيته وهو ابن أربع وتسعين سنة ، ليس فى لحيته شعرة بيضاء .

• عن أنس قال : دعا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

اللهم أكثر ماله وولده ، وأطلْ حياته .

فأكثرَ الله مالى ، حتى إن كنز مالى يُحْمل فى السنة مرتين ، وولدى لصُلْبى ، مائة وستة .

• عن نوفل ، عن أبيه قال : كان ابن أبى لهب يسبُّ النبى صلى الله عليه وسلم واسمه عتبة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك » .

فخرج يريد الشام فى قافلة مع أصحابه ، فنزلوا منزلا فقال :

والله إنى لأخاف دعوة محمد . قال : فقالوا له : كلاَّ .

قال : فحطوا المتاعَ وقعدوا حوله يحرسونه .

قال : فجاء السبع ، فانتزعه فذهب به .

• عن جابر ، عن بلال قال : أذَّنتُ بالصبح فى ليلة باردة ، فلم يأتِ أحد ، ثم أذَّنتُ فلم يأت أحد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما شأنهم يا بلال ؟

قلت : كَبَدَهم(٢) البَرْدُ . فقال : « اللهم اكسر عنهم البرد » .

---

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) كبدهم : شق عليهم وضيق ، من الكبد وهو الشدة والضيق . أو أصاب أكبادهم ، وهو أشد البرد . النهاية ٤/٢ .

قال بلال : فلقد رأيتهم يتروّحون :

● عن أنس ، أن أبا طالب مرض ، فعاده النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : يابن أخي ، ادعُ ربك الذى تعبده أن يعافينى .

قال : « اللهم اشفِ عمى » فقام أبو طالب ، كأنما أنشط من عِقَال .

قال : يابن أخي ، إن ربك الذى تعبده لَيُطيعك .

قال : وأنت يا عماه ، لو أطعتَ الله لأطاعك .

* * *

فصـل

ولما ظهرت معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبعه المؤمنون عملاً بالدليل ، لا تقليدا .

ولهذا كانوا يتعرضون ليعرفوا السبب ، فيقولون : واصلتَ ونهيتنا ، وفعلت كذا . فيبين لهم سبب ذلك .

فلما أذعنتْ له القلوبُ وشاع الإسلام، ضَنِنَتْ قلوبُ مكذِّبيه وحاسديه .

فرضى اليهود بالخلود فى النار ، اتباعاً لمقتضى الحسد ، مع علمهم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخذ قوم يقولون ، بزَعْمهم ، مثلَ القرآن ، كمسيلمة فإنه قال : يا ضفدع نِقِّى كم تنقين .

وسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبى فنبت شعره ، فمسح على رأس صبى فقرع .

وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر فجاشت بالريّ ، فبصق هو فى بئر فيبست .

* * *

فلما فشا الإسلامُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُتِحت البلدان ، اجتمع جماعة من الملحدين فقالوا : لا طاقة لنا بالمسلمين ، فهلموا حتى نظهر الإسلامَ ونُدْخل فيه الآفات .

وهم الباطنية ، يظهرون الإسلام والتعبد ، ومقصودهم الجهالُ واصطيادهم .

فإذا تملّكوا منهم ، كاشفُوا بالإلحاد .

قال ابن عقيل : لو اجتمعتُ برئيس الباطنية ، سلكتُ معه طريقَ الإزراء على عقله وعقول أتباعه .

فكنت أقول : للآمال طرق ووجوه ، ووَضعُ الأمل فى جهة الإياس حُمْقٌ .

وقد طبَّقت شريعة الإسلام الأرضَ وتمكنت .

فلها مَجْمَع كلّ سنة بعرفة ، وكل أسبوع فى الجمعة ، ومجامع فى المساجد .

فتى تحدِّثون أنفسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتَمْحِيق هذا الأمر الظاهر فى الآفاق ، وكلّ يوم يؤذَّن على مائتى ألف منار باسم هذا الرسول .

وغاية ما أنتم عليه حديثٌ فى خلوة ، لو ظهر لم يُؤْمَن هلاك قائله .

فلا أعرفُ أحمقَ منكم !

هذا إلى أن يجيء باب المناظرة !

* * *

قال المصنف : وقد اندسَّ جماعة من الملحدين فى المسلمين ، كأبى العلاء المَعَرِّى وابن الراوَندى قبله ، فماتا على أقبح صفة .

واندسَّ منهم جماعة فى المحدِّثين ، فوضعوا أحاديث يقصدون بها شَيْنَ الشريعة وتناقضها .

فأظهر الله علماء يكشفون فضائحهم ويبينون الصوابَ من الخطأ .

وأظهر قومٌ التكهن ، فأقبلوا يخبرون عن الغيوب ، وأخذ قومٌ يتكلمون على ما فى القلوب ، والمنجِّم عمّا يكون غداً .

كلُّ ذلك ليظهروا أن دين الإسلام لم يأتِ بمعجزة .

ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

* * *

قال ابن عقيل : ومن أكبر الدلائل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم أن البارى سبحانه ، إنما يُمهل الكذاب يسيراً ، ثم يستأصله بالعذاب :

فيجوز أن يمهل من يكذب عليه سنين ، ثم يثبِّت شريعته بعده ؟!

وقد أقدم على نسخ شريعتين قبله ، وحلَّل السَّبْت ، ثم ينصر أتباعه على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز ؟ !

حاشاه أن يفعل ذلك ، إذ لو فعله لم يَتَبين الصدقُ من المحال .

ألم تسمعه تعالى يقول : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ » (الحاقة ٤٤ و ٤٥) .

فمن طعن فى صدقه ، طعن فى عدل البارى وحكمته ، لأن الطعن يتوجه على المعين .

قال : ولقد فاضت أشمةُ معجزاته على أصحابه .

فكتب عمر إلى نيل مصر ، ونادى ساريةَ ، فأسمعه .

وجىء بكنوز كسرى ، فقسمت فى مسجده صلى الله عليه وسلم .

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله وعونه الجزء الأول من كتاب « الوفاء بأحوال المصطفى » صلى الله عليه وسلم ويليه — إن شاء الله — الجزء الثانى ، وأوله :

أبواب فضله صلى الله عليه وسلم على الأنبياء ، ومثل ما بعث به ومثل أمته ووجوب طاعته وتقديم محبته على النفوس